كتاب شعائر
كتاب دوري يصدر عن مجلّة «شعائر»

6

مختصر أعمال شهر رمضان

الجزء الثالث من سلسلة "مناهل الرجاء" للشيخ حسين كوراني

إعداد: أسرة تحرير شعائر

إصدار المركز الإسلامي
بيروت * لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

مختصر
أعمال شهر رمضان

الجزء الثالث من سلسلة "مناهل الرجاء" للشيخ حسين كوراني

إعداد: أسرة تحرير شعائر

إصدار المركز الإسلامي
بيروت ـ لبنان

كتاب شعائر

كتاب دوري يصدر عن مجلّة «شعائر»

6

شعائر
مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة
تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

فهرس المحتويات

تقديم	١٢
(١) شهر رمضان مراسم افتتاح الضيافة	١٤
ضيافةُ الله	١٥
* والشياطين مغلولة	١٥
أعمال اللّيلة الأولى	١٦
العتق من النار!	١٧
* أدبُ الدّخول إلى ضيافة الرّحمن	١٨
* الدعاء عند رؤية الهلال	١٨
* الغُسل: علاج الحَكّة	١٩
* صلاةُ الشكر	٢٠
* فاستَقبل الشهرَ بالقرآن	٢٠
* كَثرةُ الاستغفار والدّعاء	٢٠
* زيارة سيّد الشّهداء عليه السلام	٢٠
* أوّل كلّ شهر؟	٢١
* أدعية اللّيلة الأولى	٢١
* الأدعية العامة للّيالي	٢٤
* صلاة اللّيلة الأولى	٢٤
اللّقمة الحلال	٢٥
الأعمال العامة لليوم الأوّل	٢٧
الأعمال العامّة لكلّ يوم من أيّام شهر رمضان	٣٢
الأعمال الخاصّة	٣٤
أعمال كلّ ليلة	٤٨
* أوّلاً: الإفطار	٤٨
تقديم الصلاة، أو الإفطار؟	٥١
آداب الإفطار	٥١
ما بعدَ الإفطار	٥٢
دعاء الافتتاح	٥٤
صلاة كلّ ليلة	٥٦
صلاة اللّيلة الثانية	٥٩
السّحور: الأكل في وقت السَّحَر	٥٩
نيّةُ الصوم	٦٠
٢ شهر رمضان	٦١
هل أيقنَ القلبُ بضيافة الله؟	٦٢
«.. إذا دخلَ شهرُ رمضانَ فَأَجْهِدوا أَنْفُسَكم..»	٦٣
الاستغفار والدّعاء	٦٤
من أدب الضيافة	٦٥

الحَذَر من المكابرة ٦٦
من أين يدخلُ أصحاب المعاصي؟ ٦٧
دعاءُ اليوم الثاني ٦٧
الغسل في الليالي المفردة ٦٨
صلاة اللّيلة الثالثة ٦٨

٣ شهر رمضان ٦٩

مَعنى الضّيافة ٧٠
من آداب الضيافة مجدّداً ٧٠
١- وداعُ سنة واستقبالُ أخرى ٧٠
٢- شريط السّنة الماضية ٧٠
٣- علامةُ حبِّ الله تعالى ٧١
دعاءُ اليوم الثالث ٧٢
صلاة اللّيلة الرابعة ٧٣

٤ شهر رمضان ٧٤

لِتَخْتَبِرْ مَا نحنُ عليه ٧٥
مراتبُ الصوم ٧٥
صومُ العوامّ، وصوم الخواصّ، وخواصِّ الخواصّ ٧٦
ماذا نأكل ونشرب ٧٨
* دعاءُ اليوم الرّابع ٨٠
* صلاة اللّيلة الخامسة ٨٠

٥ شهر رمضان ٨١

الأحكامُ الشرعيّة تفيضُ حبّاً لنا ٨٢
قضاءُ حوائجِنا، مَظهَرُ حبِّه لنا ٨٢
دعاءُ اليوم الخامس ٨٢
صلاة اللّيلة السّادسة ٨٣

٦ شهر رمضان ٨٤

هل كان استعدادُنا مناسباً ٨٥
* بيعةُ الإمام الرّضا عليه السلام ٨٧
دعاءُ اليوم السّادس ٨٧
صلاة اللّيلة السّابعة ٨٨

٧ شهر رمضان ٨٩

دعاءُ اليوم السّابع ٩٠
صلاة اللّيلة الثّامنة ٩٠

٨ شهر رمضان ٩٢

حُسن الخُلُق ٩٣

نظرة في النّفْس، والبيت	٩٦
دعاءُ اليوم الثّامن	٩٨
* صلاةُ اللّيلة التّاسعة	٩٨
٩ شهر رمضان	**٩٩**
دعاءُ اليوم التّاسع	١٠٥
صلاةُ اللّيلة العاشرة	١٠٥
١٠ شهر رمضان	**١٠٧**
حُسنُ الظّنِّ بالله عزّ وجلّ	١٠٨
دعاء اليوم العاشر	١١١
صلاة الليلة الحادية عشر	١١١
١١ شهر رمضان	**١١٢**
الاهتمام بمعرفة ليلة القدر	١١٣
صلاة لإدراك ليلة القدر	١١٥
* رؤية ليلة القدر	١١٧
دعاء اليوم الحادي عشر	١١٨
صلاة اللّيلة الثانية عشرة	١١٩
١٢ شهر رمضان	**١٢٠**
وحجّ بيتك الحرام	١٢١
دعاء اليوم الثّاني عشر	١٢٣
صلاة اللّيلة الثّالثة عشرة	١٢٤
صلاة اللّيالي البِيض	١٢٤
١٣ شهر رمضان	**١٢٦**
وقتلاً في سبيلك	١٢٧
الفصل الدَّخيل	١٢٧
دعاء اليوم الثّالث عشر	١٢٩
دعاء المُجير	١٢٩
صلاة اللّيلة الرابعة عشرة	١٣٠
صلاة اللّيالي البيض	١٣٠
١٤ شهر رمضان	**١٣١**
ولادة الإمام الحسن عليه السّلام	١٣٢
عشيّة استشهاد الأمير عليه السلام	١٣٣
حراجةُ الظّرف	١٣٦
تجرُّع الغُصَص	١٣٧
أجواء الشّهـادة	١٣٩

دعاء اليوم الرّابع عشر	١٤١
أعمال اللّيلة الخامسة عشرة	١٤١
١٥ شهر رمضان	**١٤٤**
شهر الإسلام	١٤٥
الصَّوم الحقيقيّ	١٤٦
دعاء اليوم الخامس عشر	١٤٩
دعاء المُجير	١٥٠
صلاة اللّيلة السّادسة عشرة	١٥٠
١٦ شهر رمضان	**١٥١**
معركة بدر، يوم الفرقان	١٥٢
بعضُ وفاءٍ لحمزة عمّ الرسول صلى الله عليه وآله	١٥٤
دعاء اليوم السّادس عشر	١٥٥
صلاة اللّيلة السّابعة عشرة	١٥٦
١٧ شهر رمضان	**١٥٧**
الصّلاة أوّل وقتها	١٥٨
آداب الصّلاة	١٥٩
صلة الرّحم	١٦١
الجيران	١٦٢
تخليص المال من التّبعات	١٦٣
تطهير القلب من العداوات	١٦٤
دعاء اليوم السّابع عشر	١٧٠
صلاة اللّيلة الثّامنة عشرة	١٧٠
١٨ شهر رمضان	**١٧٢**
نفس المصطفى	١٧٣
القدرُ وليلته	١٧٤
دعاء اليوم الثّامن عشر	١٧٥
فضيلة اللّيلة التاسعة عشر	١٧٦
الأعمال العامّة لليلة القدر	١٧٦
أعمال اللّيلة التّاسعة عشرة	١٨٠
يوم ليلة القدر	١٨١
لا تتهاوَن بيوم القدر	١٨٢
١٩ شهر رمضان	**١٨٣**
العشر الأواخر	١٨٤
الأعمال الخاصّة للعشر الأواخر	١٨٤

دعاء اليوم التاسع عشر	١٨٩	
صلاة الليلة العشرين	١٨٩	
٢٠ شهر رمضان		**١٩١**
في محراب عليّ عليه السلام	١٩٢	
الغريب المظلوم	١٩٢	
حبّ عليّ أو حبّ الدنيا	١٩٤	
يا سِرَّ ليلة القدر	١٩٥	
كيوم فقْد المصطفى صلى الله عليه وآله	١٩٥	
فتنح مكّـة	١٩٧	
دعاء اليوم العشرين	١٩٧	
الليلة الحادية والعشرون	١٩٨	
١- فضيلتها	١٩٨	
٢- الإسراء	١٩٨	
٣- الأعمـال الخاصّة	١٩٩	
٢١ شهر رمضان		**٢٠٢**
أدعية العشر الأواخر	٢٠٣	
دعاء اليوم الحادي والعشرين	٢٠٣	
صلاة الليلة الثانية والعشرين	٢٠٤	
٢٢ شهر رمضان		**٢٠٥**
دعاء اليوم الثاني والعشرين	٢٠٦	
ليلة الجُهَني	٢٠٦	
معنى القـدْر	٢٠٧	
ليلة صاحب الأمر	٢٠٨	
علامات ليلة القدر	٢١٠	
أعمال الليلة الثالثة والعشرين	٢١١	
١- الغُسل	٢١١	
٢- الإحياء	٢١١	
٣- زيارة سيّد الشهداء عليه السلام	٢١١	
٤- السُوَر المباركة	٢١٢	
٥-الأدعية	٢١٣	
٦- الصلوات	٢١٩	
٢٣ شهر رمضان		**٢٢١**
تذكير بأهمّية يوم القدر	٢٢٢	
دعاء اليوم الثالث والعشرين	٢٢٢	
دعاء الوداع في آخر جمعة	٢٢٣	
صلاة الليلة الرابعة والعشرين	٢٢٣	

٢٤ شهر رمضان	٢٢٤
دعاء اليوم الرّابع والعشرين	٢٢٥
صلاة اللّيلة الخامسة والعشرين	٢٢٥
٢٥ شهر رمضان	٢٢٦
لنتداركْ تقصيرنا	٢٢٧
رصيد الآخرة	٢٢٨
كيف نتدارك؟	٢٢٩
دعاء اليوم الخامس والعشرين	٢٣٠
صلاة اللّيلة السّادسة والعشرين	٢٣٠
٢٦ شهر رمضان	٢٣١
تجديد التّوبة	٢٣٢
كيف نحصي ذنوبنا؟	٢٣٥
كيف نستغيث؟	٢٣٥
دعاء اليوم السّادس والعشرين	٢٣٧
صلاة اللّيلة السّابعة والعشرين	٢٣٧
٢٧ شهر رمضان	٢٣٨
الاستعداد للوداع	٢٣٩
قبل فوات الأوان:	٢٤٠
دعاء اليوم السّابع والعشرين	٢٤١
صلاة اللّيلة الثّامنة والعشرين	٢٤١
٢٨ شهر رمضان	٢٤٢
لمن المُلك اليوم؟	٢٤٣
ما أوضح الهدف!	٢٤٤
دعاء اليوم الثّامن والعشرين	٢٤٥
صلاة اللّيلة التّاسعة والعشرين	٢٤٥
٢٩ شهر رمضان	٢٤٦
اليوم الأخير، وليلة العيد	٢٤٧
أعمال اليوم الأخير	٢٤٧
الاستعداد لدخول شوّال	٢٤٨
دعاء اليوم التّاسع والعشرين	٢٤٨
ليلة العيد	٢٤٩
أعمال ليلة العيد	٢٥١
٣٠ شهر رمضان	٢٥٩
من مستحبّات يوم العيد	٢٦٠
صوم ستّة أيّام	٢٦٦
عيد الفرد، والأُمّة	٢٦٦

تقديم

هذا الكتاب هو اختصارُ الجزء الثالث من سلسلة (مناهل الرجاء)، ويرجع السبب في عدم التوسّع في اختصار هذا الجزء -كما في سابقَيه- إلى كثرة الأعمال وكثرة النقاط العمليّة التي تمسّ الحاجة إليها في شهر الله تعالى الذي كان شَهرا رجب وشعبان تمهيداً له.

يُمكن اعتماد هذا المختصَر كبرنامج عمليّ يوميّ طيلة الشهر الكريم وإلى يوم العيد.

سيجد القارئ أنه أمام منهجٍ في تقديم العبادات يراعي الأسس التالية:

١- محاولة استقصاء جميع الأعمال المروية عن المعصومين عليهم السلام.

٢- اعتماد عدد من أبرز أمّهات المصادر لكبار الفقهاء خصوصاً الشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والشهيدَين الأول والثاني..

٣- تظهير نصوص «سيّد العلماء المراقبين» السّيّد ابن طاوس قدس سره، وإعطاؤها الأولوية في مقام بيان خصائص المراقبات، وبدرجة ثانية نصوص الفقيه العارف «المَلَكي التبريزي» صاحب كتاب (المراقبات).

٤- التركيز على إبراز العناية بالسّند خصوصاً في نصوص السّيّد ابن طاوس للردّ العملي على شبهة لدى بعض المتأثّرين عن غير قصد بالغزو الثقافي الذين يحاربون بعض الأعمال العبادية المؤقّتة وغيرها، متذرّعين بمغالطة «السّند» ناسينَ أنّ الفقه التخصّصي «الجواهري» -بتعبير الإمام الخميني قدس سره- أعمق بكثيرٍ من مجرّد دراسة «السّند» كما ثبت في محلّه.

أكتفي هنا بالإلفات إلى أنّ ضعف السّند لا ينتج إلا حُرمةَ نسبة هذا المتن إلى المعصوم، وعليه فلو أنّ شخصاً عمل بالمضمون برجاء الصدور، ولم يكن مضمون المتن منافياً للثوابت الشرعية فلا شُبهة في جواز هذا العمل، بل يحثّ عليه كبار الفقهاء.

***

كان لا بدّ من الإضاءة على المنهج المعتمَد لتكتمل مهمّة هذا الكتاب في إثبات أنّ من أظهرِ ما يحقّق حُسن الاقتداء بسيّد النبيّين صلّى الله عليه وآله، أن تكون حركة القلب والحياة لكلّ مؤمن مرتبطة بالأعمال العبادية المؤقّتة وغيرها. والله تعالى من وراء القصد.

حسين كوراني
لبنان - بيروت
٢٦ شعبان ١٤٣٤ هجريّة

(١)

شهر رمضان

مراسم افتتاح الضيافة

* ضيافة الله
* الشياطين مغلولة
* العتق من النار
* أدب الدخول إلى ضيافة الرحمن
* أعمال اللّيلة الأولى
* الأدعية العامة للّيالي
* صلاة الليلة الأولى
* اللّقمة الحلال
* الأعمال العامة لليوم الأول
* الأعمال العامة لكل يوم
* الأعمال الخاصة لكل يوم
* دعاء اليوم الأوّل
* أعمال كل ليلة
* تقديم الصلاة، أو الإفطار؟
* آداب الإفطار
* ما بعـد الإفطار
* دعاء الافتتاح
* صلوات كـلّ ليـلة
* ترجيح الأولى: الألـف ركعـة
* صلاة اللّيلة الثانية
* الســـحور
* نية الصوم
* أيَّ صَوم نريد؟

ضيافةُ الله

ألحمدُ لله الذي بلّغنا شهرَ الصيام والقيام، ونسأله سبحانه أن لا يجعل حظّنا منه الجوعَ والعطش. ما هكذا الظنُّ به ولا المعروفُ من فضله، وقد أُمرنا أن نُردّد في رجب «**عادتُك الإحسانُ إلى المُسيئين**». وفي شعبان: «**إلهي لو أردتَ هواني لم تَهْدِني**».

وها هي بركاتُ الشهر الكريم تتواصل، فترفع منسوب الأمل الواعد إلى أعلى مستوياته.

* **ورد في خطبة رسول الله** صلى الله عليه وآله:

«**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَبْوَابَ الْجِنَانِ فِي هَذَا الشَّهْرِ مُفَتَّحَةٌ، فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لا يَغلقَهَا عَلَيكُم، وَأَبْوَابَ النِّيرَانِ مُغَلَّقَةٌ، فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لا يَفتَحَها عَلَيْكُمْ، وَالشَّيَاطِينَ مَغْلُولَةٌ، فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لا يُسَلِّطَهَا عَلَيْكُمْ**».

وفي الروايات الحديثُ عن فتح أبواب السماء أو أبواب الجنان إذا أتبعَ المؤمنُ الصلاةَ على النبيّ بالصلاة على آله صلّى الله عليه وآله.[1]

كما ورد أنّ أبواب الجنان تفتَح كلّ يوم في أوقات الصلاة، وقد ورد في الرواية تحديدُ سبب الفتح بصعود الأعمال.[2]

وقال صدر المتألّهين رحمه الله تعالى:

«وإذا غُلّقت أبواب النيران فُتحت أبوابُ الجنان، بل هي على شكلِ البابِ الذي إذا فُتح على موضعٍ انسدَّ عن موضعٍ آخر، فعينُ غلْق أبواب إحداهما عينُ فتْح أبواب الأخرى».[3]

* والشياطين مغلولة

قال السّيّد ابن طاوس عليه الرحمة: «**إعلم أن الرواية وردتْ بذلك متظاهرة ومعانيها متواترة متناصرة، ونحن نذكر من طُرقنا إليه ألفاظ الشيخ محمد بن يعقوب (الكليني) فإنّ كُتبه كلّها معتمدٌ عليها**، وقد روى عن جابر **عن أبي جعفر** عليه السلام، **قال: كان رسولُ** الله صلّى الله عليه وآله **يُقبل بوجهه الى الناس فيقول: يا معشرَ الناس، إذا طلع هلالُ شهر رمضان غُلّت مَرَدَةُ الشياطين، وفُتحت [أبواب السماء و] أبواب الجنان وأبواب الرحمة، وغلّقت أبواب النار، واستُجيب الدعاء، وكان لله فيه عند كلّ فطرٍ عتقاءُ يعتقُهم الله من النار، ومنادٍ ينادي كلّ ليلة: هل من سائل، هل من مستغفر، أللّهمّ أعطِ كلّ مُنفقٍ خلفاً، وأعطِ كلّ مُمسك تَلَفاً، حتّى إذا طلع هلالُ شوّال نُودي المؤمنون أنِ اغدوا الى جوائزكم فهو يوم الجائزة، ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: أما والذي نفسي بيده، ما هي بجائزة الدنانير والدراهم**».

١- إبن فهد الحلي، الرسائل العشر: ص ٤٣٨.

٢- العلامة الحلي، منتهى المطلب (ط.ق): ١/ ٢١١.

٣- ملا صدرا الشيرازي (صدر المتألّهين)، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: ٥/ ٣٣١.

أضاف السّيّد: «ورأيتُ حديثَ خطبة النبي صلّى الله عليه وآله روايةَ أحمد بن محمّد بن عياش في كتاب الأغسال، بنسخةٍ تاريخُ كتابتها ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وأربعمائة، يقول بأسناده إلى مولانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: لمّا كان أولُ ليلة من شهر رمضان قام رسولُ الله صلّى الله عليه وآله، فحمدَ الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس، قد كَفاكُمُ اللهُ عدوَّكم من الجنّ والإنس، وَوعدَكم الإجابةَ وقال ادعوني أستجبْ لكم، ألا وقد وكّل اللهُ سبحانه وتعالى بكلّ شيطان مَريد سبعةً من الملائكة، فليس بمحلولٍ حتّى ينقضيَ شهرُ رمضان، ألا وأبواب السماء مفتّحة من أول ليلةٍ منه الى آخر ليلةٍ منه، ألا والدعاءُ فيه مقبول. حتّى إذا كان أولَ ليلة من العشر قام فحمدَ الله وأثنى عليه، وقال مثلَ ذلك، ثم قام وشَمَّر وشدَّ المئزرَ وبرز من بيتِه واعتكفَ وأحيا اللّيلَ كلّه، وكان يغتسلُ كلّ ليلةٍ منه بين العشاءَين».[1]

* وتسأل:

إذا كانت كلّ هذه الأمور موجودة في شهر الله تعالى خصوصاً أنّ الشياطين مغلولة، فلماذا نُذنب إذاً؟

وقد سأل أحدهم السّيّد ابن طاوس عليه الرحمة سؤالاً قريباً من هذا، فأجابه السّيّد عليه الرحمة بإجابات عدّة من جملتها قولُه: «إن العبد له قبل شهر رمضان ذنوبٌ قد سوّدَت قلبَه وعقلَه، وصارت حجاباً بينه وبين الله جلّ جلالُه، فلا يُستبعد أن تكون ذنوبه السالفة كافيةً في استمرار غفلته، فلا يؤثّر منعُ الشياطين عند الإنسان لعظيم مصيبتِه».[2]

خلاصة الجواب أنّ مَن ارتكبَ ذنوباً كثيرة قبل شهر رمضان المبارك، يبقى يرتكبُ المعاصي بزَخم الذنوب التي ارتكبَها. أللّهمّ أعنّا على أنفسنا.

أعمال اللّيلة الأولى

هذه اللّيلة الأولى هي افتتاح هذا الموسم الإلهي، موسم شهر رمضان المبارك، وبما أنّ كلّ التركيز على شهرَي رجب وشعبان من أجل شهر رمضان، وها قد أطلّ الشهر الكريم العظيم، فكيف نستقبلُه؟

المطلوب أولاً، أن نهتمّ باللّيلة الأولى قبل حلولها أو أول حلولها بالاستهلال فنكون جاهزين للاستهلال قبل غروب الشمس.

كان كلّ ما تقدّم من اهتمام بمراقبة النفس والعبادة، من أجل أن نرفع من مستوى تفاعلنا واستقبالنا لشهر الله تعالى.

١- السّيّد ابن طاوس، إقبال الأعمال: ١/ ٧١-٧٣.

٢- السّيّد ابن طاوس، إقبال الإعمال: ١/ ٧٤.

للساعات الأولى من الضيافة -أيّ ضيافة- أهميّة خاصّة، قد تترك ظلالها على كلّ فترة الضيافة، وقد تتحكّم بالنتائج التي تحصل منها، ولا بدّ للقلب من التنبّه بامتياز لهذه الخصوصية، فيغتنم فرصة مستهلّ ضيافة الرحمن، ويأخذ بنصيبٍ وافرٍ من الدعاء، لا سيّما وأنّ أجواء شهر الله تعالى لم تلوّث بعد بذنوبه ولا بذنوب غيره، وإن كان، فما تزال الأمور في بداياتها، وَلْيَحْذر القلب من أن يكون حالُه كحال مَن شارك في ضيافة، وعندما أزفت ساعة الدخول إلى رحاب صاحب الدعوة انشغلَ عنه بأمور هامشيّة، رغم أنّه يرى الجميع منصرفين إلى السلام عليه والحديث معه، والقيام بفروض التحية والاحترام.

العتق من النار!

أول ليلة من شهر رمضان جديرة بالاستعداد لها لاغتنام كلّ ما أمكن من لحظاتها. فيها يعتقُ الله تعالى أعداداً كبيرة من الخَلْق. فهل نعمل بما يرفع من مستوى رجائنا أن تكون رقابنا من بين تلك الرقاب؟

عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إذا كانت أوّل ليلةٍ من شهر رمضان غَفرَ اللهُ لِمَن شاء من الخَلق، فإذا كانت اللّيلة الّتي تليها ضاعفَهُم، فإذا كانت اللّيلة الّتي تليها ضاعف كلّ ما أَعتَق، حتّى إذا كانت آخر ليلة في شهر رمضان ضاعَفَ مثلما أعتَقَ في كلّ ليلةٍ».**[1]

وقد أورد الشيخ المفيد عليه الرحمة والرضوان، في **(أمالي المفيد)** ما يلي:

«إنَّ للهِ تعالى في آخرِ كلّ يومٍ من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النّار، فإذا كانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة أَعتَق في كلّ ساعةٍ منهما ألف ألف عتيقٍ من النّار، وكلُّهم قد استَوجَبوا العذاب، فإذا كان في آخر [يومٍ من] شهر رمضان، أَعتقَ اللهُ في ذلك اليوم بِعددِ ما أعتَق من أوّل الشّهر إلى آخره».[2]

عندما يهتمّ الإنسان بعتق رقبتِه من النار ويفتتح هذا الموسم الإلهي بطلب الرحمة، فإنّه يعبّر بذلك عن يَقَظةٍ وتنبُّهٍ خاصَّين، وعن خروجٍ من الغفلة، ويصبح أكثر استحقاقاً للرحمة الإلهيّة ويختلف حالُه جذرياً عمّن يمضي هذه اللّيلة غافلاً عن افتتاح الموسم الإلهي الكبير، موسم الضيافة الخاصّة والرحمة الأوسع، ورحمَ اللهُ مَن بذلَ قُصارى جهده في الدعاء لغيره -خصوصاً للمجاهدين بالنّصر وقضاء الحوائج- فإنّ في ذلك مظنّةً متميّزةً لقبوله وقضاء جميع حوائجه.

١- الإقبال: ١/ ٢٨، بتصرّف يسير.
٢- الشيخ المفيد، الأمالي: ص ٢٣١.

* أدبُ الدّخول إلى ضيافة الرّحمن

قال السيّد ابن طاوس عليه الرحمة: «ويكونُ على الجالسِ (في هذه الضّيافة) المُخالفِ لصاحب الرِّسالة، آثارُ الحياءِ والخَجالة، لأجلِ ما كان قد أَسلَف مِن سوءِ المعاملةِ لِمالِكِ الجلالة، وليَظهرْ عليه من حُسنِ الظّنّ والشُّكر للمالك الرّحيم الشّفيق كيف شرَّفَه بالإذن له في الدّخول والجلوس مع أهل الإقبال والتّوفيق إن شاء الله تعالى».[1]

أضاف السّيّد: «واعلَم أنّني لمّا رأيتُ أنّ شهرَ رمضان أوّل سنة السّعادات بالعبادات، وأنَّ فيه ليلةَ القدر الّتي فيها تدبيرُ أمور السّنة وإجابة الدّعوات، اقتَضى ذلك أنّي أوَدِّعُ السّنة الماضية وأستَقبلُ السّنة الآتية بصلاة الشُّكر كيف سَلَّمني من أخطارِ ذلك العام الماضي، وشرَّفَني بخِلَع التَّراضي، وأغناني عن التّقاضي، وفرَّغني لاستقبال هذا العام الحاضر، ولم يَمنعني من الظَّفر بالسّعادة والعبادة فيه بمرضٍ ولا عَرَضٍ باطنٍ ولا ظاهرٍ "..." ثمّ إنّني أُحْضِرُ هذا الكتاب، عملَ شهر الصّيام، وأُقبِّله وأجعلُه على رأسي وعيني، وأضمُّه إلى صدري وقلبي، وأراه قد وَصَل إليَّ من مالِكِ أمري ليَفتح به عليَّ أبوابَ خَيري وبرِّي ونصري، وأتلقّاه بِحَمدي وشُكري، وشُكرِ الرَّسول الّذي كان سبباً لصلاح أمري، كما اقتَضى حكمُ الإسلام تعظيمَ المشاعر في البيت الحرام وتقبيلَها بفَم الاحترام والإكرام "..." ثمّ إنّني أبدأُ بالفعل، فاسألُ اللهَ جلَّ جلالُه العفوَ عمّا جرى من ظلمي له وحَيْفي عليه، وكلّما هوَّنْتُ به من تطهير القلب وإصلاحه لِنَظر اللهِ جلَّ جلالُه إليه، والعفوَ عن كلّ جارحةٍ أهمَلتْ شيئاً من مهمَّاتها وعباداتها، والاجتهاد في التَّوبة النّصوح من جناياتها، والصّدقة عن كلّ جارحة بما تَهَيَّأ من الصَّدقات، لقول الله جلَّ جلاله: ﴿.. إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ..﴾. أتصدَّقُ عن أيّام السّنة المستقبلة عن كلِّ يومٍ وليلة برغيفٍ، لأجل ما رويناه من فضل الصَّدقة وفائدته».[2]

* الدعاء عند رؤية الهلال

أوّل ما ينبغي أن نستقبلَ به هذه اللّيلة المباركة عند رؤية الهلال المبارك هو الدعاء. عن الإمام الباقر عليه السلام: «كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله، إذا أهلّ هلالُ شهر رمضان استقبلَ القبلةَ ورفع يدَيه فقال:

«أَللّٰهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنا بِالأَمْنِ وَالإيْمانِ، وَالسَّلامَةِ وَالإسْلامِ، وَالعافِيَةِ المُجَلَّلَةِ، والرِّزقِ الواسِعِ ودَفْعِ الأسْقامِ، أَللّٰهُمَّ ارْزُقنا صِيامَهُ وقِيامَهُ وَتِلاوَةَ القُرْآنِ فيه، أَللّٰهُمَّ سَلِّمْهُ لنا وتَسَلَّمْهُ منّا وسلِّمْنا فيه».[3]

١- الإقبال: ١/ ٧٠.
٢- الإقبال: ١/ ٧١.
٣- الكليني، الكافي: ٤/ ٧٠-٧١.

* وفي رواية ثانية:

«اللّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنا بِالأَمْنِ وَالإِيْمانِ، وَالسَّلامَةِ وَالإِسْلامِ، وَالعافِيَةِ المُجَلَّلَةِ، والرِّزقِ الواسِعِ، ودَفْعِ الأَسْقامِ، وَالعَوْنِ عَلى الصَّلاةِ وَالصِّيامِ وَالقِيامِ وَتِلاوَةِ القُرْآنِ، اللّهُمَّ سَلِّمْنا لِشَهْرِ رَمَضانَ وَتَسَلَّمْهُ مِنَّا وَسَلِّمْنا فِيْهِ حَتَّى يَنْقَضِي عَنَّا شَهْرُ رَمَضانَ وَقَدْ عَفَوْتَ عَنَّا وَغَفَرْتَ لَنا وَرَحِمْتَنا».[1]

* عن الإمام الصّادق عليه السلام: «كان عليٌّ عليه السلام، إذا كان بالكوفة يخرجُ والنّاس معه يَتَراءى هلالَ شهر رمضان (أي ليستهلّ)، فإذا رآه قال: اللّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنا بِالأَمْنِ وَالإِيْمانِ، وَالسَّلامَةِ وَالإِسْلامِ، وصحَّةٍ من السّقمِ، وفراغٍ لِطاعتِكَ من الشّغلِ، واكفِنا بالقَليلِ من النَّوم، يا رحيمُ».[2]

* الغُسل: علاج الحَكّة

من مستحبّات اللّيلة الأولى من شهر رمضان المبارك، الغُسل، فقد ورد عن الإمام الصّادق عليه السلام: «يستَحبّ الغُسل في أوّل ليلة من شهر رمضان وليلةَ النّصف منه». وتحدّد روايةٌ وقتَ هذا الغسل «أوّلِ اللّيل»، وفي رواية ثانية أنّه «بين صلاة المغرب والعشاء»، ولكنّ السّيّد ابن طاوس اختار أنّ وقته «قبل العشاء».

كما تتضمّن رواية ثالثة فائدة هامّة لهذا الغسل في أوّل ليلة من شهر رمضان، وهي أنّ مَن يصاب عادةً بالحكّة في جسدِه فباستطاعته أن يداوي هذه الحكّة بهذا الغسل المستحبّ.

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «مَن أَحَبَّ أنْ لا يكون به الحكّة، فليَغتسل أوّل ليلةٍ من شهر رمضان، فإنَّه مَن اغتَسَل في أوَّلِ ليلةٍ منه لا يُصيبُه حكّةٌ إلى شهرِ رمضان مِن قابل».[3]

وفي رواية أخرى طريقةٌ خاصّة للغسل في هذه اللّيلة:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَن اغتَسل أوّل ليلةٍ من شهر رمضان في نهرٍ جارٍ، ويصبُّ على رأسه ثلاثين كفّاً من الماء، طَهُر إلى شهر رمضان من قابل».[4]

١- المحدّث القمّي، مفاتيح الجنان؛ والإقبال: ١/ ٦٣.

٢- الإقبال: ١/ ٦٥؛ والمحدّث النوري، مستدرك الوسائل: ٧/ ٤٤٢، وانظر: بإضافة كلمة «يارحيم».

٣- أنظر في كلّ ما تقدّم حول الغسل: الإقبال: ١/ ٥٥؛ والكافي: ٣/ ٤٠.

٤- المصدر؛ وانظر في استحباب الغسل في أول ليلة: الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ١/ ٧٩؛ والشيخ المفيد، المقنعة: ص ٥١؛ وفي توقيته: الحر العاملي، الوسائل: ٣/ ٣٢٥.

* صلاةُ الشكر

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «إذا أنعمَ اللهُ عزَّ وجلَّ عليك بنعمةٍ فصلِّ ركعتَين، تقرأ في الأولى بـ (فاتحة الكتاب) و(قل هو الله أحد)، وتقرأ في الثّانية بـ (فاتحة الكتاب) و(قل يا أيّها الكافرون)، وتقول في الرَّكعة الأولى في رُكوعك وسُجودك: ألحمدُ لله، شكراً شكراً وحمداً، وتقول في الرّكعة الثّانية في ركوعك وسجودك: ألحمدُ للهِ الّذي استجابَ دُعائي وأعطاني مسألتي».[1]

والنيّةُ التي تنبغي في هذه الصلاة في بداية شهر رمضان، كما تقدّم في كلام السيّد، شكرُ الله تعالى على نعمة السلامة من أخطار السنة الماضية، ونعمة التوفيق للدّخول في هذه السنة الجديدة، والإذن بالمشاركة في ضيافته سبحانه، والتوفيق للصيام.

* فاستَقبل الشهرَ بالقرآن

ينبغي للمؤمن أن يُعطي الأولوية المطلقة بدءاً من أوّل هذه اللّيلة، لقراءة القرآن الكريم، وذِكر الله تعالى وخاصّة الاستغفار، اللّذَين ورد الحثّ عليهما بعناية خاصّة في جميع أوقات شهر الله تعالى.

عن الإمام الصّادق عليه السلام: « إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ: فَغُرَّةُ الشهور شهرُ الله، وهو شهرُ رمضان، وقلبُ شهرِ رمضان ليلةُ القدر ".." فاستقبلِ الشّهرَ بالقرآن».[2]

* كَثرةُ الاستغفار والدّعاء

وعنه عليه السلام : «قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: عليكم في شهر رمضان بكَثرة الاستغفار والدّعاء، فأمّا الدّعاء فيُدفَع به عنكم البلاء، وأمّا الاستغفار فيمحو ذنوبَكم».[3]

* زيارة سيّد الشّهداء عليه السلام

وقد ورد في أعمال هذه اللّيلة التأكيد على زيارة سيد الشهداء عليه السلام.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «أنَّه سُئل عن زيارة أبي عبد الله عليه السلام، فقيل: هل في ذلك وقتٌ هو أفضلُ من وقتٍ؟ فقال: زُوروه صلَّى الله عليه في كلّ وقتٍ وفي كلّ حينٍ، فإنَّ زيارتَه عليه السلام خيرُ موضوع، فمَن أكثرَ منها فقد استَكثَرَ من الخَير ومَن

١- المجلسي، البحار: ٨٨/ ٣٨٤ نقلاً عن مصباح المتهجّد، ومكارم الأخلاق؛ وانظر: الشيخ المفيد، الأشراف: ص ٢٩-٣٠؛ والطبرسي، مكارم الأخلاق: ص ٣٢٧.

٢- الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٩٩.

٣- الكليني، الكافي: ٤/ ٨٨، بتصرّف يسير.

قَلَّلَ قُلِّل له، وتَحَرُّوا بزيارتِكم الأوقات الشّريفة، فإنَّ الأعمالَ الصالحة فيها مُضاعَفةٌ، وهي أوقاتُ مَهبطِ الملائكةِ لزيارته.

قال (الراوي): فسُئِل عن زيارته في شهر رمضان؟ فقال: مَن جاءَه عليه السلام خاشِعاً محتسباً مُستقيلاً مُستغفراً، فشَهدَ قبرَه في إحدى ثلاث ليالٍ من شهر رمضان: أوّل ليلةٍ من الشّهر، أو ليلة النّصف، أو آخر ليلةٍ منه، تَساقَطت عنه ذنوبُه وخطاياهُ الّتي اجتَرَحَها، كما يَتساقطُ هشيمُ الوَرَق بالرِّيح العاصِف، حتَّى أنَّه يكون من ذنوبِه كَهيئة يوم وَلَدَتْه أمُّه، وكانَ له مع ذلك مِن الأجرِ مثلُ أجرِ مَن حجَّ في عامِه ذلك واعتَمَر، ويُناديه مَلَكان يَسمع نداءَهما كلُّ ذي رُوحٍ إلّا الثّقلين من الجنِّ والإنس، يقول أحدُهُما: يا عبدَ اللهِ طَهُرْتَ فاستأنِفِ العمل، ويقولُ الآخَر: يا عبدَ اللهِ، أحسَنْتَ فأبْشِر بمغفرةٍ من الله وفضلٍ».[1]

والمُراد في الرواية هو الزيارة من قُرب، أي أن يذهب الزائر إلى كربلاء، ويتشرّف بزيارة الإمام عليه السلام، إلا أنّ الزيارة من بُعد أيضاً ذات فضل كبير، فينبغي أن لا تُترك خصوصاً مع تمنّي الزيارة وعدم التمكّن منها.

* أوّل كلّ شهر؟

أوّلُ كلّ شهر هو عندَ رؤية هلاله. قال السيّدُ ابن طاوس عليه الرحمة: «ورأيتُ في كتابٍ صغيرٍ عندنا أوّلُه مسألة للمفيد محمّد بن محمّد بن النعمان في عصمة الأنبياء عليهم السلام، أنّه سُئل عن أوّل الشهر أهو اللّيل أم النهار، فقال: أوّلُه اللّيل».[2]

* أدعية اللّيلة الأولى

أدعية اللّيلة الأولى من شهر رمضان كثيرة جدّاً، وردت في (الكافي) و(البحار) و(الوسائل)، وغيرها، وقد استقصاها السّيّد ابن طاوس عليه الرحمة والرضوان في (إقبال الأعمال)[3]، ومَن لم يتيسّر له الرجوع إليه فيُمكنه الرجوع إلى (مفاتيح الجنان)، فقد أورد المحدّث القمّي شطراً منها ضمن القائمة الوافية التي أوردَها لأعمال اللّيلة. وحيث لا يتّسع المقام لإيرادها، فسأذكر بعضها.

١- دعاء الإمام السجّاد عليه السلام عند دخول شهر رمضان، وهو الدعاء الرابع والأربعون من أدعية الصحيفة السجّادية.

٢- قال السّيّد ابن طاوس عليه الرحمة: «ورويتُ هذا الدعاء بعدّة طُرق، وإنّما ذُكر هَهنا لفظُ ابن بابويه من كتاب (مَن لا يحضره الفقيه)، فقال ما هذا لفظه:

١- الإقبال: ١/ ٤٥-٤٦.
٢- الإقبال: ١/ ١١٥.
٣- أنظر: الإقبال: ١/ ٤٤، و٦٣، و٧٦، و١١٠، و١٤٥-١٤٨.

ورُوي عن العبد الصّالح موسى بن جعفر عليهما السلام فقال: أُدْعُ بهذا الدُّعاء في شَهر رَمَضان مستقبَلَ دخولِ السَّنة، وذكر أنَّ مَن دعا به مُخلصاً مُحتسباً لم يُصبْه في تلك السّنة فتنةٌ ولا آفةٌ في دِينِه ودُنياه وبَدَنِه، ووَقاه اللهُ شرَّ ما يأتي به في تلك السّنة:

أللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي دانَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَبِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِعِزَّتِكَ الَّتِي قَهَرْتَ بِها كُلَّ شَيءٍ، وَبِعَظَمَتِكَ الَّتِي تَواضَعَ لَها كُلُّ شَيْءٍ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتِي خَضَعَ لَها كُلُّ شَيءٍ، وَبِجَبَرُوتِكَ الَّتِي غَلَبَتْ كُلَّ شَيءٍ، وَبِعِلْمِكَ الَّذِي أَحاطَ بِكُلِّ شَيءٍ، يا نُورُ يا قُدُّوسُ، يا أَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ، وَيا باقِياً بَعْدَ كُلِّ شَيءٍ، يا اللهُ يا رَحْمنُ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ، وَاغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ النِّقَمَ، وَاغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَقْطَعُ الرَّجاءَ، وَاغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُدِيلُ الأَعْداءَ، وَاغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تَرُدُّ الدُّعاءَ، وَاغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ البَلاءِ، وَاغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَحْبِسُ غَيْثَ السَّماءِ، وَاغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تَكْشِفُ الغِطاءَ، وَاغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُعَجِّلُ الفَناءَ، وَاغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُورِثُ النَّدَمَ، وَاغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ العِصَمَ، وَأَلْبِسْنِي دِرْعَكَ الحَصِينَةَ الَّتِي لا تُرامُ، وَعافِنِي مِنْ شَرِّ ما أَخافُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ فِي مُسْتَقْبَلِ سَنَتِي هذِهِ.

أللَّهُمَّ رَبَّ السَّماواتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ السَّبْعِ وَما فِيهِنَّ وَما بَيْنَهُنَّ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، وَرَبَّ السَّبْعِ المَثانِي وَالقُرْآنِ العَظِيمِ، وَرَبَّ إِسْرافِيلَ وَمِيكائِيلَ وَجَبْرائِيلَ، وَرَبَّ مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ المُرْسَلِينَ، أَسْأَلُكَ بِكَ وَبِما تَسَمَّيْتَ بِهِ، يا عَظِيمُ أَنتَ الَّذِي تَمُنُّ بِالعَظِيمِ، وَتَدْفَعُ كُلَّ مَحْذُورٍ، وَتُعْطِي كُلَّ جَزِيلٍ، وَتُضاعِفُ من الحَسناتِ الكثيرَ بِالقَلِيلِ، وَتَفْعَلُ ما تَشاءُ.

يا قَدِيرُ يا اللهُ يا رَحْمنُ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَلْبِسْنِي فِي مُسْتَقْبَلِ سَنَتِي هذِهِ سِتْرَكَ، وَأَضِئْ وَجْهِي بِنُورِكَ، وَأَحِبَّنِي بِمَحَبَّتِكَ، وَبَلِّغْ بِي رِضْوانَكَ وَشَرِيفَ كَرائِمِك وجزيلَ عطائِكَ، مِنْ خَيْرِ ما عِنْدَكَ وَمِنْ خَيْرِ ما أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ سِوى مَن لا يعدِلهُ عندَكَ أحَدٌ في الدُّنيا والآخِرَةِ، وَأَلْبِسْنِي مَعَ ذلِكَ عافِيَتَكَ.

يا مَوْضِعَ كُلِّ شَكْوى، وَيا شاهِدَ كُلِّ نَجْوى، وَيا عالِمَ كُلِّ خَفِيَّةٍ، وَيا دافِعَ ما تَشاءُ مِنْ بَلِيَّةٍ، يا كَرِيمَ العَفْوِ، يا حَسَنَ التَّجاوُزِ، تَوَفَّنِي عَلى مِلَّةِ إِبْراهِيمَ وَفِطْرَتِهِ، وَعَلى دِينِ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسُنَّتِهِ، وَعَلى خَيْرِ الوَفاةِ فَتَوَفَّنِي مُوالِياً لأَوْلِيائِكَ، وَمُعادِياً لأَعْدائِكَ.

أللَّهُمَّ وَامْنَعْنِي [فِي هذِهِ السَّنَةِ] من كُلِّ عَمَلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ يُباعِدُنِي مِنْكَ، وَاجْلِبْنِي إِلى كُلِّ عَمَلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ يُقَرِّبُنِي مِنْكَ فِي هذِهِ السَّنَةِ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَامْنَعْنِي مِنْ كُلِّ عَمَلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ يَكُونُ مِنِّي أَخافُ سوءَ عاقِبَتِهِ، وَأَخافُ مَقْتَكَ إِيَّايَ عَلَيْهِ، حذارِ أَنْ تَصْرِفَ وَجْهَكَ الكَرِيمَ عَنِّي فَأَسْتَوْجِبَ بِهِ نَقْصاً مِنْ حَظِّي عِنْدَكَ، يا رَؤُوفُ يا رَحِيمُ.

أللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِي مُسْتَقْبَلِ هذِهِ السَّنَة فِي حِفْظِكَ وَفِي جِوارِكَ وَفِي كَنَفِكَ، وَجَلِّلْنِي عافِيَتَكَ، وَهَبْ لِي كَرامَتَكَ، عَزَّ جارُكَ، وَجَلَّ ثَناؤُكَ، وَلا إِلهَ غَيْرُكَ. أللَّهُمَّ اجْعَلْنِي تابِعاً لِصالِحِي مَنْ مَضى مِنْ أَوْلِيائِكَ، وَأَلْحِقْنِي بِهِمْ، وَاجْعَلْنِي مُسَلِّما لِمَنْ قالَ بِالصِّدْقِ عَلَيْكَ مِنْهُمْ، وأَعُوذُ بِكَ يا إلهي أَنْ تُحِيطَ بِي خَطِيئَتِي وَظُلْمِي وَإِسْرافِي عَلى نَفْسِي وَاتِّباعِي لِهَوايَ وَاشْتِغالِي بِشَهَواتِي فَيَحُولَ ذلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَحْمَتِكَ وَرِضْوانِكَ، فَأَكُونَ مَنْسِيّاً عِنْدَكَ، مُتَعَرِّضاً لِسَخَطِكَ وَنِقْمَتِكَ.

أللَّهُمَّ وَفِّقْنِي لِكُلِّ عَمَلٍ صالِحٍ تَرْضى بِهِ عَنِّي، وَقَرِّبْنِي إِلَيْكَ زُلْفى. أللَّهُمَّ كَما كَفَيْتَ نَبِيَّكَ مُحَمَّداً صلواتك عَلَيْهِ وَآلِهِ هَوْلَ عَدُوِّهِ، وَفَرَّجْتَ هَمَّهُ، وَكَشَفْتَ كَرْبَه، وَصَدَقْتَهُ وَعْدَكَ، وَأَنْجَزْتَ لَهُ عَهْدَكَ، أللَّهُمَّ فَبِذلِكَ فَاكْفِنِي هَوْلَ هذِهِ السَّنَةِ وَآفاتِها وَأَسْقامَها وَفِتَنَها وَشُرُورَها وَأَحْزانَها وَضِيقَ المَعاشِ فِيها، وَبَلِّغْنِي بِرَحْمَتِكَ كَمالَ العافِيَةِ بِتَمامِ دَوامِ النِّعْمَةِ عِنْدِي إِلى مُنْتَهى أَجَلِي.

أَسْأَلُكَ سُؤالَ مَنْ أَساءَ وَظَلَمَ وَاسْتَكانَ وَاعْتَرَفَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي ما مَضى مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي حَصَرَتْها حَفَظَتُكَ وَأَحْصاها كِرامُ مَلائِكَتِكَ عَلَيَّ، وَأَنْ تَعْصِمَنِي اللَّهُمَّ مِنَ الذُّنُوبِ فِي ما بَقِيَ مِنْ عُمْرِي إِلى مُنْتَهى أَجَلِي، يا اللهُ يا رَحْمنُ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَآتِنِي كُلَّ ما سَأَلْتُكَ وَرَغِبْتُ فِيهِ إِلَيْكَ، فَإِنَّكَ أَمَرْتَنِي بِالدُّعاءِ وَتَكَفَّلْتَ بِالإِجابَةِ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».[1]

١- وقال السّيّد أيضاً:

«دعاءٌ آخر وجدناه في كتابٍ ذُكر أنّه بخطّ الرضيّ الموسويّ رحمه الله، فيه أدعية، يقول فيه: ويقول عند دخول شهر رمضان: أللَّهُمَّ إِنَّ هذا شهرُ رمضان الّذي أنزَلْتَ فيه القُرآنَ، هدًى لِلنّاسِ وبَيِّناتٍ مِن الهُدى والفُرْقانِ قد حَضَر. يا ربِّ أَعوذُ بكَ فيه مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ، ومِن مَكْرِهِ وحِيَلِه، وخِداعِهِ وحَبائِلِه، وجُنودِهِ وخَيْلِه، ورَجِلِه ووَساوِسِهِ، ومِن الضَّلالِ بعدَ الهُدَى، ومِن الكُفرِ بعدَ الإيمانِ، ومِن النِّفاقِ والرِّياءِ والجِناياتِ، ومِن شَرِّ الوَسْواسِ الخَنّاسِ، الّذي يُوَسوِسُ في صُدورِ النّاسِ، مِن الجِنَّةِ والنّاس. أللَّهُمَّ وارْزُقْني صِيامَهُ وقِيامَهُ، والعملَ فيه بِطاعَتِكَ، وطاعةِ رَسُولِكَ وأُولِي الأمرِ عَلَيهِ وعَليهِم السَّلام، وما قرَّبَ منكَ، وجَنِّبْني مَعاصِيكَ، وارْزُقْني فيهِ التَّوبَةَ والإنابَةَ والإجابَةَ، وأَعِذْني فيهِ مِن الغِيبةِ والكَسَلِ والفَشَلِ، واسْتَجِبْ لي فيهِ الدُّعاءَ، وأَصِحَّ لي فيه جِسمي وعقلي، وفَرِّغْني فيهِ لِطاعَتِكَ وما قرَّب منكَ، يا كَريمُ يا جَوادُ

١- الإقبال: ١/ ١١٦-١١٨، مصحّحاً جزئيّاً على ما نقله عنه في البحار: ٩٤/ ٣٤١-٣٤٣؛ وانظر: الكليني، الكافي: ٤/ ٧٢.

يا كريمُ، صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى أهلِ بيتِ مُحَمَّدٍ عليه وعليهم السَّلامُ، وكذلكَ فافْعَلْ بِنا يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».[1]

٤- دعاءُ الجوشن الكبير. ورد الحثّ الشّديد على قراءته في هذه اللّيلة، والثواب الذي يُعطاه قارئه عظيم، وختام هذا الثواب أنّ مَن دعا بهذا الدعاء يُنادى: «**أُدخل الجَنّةَ بغيرِ حساب**».[2]

* الأدعية العامة للّيالي

ينبغي التنبّه إلى أنّ ما تقدّم كان حول الأدعية الخاصّة باللّيلة الأولى، وهناك أدعية تقرأ في كلّ ليلة بما يشمل اللّيلة الأولى، وأشهرُها «دعاء الافتتاح»، وينبغي البدء بأدعية اللّيالي، العامّة في اللّيلة الأولى فليُلاحظ.

ومن الأدعية العامّة في كلّ ليلة، هذا الدعاء:

«أَللَّهُمَّ رَبَّ شَهْرِ رَمَضَانَ الَّذِي أَنْزَلْتَ فِيهِ القُرْآنَ، وافْتَرَضْتَ عَلَى عِبَادِكَ فِيهِ الصِّيَامَ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وارْزُقْنِي حَجَّ بَيْتِكَ الحَرامِ فِي عَامِي هَذا وفِي كُلِّ عَامٍ، واغْفِرْ لِي تِلْكَ الذُّنُوبَ العِظَامَ، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُهَا غَيْرُكَ يَا رَحْمَنُ يا عَلاَّمُ».

وقد وردَ في ثوابه: «مَن قال هذا الدّعاء في كلّ ليلة من شهر رمضان، غُفرت له ذنوب أربعين سنة».[3]

* صلاة اللّيلة الأولى

ينطبق هذا العنوان على أربع صلوات:

الأولى: قال السيّد في (الإقبال): «**محمّد بن أبي قرّة في عمل أوّل يوم من شهر رمضان، عن العالم صلوات الله عليه، قال: مَن صلّى عند دخول شهر رمضان بِركعتَين تَطوُّعاً، قرأ في أولهما (أمّ الكتاب) و(إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً)، والأخرى ما أحبَّ، رفع اللهُ عنه السُّوءَ في سَنَتِه ولم يزل في حِرز الله إلى مثلها من قابل**»..[4]

١- الإقبال: ١/ ١١٨-١١٩.

٢- الكفعمي (الشيخ ابراهيم، الوفاة حوالي ٩٠٠ هج)، المصباح: ص ٢٤٧ (ط: حجرية، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤٠٣هج، ١٩٨٣م)؛ وانظر: المجلسي، البحار: ٧٨/ ٣٣١؛ والمحدّث القمّي، مفاتيح الجنان، ومنازل الآخرة: ص ١٩٨، (ت: السيّد ياسين الموسوي).

٣- الإقبال: ١/ ١٤٤، وفي هامشه: «١- رواه الصدوق في الهداية مرسلاً عن الصّادق عليه السلام، عنه البحار: ٩٦/ ٣١١، وليس فيه: (يا علّام)..».

٤- الإقبال: ١/ ١٩٨، وعنه: الحر العاملي، الوسائل: ٨/ ٤١. وليُلاحظ أنّ هذه الصلاة لم تَرِد بعنوان صلاة اللّيلة الأولى، بل بعنوان «عند دخول شهر رمضان»، وقد نقلها السّيّد ابن طاوس عن كتاب ابن أبي قرّة في «عمل أول يوم من شهر رمضان»، إلا أنّ السيّد -كما تقدّم في فقرة أدعية اللّيلة الأولى- يصرّح بأنّ أول الشهر هو أول ليلته الأولى، وعليه فيقتضي الاستظهار والاحتياط بأن يُؤتى بهذه الصلاة مرّتين، في اللّيلة الأولى وفي اليوم الأول، مع إمكان الاكتفاء بالإتيان بها في اللّيلة الأولى. والله العالم.

ومن الواضح أنّ تعبير «**عند دخول شهر رمضان**» هو من الرّواية، ويتحقّق ذلك بحلول أوّلِ ليلةٍ منه كما تقدّم عن الشيخ المفيد، وليس في الرواية أنّ الصلاة من «عمل أوّلِ يوم».

الثّانية: مرويّة عن الإمام الصّادق عليه السلام، وهي أطوَل بكثير، وهي عبارة عن ركعتَين، يقرأ في كلّ ركعةٍ (الحمد) مرّة وسورة (الأنعام). وقد وَرَد في ثوابها: «**كفاهُ اللّهُ تعالى ما يَخافهُ من ذلك الشّهر ووَقاه من المخاوف والأسقام**».[1]

وليست هذه الصلاة خاصّة باللّيلة الأولى من شهر رمضان، بل تُصلّى في أوّل ليلة من كلّ شهر.

الثالثة: خاصّة بهذه اللّيلة، وهي مرويّة عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديثٍ طويل يذكرُ صلاة كلّ ليلة من ليالي شهر رمضان، وقد ورد فيه:

«**مَنْ صلّى في أوّلِ ليلةٍ من شهر رمضان أربع ركعات، يقرأُ في كلّ ركعةٍ (الحمد) مرّة، وخمس عشرة مرة (قُل هو اللّهُ أحد)، أعطاهُ اللّهُ ثوابَ الصِّدّيقين والشُّهداء، وغَفَر له جميع ذنوبه، وكانَ يومَ القيامةِ مِن الفائزين**».[2]

الرابعة: وهي صلاةٌ تقعُ ضمن ترتيبٍ معيّن لصلوات شهر رمضان المبارك، وحصّة هذه اللّيلة من هذا الترتيب هي عشرون ركعة، ثماني ركعات منها بعد المغرب، واثنتا عشرة ركعة بعد العشاء (كلّ ركعتَين بتسليمة) يقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة، و(قل هو الله أحد) مرّة، أو ثلاث مرّات، أو خمس مرّات، أو سبع مرّات، أو عشر مرّات، يختار المُصلّي العددَ الذي يناسبُه.

و يأتي الحديث عنها بالتفصيل إنْ شاء الله تعالى.

اللّقمة الحلال

وفي طليعة أولويات الاهتمام بشهر رمضان، التدقيق في المَكسب والدَّخل المالي عموماً، حذراً من أن يكتشف الصائم متأخّراً أنّه كان في ضيافة الله تعالى كاللّصّ الذي يُشارك في ضيافة مَن سرق منه، وهو يلبس الثياب التي كانت من جملة ما سرق.

إنّ عدم التدقيق في الدَّخل المالي وسائر الممتلكات قد يجعل الصائم أيضاً يأكل طعاماً مختلطاً بالحرام الذي سُرق من الفقراء والمحتاجين!

من هنا كان التفكير باللّقمة الحلال التي ترافق الصوم من أوّله إلى آخره، بالغَ الأهمية.

نبّهَ على ذلك سيّدُ العلماء المراقبين السيّد ابن طاوس عليه الرحمة، وخلاصة ما يظهر من كلامه قدّس سرّه، أنّ على الصائم أن يهتمّ بلقمته الحلال في شهر رمضان المبارك،

١- الإقبال: ١/ ٧٥.

٢- الحر العاملي، الوسائل: ٨/ ٣٨.

وقد يُظنّ أنّ هذه المسألة عاديّة جدّاً ومفروغٌ منها، إلا أنّ الحقيقة أنّه ليس من السهل أن يعرف المرء أنّ هذه اللّقمة حلالٌ أو ليست حلالاً، لكثرة الحكّام الظَّلَمة الذين تعاقبوا واغتصبوا أموالَ الناس، ممّا أدّى إلى ضياع كثيرٍ من الحقوق وهَدْرِها، وطَمْسِ معالم إعادة الأمور إلى نصابها.

لذلك، فينبغي أن يبذلَ الصائمُ الجهدَ في هذا المجال، ويوليه عناية خاصّة، ويتعامل مع ما يملك كما أُمرنا أن نتعامل مع المال الذي نعلم أنّه من مصدرٍ حرام، ولكن لا يُمكننا إرجاع الحقّ إلى أهلِه لعدم معرفتهم. يقتضي الاحتياط في هذه الحال تخميسَ المال مرّتين. وبناءً على ذلك فينبغي لمَن يريد أن يصوم حقيقةً -حتّى إذا كان مطمئناً الاطمئنان العادي إلى لقمته الحلال- أن يستظْهِر بتخميس كلّ ما يتقلّب فيه، أي يحتاط الصائم فيخمّس كلّ ما يستعمله في شهر رمضان المبارك مرّة ثانية، غير الخُمس العادي الذي يفترَض أنّه قد أدّاه، والسبب في هذا الاحتياط هو أنّه في ضيافة الرحمن، وفي أفضل الشهور، وهو يريد أن يوفَّق للتوبة النصوح، و أن يقبلَه الله عزّ وجلّ، ولذلك فهو يبذلُ قُصارى جهده من أجل أن يطمئنَّ إلى أنّه يتقلّبُ في حلال.

ومن الواضح أنّ هذا ليس واجباً، فالواجب هو إخراج الخُمس مرّة واحدة، إلا أنه مستوى متقدّم من الاحتياط في الوصول إلى الاطمئنان باللّقمة الحلال.

والفائدة العملية في هذا المجال أن يتأمّل كلٌّ منّا في ما حوله وفي ما يتقلّب فيه، هل يوجد شيء لم يخمّسه، هل يوجَد شيء فيه شُبهة، فيخرج من العُهدة فيه بالطُّرق الشرعية المقرّرة.

وبديهيٌّ أنّ من لم يخمّس أصلاً تكون فائدته العملية ممّا تقدّم كبيرة جدّاً، حيث إنّه أمامَ كلامٍ عن خُمسٍ آخر بعد الخُمس الأوّل، فما هو إذاً حال مَن لم يخمّس أبداً؟! على كلّ مسلمٍ أن يسأل نفسه، كيف يصوم ويطلب من الله عزّ وجلّ أن يتقبّله وهو يتقلّب في الحرام.

ويؤكّد السيّد ابن طاوس كثيراً على مسألة اللّقمة الحلال بشكل خاصّ، وينقل الرواية التالية:

«**قال الراوي**: قلتُ للإمام الهادي عليه السلام: روَينا عن آبائك أنّه يأتي على الناس زمانٌ لا يكون شيءٌ أعزّ من أخٍ أنيس، أو كسبِ درهمٍ من حلال، فقال: **يا أبا محمّد، إنّ العزيز موجود، ولكنّك في زمانٍ ليس فيه شيءٌ أعسرُ من درهمٍ حلال، أو أخٍ في الله عزّ وجلّ**».[1]

وتبيّن الرواية مدى الجُهد الذي يجب أن يبذَل للاطمئنان إلى اللقمة الحلال.

١- الإقبال: ١/ ٤١.

الأعمال العامة لليوم الأوّل

هناك مستحبّات عامّة لليوم الأوّل من كلّ شهر، ومستحباتٌ خاصّة باليوم الأوّل من شهر رمضان.

*** من القسم الأوّل، أي العامة لكلّ أوّل شهر، أذكر ما يلي:**

١- قراءة سورة (الحمد) سبع مرّات، وذلك نافعٌ لوجع العين[١]

٢- كما ورد أنّه يستحبّ في اليوم الأوّل من كلّ شهر أكلُ شيءٍ من الجِبن، وأنّ له فوائد هامّة.[٢]

وبعد أن أورد السّيّد هذه الرواية في كتابه (الدروع الواقية)، قال:

«فإيّاكَ أن تستبعدَ مثل هذه الآثار، وقد رواها هارون بن موسى وهو من الأخيار، وكم لله جلّ جلاله في بلاده وعباده من الأسرار، ما لم يُطلع عليه إلا مَن شاء من رُسله وخواصّه الأطهار. فيجبُ التسليمُ والرضا والقبول، ممّن شهدتْ بوجوب تصديقه العقولُ».[٣]

ومن المهمّ التأمّل في طريقة تعامل العلماء مع الأمور المستغرَبة، التزاماً منهم بالمنهج العقلي السليم الذي لا يعتبر الاستغراب دليلاً، ويدقّق في السنَد ويلتزم بما ورد عن المعصوم. ولا يهمّ بعد ذلك ماذا تقول «روح العصر»!

٣- الغُسل

وقد ورد الحثّ عليه بطريقتَين:

الغسل في ماءٍ جارٍ، ومَن لم يتمكّن من ذلك فليَغتسل كما يمكنه، ويصبّ على رأسه ثلاثين كفّاً من الماء، فإنّ ذلك يُورث الأمن من جميع الآلام والأسقام في تلك السَّنَة.

٤- ضربُ الوجه بكفٍّ من ماء الورد لينجوَ من المذلّة والفقر، وأن يصبَّ شيئاً منه على رأسه ليأمنَ من البرسام، وهو نوعٌ من الورم في الدماغ ينتجُ عنه الأرَق و نوعٌ من الجنون.

حول ما تقدّم قال السّيّد ابن طاوس رحمه الله تعالى:

«عن جعفر بن محمّد -الإمام الصّادق- عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أنّه قال: **مَنِ اغتَسل أوّل يوم من السّنة، في ماءٍ جارٍ، وصَبَّ على رأسه ثلاثين**

١- المحدّث القمّي، مفاتيح الجنان، في أعمال أوائل الشهور.
٢- المجلسي، البحار: ١٠٥/٣٦.
٣- السّيّد ابن طاوس، الدروع الواقية: ص ٤٢.

غَرفة، كان دواءً لِسَنَتِه. وإنّ أوّلَ كلّ سنة أوّل يوم من شهر رمضان.

وعنه عليه السلام: **أنَّ مَن ضَربَ وجهَه بِكَفِّ ماء ورد أَمِنَ ذلك اليوم من المذلّة والفقر، ومَن وَضَعَ على رأسه من ماءِ ورد، أَمِنَ تلك السّنة من البِرسام،[1] فلا تَدَعُوا ما نُوصيكُم به».**[2]

جواب شبهة الاستغراب: ثواب الحَسَنة الواحدة الخالد، أعظم!

علّقَ السيّد ابن طاوس على ما تقدّم بقوله: «لعلّ خاطرَ بعض مَن يقفُ على هذه الرواية يستبعدُ ما تضمّنَته من العناية، ويقول: كيف يقتضي ثلاثون غَرفة من الماء استمرار العافية طولَ سنتِه وزوالَ أخطار الأدواء؟ فاعلم أنّ كلّ مسلمٍ فإنّه يعتقدُ أنّ الله جلّ جلاله يُعطي على الحسنة الواحدة في دار البقاء، من الخلود ودوام العافية وكمال النّعماء، ما يحتمل أن يقدّم لهذا العبد المُغتَسل في دار الفناء بعضَ ذلك العطاء، وهو ما ذُكر من العافية والشفاء».[3]

٥- صلاة أوّل كلّ شهر

قال السّيّد ابن طاوس عليه الرّحمة: «كان أبو جعفر محمّد (الجواد) بن عليّ (الرّضا) عليهما السلام، إذا دَخلَ شهرٌ جديدٌ يُصلّي أوّل يومٍ منه ركعتَين، يقرأ في أوّل ركعة (قل هو الله أحد) ثلاثين مرّة بِعَدد أيّام الشّهر، وفي الرّكعة الثّانية (إنّا أنزلناه في ليلة القدر) مثل ذلك، ويتَصَدَّق بما يتَسَهَّل، فيشتري به سلامة ذلك الشّهر كلّه. ووجدتُ هذا الحديث مرويّاً أيضاً عن مولانا جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام "..." ورأيتُ في غيرِ هذه الرّواية زيادةً وهي: **ويُستحبُّ إذا فرغْتَ من هذه الصّلاة أن تقول:**

بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾، ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، **بسم اللهِ الرّحمن الرّحيم** ﴿..سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾، ﴿..مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ..﴾، ﴿.. حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾، ﴿.. وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾، ﴿.. لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ﴿.. رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾، ﴿..رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾».[4]

١- «البِرسام -بالكسر- علّةٌ يُهذى فيها، نعوذ بالله منها، وهو ورمٌ حارّ يعرضُ للحجاب الذى بين الكَبد والأمعاء ثم يتّصل إلى الدماغ. وقد بُرْسِمَ الرّجل -بالضمّ- فهو مبرسِم». الزبيدي، تاج العروس: ٨/ ١٩٩.

٢- السّيّد ابن طاوس، إقبال الأعمال: ج ١/ ص ١٩٣.

٣- الإقبال: ١/ ١٩٣-١٩٤.

٤- السيّد ابن طاوس، الدّروع الواقية: ص ٤٣.

* الاقتداء بالعترة، اقتداءٌ بسيّد النبيّين صلى الله عليه وآله

أضاف: «وقد عرفْتَ أنَّ العترة من ذرّيّة النّبيّ صلوات الله عليه وآله الّذين كانوا قائمين مقامَه في فعاله ومَقاله، قالوا: إنَّ ما نَرويه فإنّه عنه، ومأخوذٌ منه، فهُم قدوةٌ لِمن اقتَدى بفعلِهم وقَولهم، وهداةٌ لِمن عرَف شرَفَ محلِّهم، فاقْتَدِ في السّلامة من خطر كلّ شهرٍ كما أشار إليه مولانا محمّد بن عليّ الجواد صلوات الله عليه».[1]

* صلاة أوّل الشهر بصيغة ثانية

قال السيّد: «وقد روينا أنّ صلاة أوّل كلّ شهر ركعتان، يقرأ في الأولى (الحمد) و(قل هو الله أحد) مرّة، وفي الثانية (الحمد) و(إنّا أنزلناه) مرّة. ولعلّ هذه الرواية الخفيفة مختصّةٌ بمَن يكون وقتُه ضيّقاً عن قراءة ثلاثين مرّة في كلّ ركعة، إمّا على طريق سفر، أو لأجل مَرَضٍ أو غير ذلك من الأعذار».[2]

٦- الصّدَقة

تقدّم عن الإمام الجواد قولُه عليه السلام: «**ويتصدّق بما يَتَسهَّل، فيشتري به سلامةَ ذلك الشهر كلّه**»، وقد تحدّث السيّد عن أدب هذه الصدَقة عن الشهر كلّه التي وردت في الرواية المتقدّمة، فقال:

«وينبغي أن تتذكَّر عند صَدَقتك أنَّ هذه الصّدقة الّتي في يديك إنّما هي لله جلَّ جلالُه، ومِن إحسانه إليك، والّذي تشتريه من السّلامة هو أيضاً من ذخائره الّتي يملكُها هو جلَّ جلالُه، وتريد أنت منه جلَّ جلالُه أنْ يُنعِمَ بها عليك، وأنت مُلْكُه على اليقين لا تشكّ في ذلك إن كنتَ من العارفين، فأَحضِر بقلبك عند صلاتك وصدقتك هذه أنّك تشتري ما يَملكهُ اللهُ جلّ جلالُه لِمَن يَملكهُ اللهُ جلَّ جلالُه، فالمُشتري -وهو أنت، كما قلناه- مُلْكُه، والّذي تشتري به السّلامة -وهو الصّدقة- مُلْكه، وأنَّ السّلامة الّتي تَشتريها مُلْكُه، فاحذرْ أنْ تَغفل عمَّا أشَرنا إليه، فقد كرَّرناه لِيكونَ على خاطرك الاعتمادُ عليه. فإذا أدَّيْتَ الأمانة في صلاتك وصَدَقتك، وخَلُصَت نيّتُك في معاملتك للهِ جلَّ جلالُه ومراقبتُك، فكُن واثقاً بالسّلامة من أخطار شَهرك، ومُصدِّقاً في ذلك وُلاةَ أمرك، وحَسَنَ الظّنّ بالله جلَّ جلالُه في صِيانتِك ونَصرِك».[3]

١- السيّد ابن طاوس، الدّروع الواقية: ص ٤٤-٤٥.
٢- السيّد ابن طاوس، الدّروع الواقية: ص ٤٦.
٣- السيّد ابن طاوس، الدّروع الواقية: ص ٤٥، بتصرّف.

٧- الدعاء لصاحب العصر عليه السلام

قال السيّد ابن طاوس عليه الرحمة:

١- «وممّا يَنبغي أنْ تَعرفَهُ من سبيلِ أهلِ التّوفيق وتَعلمَهُ، فهو أبلغ في الظَّفرِ بالسَّلامة على التَّحقيق، وذلك أنْ تَبدأ في قلبك عند صلاة الرّكعتَين، وعند الصَّدقة والدُّعاء، بتَقديم ذِكرِ سلامة مَنْ يَجبُ الاهتمامُ بسلامتِه قبلَ سلامتِك، وهو الّذي تَعتقدُ أنَّه إمامُكَ وسَببُ سعادتِك في دنياكَ وآخِرَتِك. واعلمْ أنَّه، صلواتُ الله عليه، غيرُ محتاجٍ إلى تَوَصُّلِك بصلاتِك وصدَقَتِك ودُعائِك في سلامتِه مِن شهره، لكن إذا نَصَرْتَه جازاك اللهُ جلَّ جلالُه بنَصره، وجَعَلَكَ في حصنٍ حَريز، قال اللهُ جلَّ جلالُه: ﴿..وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ الحجّ:٤٠. ولأنَّ مِن كمالِ الوفاء لِنائبِ خاتَم الأنبياء، أنْ تُقدّمه قبلَ نفسك في كلِّ خيرٍ تقدرُ عليه، ودَفْعِ كلِّ محذورٍ أنْ يَصِلَ إليه. وكذا عادةُ كلّ إنسانٍ مع مَن هو أعزّ مِن نفسه عليه. ولأنّك إذا استفتَحْتَ أبوابَ القبول، بطاعة الله جلَّ جلالُه والرَّسول، فيُرجى أنْ تُفتح الأبوابُ لأجلهم، فتُدخل أنتَ نفسَك في ضيافة الدُّخول تحت ظلِّهم، وعلى موائد فضلهم».[1]

٢- «فصلٌ، في ما نذكرُه ممّا يُختَم به كلّ ليلةٍ من شهر رمضان: إعلَم أنَّ حديثَ كلِّ ضيفٍ مع صاحبِ ضِيافتِه، وكلِّ مُستَخفِرٍ بخفير، فحديثُه مع المقصود بخفارته، وإذا كان الإنسانُ في شهرِ رمضان قد اتَّخَذ خفيراً وحامِياً، كما تقدَّم التنبيه عليه[2]، فيَنبغي كلّ ليلةٍ بعد فَراغِ عَمَلِه، أنْ يَقصدَ بِقلبِه خفيرَهُ ومُضِيفَهُ، ويَعرضَ عَمَلَه عليه، ويَتوجَّهَ إلى الله جلَّ جلالُه بالحامي والخَفِير والمُضِيف، وبِكُلِّ مَن يَعزُّ عليه، وبكلِّ وسيلةٍ إليه ".." ليكون الحامي الخفير هو المتولِّي لتكميل [عمله] من النّقصان، ويكون الوسيط بينَه وبين الله جلّ جلالُه في تسليمِ العمل إليه، من باب قبول أهل الإخلاص والأمان».

٣- «ومن وظائف كلّ ليلة، أن يبدأَ العبدُ في كلِّ دعاءٍ مبرور، ويَختمَ في كلّ عملٍ مشكورٍ، بذِكر مَن يَعتقدُ أنَّه نائبُ الله جلَّ جلالُه في عباده وبلاده "..".

١- السيّد ابن طاوس، الدّروع الواقية: ص ٤٣-٤٦، بتصرّف يسير.

٢- تقدّم بيان ذلك في أعمال الثلاثين من شهر رجب، والمراد به باختصار أنّ لكلّ يوم من أيّام الأسبوع خفيراً وحامياً بإذن الله تعالى، فالسبت لرسول الله صلى الله عليه وآله، والأحد للأمير عليه السلام، والاثنين للحسنَين عليهما السلام، والثلاثاء للثلاثة بعدهما، والأربعاء للأربعة بعدهم، والخميس للعسكري عليه السلام، والجمعة لصاحب العصر صلوات الله عليهم أجمعين، وينبغي استحضار الخفير على قاعدة: ﴿..وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ..﴾.

٤- «من الرّواية في الدّعاء لمَن أشرنا إليه صلواتُ الله عليه، ما ذكرَه جماعةٌ من أصحابنا، وقد اختَرنا ما ذكره ابنُ أبي قرّة في كتابه، فقال بأسناده الى عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضال، عن محمّد بن عيسى بن عبيد، بأسناده عن الصّالحين عليهم السلام، قال:

وكرِّرْ في ليلة ثلاث وعشرين من شهرِ رمضان قائماً وقاعداً وعلى كلِّ حالٍ، والشّهر كلّه، وكيفَ أمْكَنَكَ، ومَتى حَضَرَكَ في دَهْرِكَ، تقولُ بعدَ تمجيدِ الله تعالى، والصَّلاة على النّبيّ وآلِه عليهم السلام:

أللّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ القائِمِ بِأمرِكَ الحُجَّةِ بْنِ الحَسَنِ المَهْدِيّ، عَلَيه وَعَلَى آبائِهِ أفضَلُ الصَّلَاةِ والسَّلامِ، فِي هذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيّاً وَحافِظاً وَقَائِداً وَنَاصِراً وَدَلِيلاً وَمُؤَيِّداً، حَتّى تُسْكِنَهُ أرْضَكَ طَوْعاً وَتُمَتِّعَهُ فِيها طُولاً وَعَرْضاً وَتَجْعَلَهُ وَذُرِّيَتَهُ مِنَ الأئِمَّةِ الوارِثينَ.

أللّهُمَّ انْصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ، وَاجْعَلِ النَّصْرَ مِنْكَ لَهُ وَعَلَى يَدِهِ، وَاجْعَلِ النَّصْرَ لَهُ وَالفَتحَ عَلى وَجْهِهِ، وَلا تُوَجِّهِ الأمرَ إلَى غَيْرِهِ.

أللّهُمَّ أظْهِرْ بِهِ دِينَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ حَتَّى لا يَسْتَخْفِيَ بِشَيءٍ مِنَ الحَقِّ مَخافَةَ أحَدٍ مِنَ الخَلْقِ.

أللّهُمَّ إنِّي أرْغَبُ إلَيكَ فِي دَولَةٍ كَرِيمةٍ تُعِزُّ بِهَا الإسلامَ وأهلَهُ وَتُذِلُّ بها النِّفاقَ وَأهلَهُ، وَتَجْعَلُنا فِيها مِنَ الدُّعَاةِ إلى طَاعَتِكَ وَالقَادَةِ إلَى سَبِيلِكَ، وَآتِنا فِي الدُّنيا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذَابَ النَّارِ، واجْمَعْ لَنا خَيرَ الدَّارَيْنِ واقْضِ عَنّا جَمِيعَ مَا نُحِبُّ فِيهِما، وَاجْعَلْ لَنا فِي ذلِكَ الخِيَرَةَ بِرَحمَتِكَ وَمَنِّكَ فِي عَافِيةٍ آمينَ رَبَّ العَالَمِينَ، وَزِدْنا مِن فَضْلِكَ وَيَدِكَ المَلْأى فَإنَّ كُلَّ مُعْطٍ يَنقُصُ مِنْ مُلْكِهِ وَعَطَاؤُكَ يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ».[1]

* تَجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ المُستفيضَ في المصادر هو الدُّعاء المُختصَر المشهور، وقد رواه الشّيخ الطُّوسيّ في (التّهذيب: ج ٣، ص ١٠٢)، وفي (مصباح المُتهجّد، ص ٦٣٠)، ولفظُ (التّهذيب) ما يلي: «مُحَمَّدُ بنُ عيسى بإسناده عن الصّادِقِين عليهم السلام، قال: وَكَرِّر في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان هذا الدُّعاء ساجداً وقائماً وقاعداً وعلى كلِّ حالٍ، وفي الشَّهر كلِّه، وكيفَ أمكنَكَ، ومَتى حَضَرَك مِن دَهرِكَ، تقولُ بعد تمجيدِ اللهِ تعالى والصَّلاة على النّبيّ عليه وآله السَّلام:

(أللّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ فلانِ بنِ فلان في هَذهِ السَّاعةِ وفي كُلِّ ساعةٍ وَلِيّاً وحافِظاً وقائِداً وناصِراً ودَلِيلاً وعَيْناً، حتّى تُسْكِنَهُ أرضَكَ طَوْعاً وتُمَكِّنَهُ فيها طَويلاً)».

١- الإقبال: ج ١، ص ١٩٠-١٩٢، مصحّحاً على ما في (وظيفة الأنام) للأصفهاني: ص ٢٢.

الأعمال العامّة لكلّ يوم من أيّام شهر رمضان

أذكر منها:

١- الدّعاء بعد كلّ فريضة، وقد وردتْ تحت هذا العنوان عدّة أدعية، منها:

أ- «يا عَلِيُّ يا عَظِيمُ، يا غَفُورُ يا رَحِيمُ، أَنْتَ الرَّبُّ العَظِيمُ الَّذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ، وهَذا شَهرٌ عَظَّمْتَهُ وكَرَّمْتَهُ وشَرَّفْتَهُ وفَضَّلْتَهُ عَلَى الشُّهورِ، وهُوَ الشَّهْرُ الَّذي فَرَضْتَ صِيامَهُ عَلَيَّ، وهُوَ شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أَنْزَلْتَ فِيهِ القُرآنَ، هُدًى لِلنَّاسِ وبَيِّناتٍ مِنَ الهُدَى والفُرْقَانِ، وَجَعَلْتَ فِيهِ لَيْلَةَ القَدْرِ وجَعَلْتَها خَيْراً مِن أَلْفِ شَهْرٍ، فَيَاذا المَنِّ ولا يُمَنُّ عَلَيْكَ، مُنَّ عَلَيَّ بِفَكاكِ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ، فِي مَنْ تَمُنُّ عَلَيْهِ، وأَدْخِلْنِي الجَنَّةَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».[١]

ب- «اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَى أَهْلِ القُبُورِ السُّرُورَ، اللَّهُمَّ أَغْنِ كُلَّ فَقِيرٍ، اللَّهُمَّ أَشْبِعْ كُلَّ جَائِعٍ، اللَّهُمَّ اكْسُ كُلَّ عُرْيَانٍ، اللَّهُمَّ اقْضِ دَيْنَ كُلِّ مَدِينٍ، اللَّهُمَّ فَرِّجْ عَنْ كُلِّ مَكْرُوبٍ، اللَّهُمَّ رُدَّ كُلَّ غَرِيبٍ، اللَّهُمَّ فُكَّ كُلَّ أَسِيرٍ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ كُلَّ فَاسِدٍ مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اشْفِ كُلَّ مَرِيضٍ، اللَّهُمَّ سُدَّ فَقْرَنا بِغِنَاكَ، اللَّهُمَّ غَيِّرْ سُوءَ حَالِنا بِحُسْنِ حَالِكَ، اللَّهُمَّ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ».

وقد تقدّم ذكرُه في أعمال اليوم الواحد والعشرين من شهر شعبان، في سياق «أدعية الغَيبة»، وأنّه في الحقيقة دعاءٌ للإمام صاحب الزّمان، لأنّ هذه المضامين الواردة فيه لا تتحقّق إلا عند ظهوره عجل الله فرجه.

وقد ذكر الشهيد الأوّل في مجموعته التي هي بخطّه أنّه قد ورد في الحثّ عليه **عن رسول الله** صلى الله عليه وآله: **«مَن دعا بهذا الدّعاء في (شهر) رمضان بعد كلّ فريضة غفرَ اللهُ له ذنوبَه إلى يوم القيامة».**[٢]

ت- «اللّهُمَّ ارْزُقْنِي حَجَّ بَيْتِكَ الحَرامِ فِي عامِي هذا وَفِي كُلِّ عامٍ ما أَبْقَيْتَنِي فِي يُسْرٍ مِنْكَ وَعافِيَةٍ وَسَعَةِ رِزْقٍ، وَلا تُخْلِنِي مِنْ تِلْكَ المَواقِفِ الكَرِيمَةِ وَالمَشاهِدِ الشَّرِيفَةِ، وَزِيارَةِ

١- الإقبال: ١/ ٧٩، قال السيّد حوله: «وتدعو عقيب كلّ فريضة في شهر رمضان ليلاً كان أو نهاراً، فتقول..»؛ والكفعمي، المصباح: ص ٦٣٠، قال: «ومن كتاب الفردوس، أنّه يُدعى بهذا الدعاء في كلّ يوم من شهر رمضان وهو..».

٢- المحدّث الشيخ عبّاس القمّي، مفاتيح الجنان، أعمال شهر رمضان العامّة، نقلاً عن الشيخ الكفعمي. أنظر: البلد الأمين: ص ٢٢٢ (ط: بيروت، بدون مشخّصات) أدعية أيام شهر رمضان، والمصباح: ص ٦١٧ (ط: مؤسسة الأعلمي، بيروت).

قَبْرِ نَبِيِّكَ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَفِي جَمِيعِ حَوائِجِ الدُّنْيا وَالآخرةِ فَكُنْ لِي. أللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِي ما تَقْضِي وَتُقَدِّرُ مِنَ الأَمْرِ المَحْتُومِ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ مِنَ القَضاءِ الَّذِي لا يُرَدُّ وَلا يُبَدَّلُ أَنْ تَكْتُبَنِي مِنْ حُجَّاجِ بَيْتِكَ الحَرامِ المَبْرُورِ حَجُّهُم، المَشْكُورِ سَعيُهُم، المَغْفُورِ ذُنُوبُهُم، المُكَفَّرِ عَنْهُمْ سَيِّئاتُهُمْ، وَاجْعَلْ فِيما تَقْضِي وَتُقَدِّرُ أَنْ تُطِيلَ عُمْرِي وَتُوَسِّعَ عَلَيَّ رِزْقِي، وَتؤَدِّيَ عَنِّي أَمانَتِي وَدَيْنِي، آمِينَ رَبَّ العالَمِينَ».[1]

ث- دعاء الحج[2]: «روى الكليني في (الكافي) عَن أبي بصير، قال: **كانَ الصّادق عليه السلام يدعو بهذا الدُّعاء في شَهر رمضان:**

أللّهُمَّ إِنِّي بِكَ وَمِنْكَ أَطْلُبُ حاجَتِي، وَمَنْ طَلَبَ حاجَةً إِلى النّاسِ فَإِنِّي لا أَطْلُبُ حاجَتِي إِلّا مِنْكَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ، وَأَسْأَلُكَ بِفَضْلِكَ وَرِضْوانِكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَنْ تَجْعَلَ لِي فِي عامِي هذا إِلى بَيْتِكَ الحَرامِ سَبِيلاً حِجَّةً مَبْرُورَةً مُتَقَبَّلَةً زاكِيَةً خالصةً لَكَ، تقرُّ بِها عَيْنِي وَتَرْفَعُ بِها دَرَجَتِي، وَتَرْزُقُنِي أَنْ أَغُضَّ بَصَرِي وَأَنْ أَحْفَظَ فَرْجِي وَأَنْ أَكُفَّ بِها عَنْ جَمِيعِ مَحارِمِكَ حَتَّى لا يَكُونَ شَيءٌ آثَرَ عِنْدِي مِنْ طاعَتِكَ

وَخَشْيَتِكَ، وَالعَمَلِ بِما أَحْبَبْتَ وَالتَّرْكِ لِما كَرِهْتَ وَنَهَيْتَ عَنْهُ، وَاجْعَلْ ذلِكَ فِي يُسْرٍ وَيَسارٍ وَعافِيَةٍ وَما أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ وَفاتِي قَتْلاً فِي سَبِيلِكَ تَحْتَ رايَةِ نَبِيِّكَ مَعَ أَوْلِيائِكَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَقْتُلَ بِي أَعْداءَكَ وَأَعْداءَ رَسُولِكَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُكْرِمَنِي بِهَوانِ مَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِكَ، وَلا تُهِنِّي بِكَرامَةِ أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيائِكَ. أللّهُمَّ اجْعَلْ لِي مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً، حَسْبِيَ اللّهُ ما شاءَ اللّهُ».[3]

ج- «أللّهُمَّ رَبَّ شَهْرِ رَمَضانَ الَّذِي أَنْزَلْتَ فِيهِ القُرْآنَ، وافْتَرَضْتَ عَلى عِبادِكَ فِيهِ الصِّيامَ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وارْزُقْنِي حَجَّ بَيْتِكَ الحَرامِ فِي عامِي هَذا وفِي كُلِّ عامٍ، واغْفِرْ لِي تِلْكَ الذُّنُوبَ العِظامَ، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُها غَيْرُكَ يا رَحْمانُ يا عَلاَّمُ».

وقد ورد في ثوابه: «**مَن قال هذا الدعاء في كلّ ليلة من شهر رمضان غُفرت له ذنوبُ أربعين سنة**».[4]

١- المحدّث القمّي، مفاتيح الجنان؛ وانظر: الإقبال: ١/ ٧٩.

٢- الكليني، الكافي: ٤/ ٧٤؛ والسيّد ابن طاوس، الإقبال: ١/ ٧٨؛ والحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٠/ ٣٢٥.

٣- المحدّث القمّي، مفاتيح الجنان؛ وانظر الإقبال: ١/ ٧٨-٧٩؛ والكافي: ٤/ ٧٤.

٤- نقلاً عن المفاتيح للمحدّث القمي؛ وانظر: الإقبال: ١/ ١٤٤؛ والكفعمي، البلد الأمين: ص ٢٢٣.

الأعمال الخاصّة

وأمّا الأعمال الخاصّة باليوم الأوّل من شهر رمضان، فهي الأدعية الخاصّة بهذا اليوم، وسأذكر منها ما يلي:

١- الدعاء الأوّل:

سأُورد هنا دعاء مفتتَح السَّنة الذي ذكرَه السيّد ابن طاوس عليه الرحمة لفرادة المضمون بشكلٍ عامّ، وأهميّة أن تُتاح للمؤمن وقفة مع النّفْس بين يدَي الله تعالى على باب السّنة الجديدة، تكون شاملة مستوعبة لكلّ مسارب النفس وتشعُّب الأهواء، وَلَئن كان الدعاء متضمّناً لفقرات معروفة من أدعية معروفة، فإنّ طريقة التضمين خاصّة، وفقراته الأُخَرَ غير المضمّنة أشدّ خصوصيّة كما سترى.

وقد تحدّث السيّد حول هذا الدعاء فقال:

«دعاءٌ آخر إنْ دعوتَ به أوّلَ ليلةٍ من شهر الصيام فقدِّم لفظ: ليلَتي هذه على يومي هذا، وإنْ دعوتَ به أوّل يومٍ من الشهر فادْعُ باللّفظة التي تأتي فيه، والذي رجحَ في خاطري أنّ الدعاءَ به في أوّلِ يوم منه. رويناه بأسنادنا الى أبي محمّد هارون بن موسى التلعَكْبري، بأسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: يقولُ عند حضور شهر رمضان:

أَللَّهُمَّ هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ المُبَارَك، الذي أَنْزَلْتَ فِيهِ القُرْآنَ، وَجَعَلْتَهُ هُدىً لِلنَّاسِ، وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ، قَدْ حَضَرَ فَسَلِّمْنَا فِيهِ وَسَلِّمْهُ لَنَا، وَتَسَلَّمْهُ مِنَّا فِي يُسْرٍ مِنْكَ وَعَافِيَةٍ، وَأَسْأَلُكَ اللّهُمَّ أَنْ تَغْفِرَ لِي فِي شَهْرِي هَذَا، وَتَرْحَمَنِي فِيهِ، وَتَعْتِقَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ، وَتُعْطِيَنِي فِيهِ خَيْرَ ما أَعْطَيْتَ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، وَخَيْرَ ما أَنْتَ مُعْطِيهِ، وَلا تَجْعَلْهُ آخِرَ شَهْرِ رَمَضَان صُمْتُهُ لَكَ مُنْذُ أَنْ أَسْكَنْتَنِي أَرْضَكَ إلى يَوْمِي هَذَا، وَاجْعَلْهُ عَلَيَّ أَتَمَّ نِعْمَةً[1] وَأَعَمَّهِ عَافِيَةً، وَأَوْسَعَهِ رِزْقاً وَأَجْزَلَهُ وَأَهْنَأَهُ. أَللّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ وَبِوَجْهِكَ الكَرِيمِ وَمُلْكِكَ العَظِيمِ أَنْ تَغرُبَ الشَّمْسُ مِنْ يَوْمِي هَذَا، أَوْ يَنْقَضِيَ بَقِيَّةُ هَذَا اليَوْمِ، أَوْ يَطْلُعَ الفَجْرُ مِنْ لَيْلَتِي هذِهِ، أَوْ يَخْرُجَ هذَا الشَّهْرُ وَلَكَ قِبَلِي مَعَهُ[2] تَبِعَةٌ، أَوْ ذَنْبٌ، أَوْ خَطِيئَةٌ تُرِيدُ أَنْ تُقايِسَنِي بذلك أَوْ تُؤَاخِذَنِي بِهِ، أَوْ تقِفَنِي[3] بِهِ مَوْقِفَ

١- أي: واجعل شهر رمضان الذي أنا فيه أتمّ شهر عليّ نعمةً، وأعمّه عافيةً. إلخ.
٢- أي: مع انقضاء بقيّة اليوم أو طلوع الفجر، أو خروج هذا الشهر.
٣- تُوقفَني.

خِـزْيِ في الدُّنْيَـا وَالآخِـرَةِ، أَوْ تُعَذِّبَـنِي بِهَـا يَـوْمَ ألقَـاكَ يـا أَرْحَـمَ الرَّاحِمِـينَ. أللَّهُـمَّ إِنِّي أَدْعـوكَ لِهَـمٍّ لا يُفَرِّجُـه غـيرُك، ولِرَحمـةٍ لا تُنـالُ إلّا بِـكَ، ولِكَـرْبٍ لا يَكشـفُهُ إلَّا أنـتَ، ولِرَغبـةٍ لا تُبلَـغُ إلَّا بِـكَ، ولِحاجـةٍ لا تُقـضَى دُونَـك. أللَّهُـمَّ فَكَمَـا كَانَ مِـنْ شَـأْنِكَ مـا أَرَدْتَـنِي بِـهِ مِـنْ مَسْـأَلَتِكَ، وَرَحِمْتَـنِي بِـهِ مِـنْ ذِكْـرِكَ، فَلْيَكُـنْ مِـنْ شَـأْنِكَ سَـيِّدِي الإِجَابَـةُ فِيمَـا دَعَوْتُـكَ، وَالنَّجَـاةُ لِي فِيمَـا قَـدْ فَزِعْـتُ إِلَيْـكَ مِنْـهُ، أللَّهُمَّ صَـلِّ على مُحَمَّـدٍ وَآلِ مُحَمَّـدٍ، وَافْتَحْ لِي مِـنْ خَزَائِـنِ رَحْمَتِـكَ رَحْمَـةً لا تُعَذِّبُـنِي بَعْدَهَـا أَبَـداً فِي الدُّنْيَـا وَالآخِـرَةِ، وَارْزُقْـنِي مِـنْ فَضْلِـكَ الوَاسِـعِ رِزْقـاً حَـلَالاً طَيِّبـاً لا تُفْقِـرُنِي بَعْـدَهُ إِلى أَحَـدٍ سِـوَاكَ أَبَـداً، تَزِيـدُنِي بذلـكَ لَـكَ شُـكْراً وَإِلَيْـكَ فَاقَـةً وفقـراً، وَبِـكَ عَمَّـنْ سِـوَاكَ غِـنًى وَتَعَفُّفـاً. أللَّهُـمَّ إِنِّي أَعُـوذُ بِـكَ أَنْ يَكُـوْنَ جَـزَاءُ إِحْسَـانِكَ الإِسَـاءَةَ مِـنِّي، أللَّهُـمَّ إِنِّي أَعُـوْذُ بِـكَ أَنْ أُصْلِـحَ عَمَـلِي فِي مَـا بَيْنِـي وَبَـيْنَ النَّـاسِ وَأُفْسِـدَهُ فِيمَـا بيْـنِي وَبَيْنَـكَ، أللَّهُـمَّ إِنِي أَعُـوْذُ بِـكَ أَنْ تَحُـولَ سَرِيـرَتِي بَيْـنِي وَبَينَـكَ أَوْ تَكُـونَ مُخَالِفَـةً لِطَاعَتِـكَ. أللَّهُـمَّ إِنِّي أَعُـوذُ بِـكَ أَنْ يكُـوَنَ شَيْءٌ مِـنَ الَأشْـيَاءِ آثَـرَ عنْـدِي مِـنْ طَاعَتِـكَ، أللَّهُـمَّ إِنِي أَعُـوذُ بِـكَ أَنْ أَعْمَـلَ مِـنْ طَاعَتِـكَ قَلِيـلاً أَوْ كَثِـيراً أُرِيـدُ بِـهِ أَحَـداً غَـيْرَكَ، أَوْ أَعْمَـلَ عَمَـلاً يُخَالِطُـهُ رِيَـاءٌ، أللَّهُـمَّ إِنِي أَعُـوْذُ بِـكَ مِـنْ هَـوىً يُـرْدِي مَـنْ يَركَبُـهُ، أللَّهُـمَّ إِنِّي أَعُـوْذُ بِـكَ أَنْ أَجْعَـلَ شَـيْئاً مِـنْ شُـكْرِي فِي مَـا أَنْعَمْـتَ بِـهِ عَـلَيَّ لِغَـيْرِكَ أَطْلُـبُ بِـهِ رِضَـا خَلْقِـكَ، أللَّهُـمَّ إِنِي أَعُـوْذُ بِـكَ أَنْ أَتَعَـدَّى حَـدّاً مِـنْ حُـدُودِكَ، أَتَزَيَّـنُ بِذلِـكَ لِلنَّـاسِ وَأَرْكُـنُ بِـهِ إلى الدُّنْيَـا. أللَّهُـمَّ إِنِّي أَعُـوْذُ بِعَفْـوِكَ مـن عُقوبتِـك، وَأَعُـوْذُ بِرِضَـاكَ مِـنْ سَـخَطِكَ، وَأَعُـوذُ بِطَاعَتِـكَ مِـنْ مَعْصِيَتِـكَ، وَأَعُـوذُ بِـكَ مِنْـكَ جَـلَّ ثَنَـاءُ وَجْهِـكَ، لا أُحْـصِي الثَّنَـاءَ عَلَيْـكَ وَلَـوْ حَرِصْـتُ، وَأَنْـتَ كَمَـا أَثْنَيْـتَ على نَفْسِـكَ سُـبْحَانَكَ وَبِحَمْـدِكَ. أللَّهُـمَّ إِنِّي أَسْـتَغْفِرُكَ وَأَتُـوبُ إِلَيْـكَ مِـنْ مَظَالِـمَ كَثِـيرَةٍ لِعِبَـادِكَ عِنْـدِي، فَأَيُّمـا عَبْـدٍ مِـنْ عِبَـادِكَ أَوْ أَمَـةٍ مِـنْ إِمَائِـكَ كَانَـتْ لَهُ قِبَـلِي مَظْلُمَـةٌ ظَلَمْتُـهُ إِيَّاهَـا فِي مَـالِهِ، أَوْ بَدَنِـهِ، أَوْ عِرْضِـهِ (أي كرامتِـه)، لا أَسْـتَطِيعُ أَدَاءَ ذَلِـكَ إِلَيْـهِ وَلا أَتَحَلَّلُهَـا مِنْـهُ، فَصَـلِّ على مُحَمَّـدٍ وَآلِ مُحَمَّـدٍ وَأَرْضِـهِ أنـتَ عَـنِّي بِمَـا شِـئْتَ، وَكَيْـفَ شِـئْتَ، وَهَبْهَـا لِي، وَمَـا تَصْنَـعُ يـا سَـيِّدِي بِعَـذَابِي وَقَـدْ وَسِـعَتْ رَحْمَتُـكَ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَـا عَلَيْـكَ يَـا رَبُّ أَنْ تُكْرِمَـنِي بِرَحْمَتِـكَ، وَلا تُهِينَـنِي بِعَذَابِـكَ، وَلا ينْقصُـكَ يَـا رَبُّ أَنْ تَفعَـلَ بِي مـا سَـأَلْتُكَ، وَأَنْـتَ وَاجِـدٌ لِـكُلِّ شَيْءٍ. أللَّهُـمَّ إِنِّي أَسْـتَغْفِرُكَ، وَأَتُـوبُ إِلَيْـكَ مِـنْ كُلِّ ذَنْـبٍ تُبْـتُ إِلَيْـكَ مِنْـهُ ثُـمَّ عُـدْتُ فِيـهِ، وَمِمَّـا ضَيَّعْـتُ مِـنْ فَرَائِضِـكَ وَأَدَاءِ حَقِّـكَ مِـنَ الصَّـلاةِ، وَالـزَّكَاةِ، وَالصِّيَـامِ وَالجِهَـادِ، وَالحَـجِّ وَالعُمْـرَةِ، وَإِسْـبَاغِ الوُضُـوءِ، وَالغُسْـلِ مِـنَ الجَنَابَـةِ، وَقِيَـامِ اللَّيْـلِ، وَكَـثْرَةِ الذِّكْـرِ، وَكَفَّـارَةِ اليَمِـينِ،

وَالاسْـتِرْجَاعِ فِي المَعْصِيَـةِ، وَالصُّـدُودِ مِـنْ كُلِّ شَيْءٍ قَـصَّرْتُ فِيـهِ، مِـنْ فَرِيضَـةٍ، أَوْ سُـنَّةٍ، فَـإِنِّي أَسْـتَغْفِرُكَ، وَأَتُـوبُ إِلَيْـكَ مِنْـهُ، وَمِمَّـا رَكِبْـتُ مِـنَ الكَبَائِـرِ، وَأَتَيْـتُ مِـنَ المَعَـاصِي، وَعَمِلْـتُ مِـنَ الذُّنُـوبِ، وَاجْتَرَحْـتُ مِـنَ السَّـيِّئَاتِ، وَأَصَبْـتُ مِـنَ الشَّـهَوَاتِ، وَبَـاشَرْتُ مِـنَ الخَطَايَـا، مِمَّـا عَمِلْتُـهُ مِـنْ ذَلِـكَ عَمْـداً أَوْ خَطَـأً، سِرّاً أَوْ عَلَانِيَـةً، فَـإِنِّي أَتُـوبُ إِلَيْـكَ مِنْـهُ، وَمِـنْ سَـفْكِ الدَّمِ، وَعُقُـوقِ الوَالِدَيْـنِ وَقَطِيعَـةِ الرَّحِـمِ، وَالفَـرَارِ مِـنَ الزَّحْـفِ، وَقَـذْفِ المُحْصَنَـاتِ، وَأَكْلِ أَمْـوَالِ اليَتَـامَى ظُلْمـاً، وَشَـهَادَةِ الـزُّورِ، وَكِتْمَـانِ الشَّـهَادَةِ، وَأَنْ أَشْـتَرِيَ بِعَهْـدِكَ فِي نَفْـسِي ثَمَنـاً قَلِيـلاً، وَأَكْلِ الرِّبـا، وَالغُلُـولِ[1] وَالسُّـحْتِ وَالسِّـحْرِ، وَالكِتمـان، وَالطِّـيَرَةِ، وَالـشِّرْكِ، وَالرِّيَـاءِ، وَالسَّرِقَـةِ وَشُرْبِ الخَمْـرِ، وَنَقْـصِ المِكْيَـالِ، وَبَخْـسِ المِـيَزَانِ، وَالشِّـقَاقِ، وَالنِفَـاقِ، وَنَقْـضِ العَهْـدِ، وَالفِرْيَـةِ وَالخِيَانَـةِ، وَالغَـدْرِ، وَإِخْفَـارِ الذِّمّـةِ، وَالحَلْـفِ،[2] وَالغِيبَـةِ وَالنَّمِيمَـةِ، وَالبُهْتَـانِ، وَالهَمْـزِ وَاللَّمْـزِ، وَالتَنَابُـزِ بِالأَلْقَـابِ، وَأَذَى الجَـارِ، وَدُخُـولِ بَيْـتٍ بِغَـيْرِ إِذْنٍ، وَالفَخْـرِ، وَالكِـبْرِ، وَالإِشْرَاكِ، وَالإِصْرَارِ، وَالاسْـتِكْبَارِ، وَالمَـشْيِ فِي الأَرْضِ مَرَحـاً، وَالجَـوْرِ فِي الحُكْـمِ، وَالاعْتِـدَاءِ فِي الغَضَـبِ، وَرُكُـوبِ الحَمِيَّـةِ، وَتعضُّـدِ الظَّالِـمِ، وَعَـوْنٍ على الإِثْـمِ وَالعُـدْوَانِ، وَقِلَّـةِ العَـدَدِ فِي الأَهْـلِ والمـالِ وَالـوَلَدِ، وَرُكُـوبِ الظَّـنِ، وَاتِّبَـاعِ الهَـوَى، وَالعَمَـلِ بِالشَّـهْوَةِ، والأَمْـرِ بِالمَعْـرُوفِ، وَالنَّـهْيِ عَنِ المُنْكَـرِ، وَفَسَـادٍ فِي الأَرْضِ، وَجُحُـودِ الحَـقِّ، وَالإِدْلاءِ إِلى الحُـكَّامِ بِغَـيْرِ الحَـقِّ، وَالمَكْـرِ وَالخَدِيعَـةِ، والبُخـل، وَقَـوْلٍ فِي مَـا لا أَعْلَـمُ، وَأَكْلِ المَيْتَـةِ وَالدَّمِ وَلَحْـمِ الخِنْزِيـرِ وَمَـا أُهِـلَّ بِـهِ لِغَـيْرِ اللهِ، وَالحَسَـدِ، وَالبَـغْيِ وَالدُّعَاءِ إِلى الفَاحِشَـةِ، وَالتَمَـنِّي بِمَـا فَضَّـلَ اللهُ، وَالإِعْجَـابِ بِالنَّفْـسِ، وَالمَـنِّ بِالعَطِيَّـةِ، وَالارْتِـكَابِ إِلى الظُّلْـمِ،[3] وَجُحُـودِ القُـرْآنِ، وَقَهْـرِ اليَتِيـمِ، وَانْتِهَـارِ السَّـائِلِ، وَالحَنْـثِ فِي الأَيْمَـانِ، وَكُلِّ يَمِـينٍ كَاذِبَـةٍ فَاجِـرَةٍ، وَظُلْـمِ أَحَـدٍ مِـنْ خَلْقِـكَ فِي أَمْوَالِهِـمْ، وَأَشْـعَارِهِمْ، وَأَعْرَاضِهِـمُ وَأَبْشَـارِهِمْ، وَمَـا رَآهُ بَـصَرِي، وَسَـمِعَهُ سَـمْعِي، وَنَطَـقَ بِـهِ لِسَـانِي، وَبَسَـطْتُ إِلَيْـهِ يَـدِي، وَنَقَلْـتُ قَـدَمِي، وَبَـاشَرَهُ جِـلْدِي، وَحَدَّثْـتُ بِـهِ نَفْـسِي، مِمَّـا هُـوَ لَـكَ مَعْصِيَـة، وَكُلِّ يَمِـينٍ زُورٍ، وَمِـنْ كُلِّ فَاحِشَـةٍ وَذَنْـبٍ وَخَطِيئَـةٍ، عَمِلْتُهَـا فِي سَـوَادِ اللَّيْـلِ وَبَيَـاضِ النَّهَـارِ فِي مَـلأٍ أَوْ خَـلأٍ، مِمَّـا عَلِمْتُـهُ أَوْ لَـمْ أَعْلَمْـهُ، ذَكَرْتُـهُ أو لَـمْ أَذْكُـرْهُ، سَـمِعْتُهُ أَو لَـمْ أَسْـمَعْهُ، عَصَيْتُـكَ فِيـهِ رَبِّي طَرْفَـةَ عَـينٍ، وَفِي مَـا سِـوَاهَا، مِـنْ حِـلٍّ أَوْ حَـرَامٍ، تَعَدَّيْـتُ فِيـهِ

١- الغلول: الخيانة، ومنه -على رأي- السَّرقة من الغَنيمة في الحرب.

٢- نقضُ العهد و اليَمين.

٣- هكذا وردت العبارة أيضاً في (البحار)، والظّاهر أنّها الارتكان إلى الظّالم.

أَوْ قَصَّرْتُ عَنْهُ، مُنْذُ يَوْمِ خَلَقْتَنِي إلى أَنْ جَلَسْتُ مَجْلِسِي هَذَا، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْهُ، وَأَنْتَ يا كَرِيمُ تَوَّابٌ رَحِيمٌ.

أَللَّهُمَّ يا ذَا المَنِّ وَالفَضْلِ، وَالمَحَامِدِ الَّتِي لا تُحْصَى، صَلِّ على مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاقْبَلْ تَوْبَتِي، وَلا تَرُدَّهَا لِكَثْرَةِ ذُنُوبِي، وَمَا أَسْرَفْتُ على نَفْسِي حَتَّى لا أَرْجِعَ في ذَنْبٍ تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ، فَاجْعَلْهَا يا عَزِيزُ تَوْبَةً نَصُوحاً صَادِقَةً مَبْرُورَةً لَدَيْكَ، مَقْبُولَةً مَرْفُوعَةً عِنْدَكَ، في خَزَائِنِكَ الَّتِي ذَخَرْتَهَا لأَوْلِيَائِكَ حِينَ قَبِلْتَهَا مِنْهُمْ، وَرَضِيتَ بِهَا عَنْهُمْ. أَللَّهُمَّ إِنَّ هذِهِ النَّفْسَ نَفْسُ عَبْدِكَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ على مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وأَنْ تُحَصِّنَهَا مِنَ الذُّنُوبِ وتَمنَعَهَا مِنَ الخَطَايَا وتُحرِزَهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ، وتَجْعَلَهَا في حِصْنٍ حَصِينٍ مَنِيعٍ لا يَصِلُ إِلَيْهَا ذَنْبٌ، وَلا خَطِيئَةٌ، وَلا يُفْسِدُهَا عَيْبٌ وَلا مَعْصِيَةٌ، حَتَّى أَلْقَاكَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ، وَأَنَا مَسْرُورٌ تَغْبِطُنِي مَلائِكَتُكَ وَأَنْبِيَاؤُكَ وَجَمِيعُ خَلْقِكَ، وَقَدْ قَبِلْتَنِي وَجَعَلْتَنِي طائعاً طَاهِراً زَاكِياً عِنْدَكَ مِنَ الصَّادِقِينَ.

أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَرِفُ لَكَ بِذُنُوبِي، فَصَلِّ على مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْهَا ذُنُوباً لا تُظْهِرُهَا لأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، يا غَفَّارَ الذُّنُوبِ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، سُبْحَانَكَ اللّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَصَلِّ على مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاغْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

أَللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مِنْ عَطَائِكَ ومَنِّكَ وَفَضْلِكَ، وَفي عِلْمِكَ وَقَضَائِكَ أَنْ تَرْزُقَنِي التَّوْبَةَ، فَصَلِّ على مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاعْصِمْنِي بَقِيَّةَ عُمْرِي، وَأَحْسِنْ مَعُونَتِي في الجِدِّ وَالاجْتِهَادِ، وَالمُسَارَعَةِ إلى مَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَالنَّشَاطِ وَالفَرَحِ وَالصِّحَّةِ حَتَّى أَبْلُغَ في عِبَادَتِكَ وَطَاعَتِكَ الَّتِي يَحِقُّ لَكَ عَلَيَّ رِضَاكَ، وَأَنْ تَرْزُقَنِي بِرَحْمَتِكَ ما أُقِيمُ بِهِ حُدُودَ دِينِكَ، وَحَتَّى أَعْمَلَ في ذَلِكَ بِسُنَنِ نَبِيِّكَ، صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَافْعَلْ ذلِكَ بِجَمِيعِ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ في مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا. أَللَّهُمَّ إِنَّكَ تَشْكُرُ اليَسِيرَ، وَتَغْفِرُ الكَثِيرَ وَأَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ - تقولها ثلاثاً، ثمّ تقول: أَللَّهُمَّ اقْسِمْ لي كُلَّ مَا تُطْفِئُ بِهِ عَنِّي نَائِرَةَ كُلِّ جَاهِلٍ، وَتُخْمِدُ عَنِّي شُعْلَةَ كُلِّ قَائِلٍ، وَأَعْطِنِي هُدًى من كُلِّ ضَلالَةٍ، وَغِنىً مِنْ كُلِّ فَقْرٍ، وَقُوَّةً مِنْ كُلِّ ضَعْفٍ، وَعِزّاً مِنْ كُلِّ ذُلٍّ، وَرِفْعَةً مِنْ كُلِّ ضِعَةٍ، وَأَمْناً مِنْ كُلِّ خَوْفٍ، وَعَافِيَةً مِنْ كُلِّ بَلاءٍ. أَللَّهُمَّ ارْزُقْنِي عَمَلاً يَفْتَحُ لي بَابَ كُلِّ يَقِينٍ، وَيَقِيناً يَسُدُّ عَنِّي بَابَ كُلِّ شُبْهَةٍ، وَدُعاءً تَبْسُطُ لي بِهِ الإِجَابَةَ، وَخَوْفاً تُيَسِّرُ لي بِهِ كُلَّ رَحْمَةٍ، وَعِصْمَةً تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ الذُّنُوبِ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

وتضرَّع الى ربّك وتقول:

يـا مَـن نَهـاني عـن المَعـاصي فَعصيتُـه فَلـم يَهتـكْ سِـتري عنـدَ مَعصيتِـه، يـا مَـن ألبسَـني عافيتَـه فعصيتُـه فلـم يَسـلُبني عنـد ذلـك عافيـةً، يـا مَـن أكرَمـني وأسـبغَ عـليَّ نعمَـه فعصيتُـه فلـم يُـزِلْ عـنّي نعمتَـه، يـا مَـن نصـحَ لي فتركـتُ نصيحتَـه فلـم يسـتَدْرِجني عنـدَ تَـركي نصيحتَـه. يـا مَـن أوصـاني بوصايـا كثـيرةٍ لا تُحصى، إشـفاقاً منـه عـليَّ ورحمـةً منـه لي فتركـتُ وصيّتَـه، يـا مَـن كتـمَ سـيّئاتي وأظهـرَ مَحاسـني حـتّى كأنّي لـم أزَلْ أعمـلُ بطاعتِـه، يـا مَـن أرضيـتُ عبـادَه بسَـخَطِه فلـم يَكِلْـني إليهـم ورزقَـني مـن سَـعَتِه، يـا مَـن دَعاني إلى جنّتِـه فاخـترتُ النـارَ فلـم يَمنَعْـهُ ذلـك أن فتـحَ لي بـابَ توبتِـه. يـا مَـن أقالَـني عظيـمَ العَـثراتِ وأمـرَني بـالدّعاء وضَمِـنَ لي إجابتَـه، يـا مَـن أعصيـه فيَسـتُر عـليَّ ويغضـبُ لي إن عُـيِّرتُ بمعصيتِـه. يـا مَـن نهـا خلقَـه عـن انتهـاك محـارمي وأنـا مقيـمٌ على انتهـاك محارمِـه، يـا مَـن أفنيـتُ مـا أعطـاني في معصيتِـه فلـم يحبـسْ عـنّي عطيّتَـه، يـا مَـن قَوِيْـتُ على المعـاصي بكفايتِـه فلـم يَخذُلـني ولـم يُخرجـني مـن كفايتِـه. يـا مـن بارزتُـه بالخطايـا فلـم يُمَثِّـل بي عنـد جُـرأتي على مبارزتِـه، يـا مَـن أمهلَـني حـتّى اسـتغنيتُ مـن لَذّاتي ثـمّ وعـدَني على تركِهـا مغفرتَـه، يـا مَـن أدعـوه وأنـا على معصيتِـه فيُجيبـني ويقـضي حاجتَي بقُدرتِـه، يـا مَـن عصيتُـه باللّيـل والنهـار وقـد وكَّلَ بالاسـتغفار لي ملائكتَـه. يـا مَـن عصيتُـه في الشـباب والمَشـيب وهـو يَتَأنّـاني ويفتـحُ لي بـابَ رحمتِـه، يـا مَـن يشـكرُ اليسـيرَ في عمـلي وينـسى الكثـيرَ مـن كرامتِـه، يـا مَـن خلَّصَـني بقدرتِـه ونجّـاني بلُطفِـه، يـا مَـن اسـتدرَجَني حـتّى جانبـتُ محبّتَـه، يـا مَـن فـرضَ الكثـيرَ لي مـن إجابتِـه على طـول إسـاءتي وتَضييـعي فريضتَـه. يـا مَـن يغفـرُ ظلمَنـا وحُوْبَنـا[1] وجُرْأتَنـا وهـو لا يحـورُ علينـا في قضيّتِـه، يـا مَـن نتظالـمُ فـلا يُؤاخِذُنـا بعلمِـه ويُمهِـلُ حـتّى يُحضِرَ المظلـومُ بيّنَتَـه، يـا مَـن يُـشرِكُ بـه عبـدُه وهـو خَلَقَـه فـلا يتعاظَمُـه أن يغفـرَ له جريرتَـه، يـا مَـن مَـنَّ عـليَّ بتوحيـدِه وأحـصى عـليَّ الذنـوبَ وأرجـو أن يغفرَهـا لي بمَشـيَّته. يـا مَـن أعـذرَ وأنـذرَ ثـمّ عـدتُ بعـد الإعـذار والإنـذار في معصيتِـه، يـا مَـن يعلـمُ أنّ حسـناتي لا تكـونُ ثمنـاً لأصغـرِ نِعَمِـه، يـا مَـن أفنيـتُ عمـري في معصيتِـه فلـم يُغلـق عـنّي بـابَ توبتِـه. يـا ويـلي مـا أقـلَّ حيـائي، ويـا سـبحانَ هـذا الـرّبِّ مـا أعظـمَ هيبتَـه، ويـا ويـلي مـا أقطـعَ لسـاني عنـدَ الإعـذار، ومـا عُـذري وقـد ظهـرتْ

١- الحُوْب بالضّمّ: الإثم.

عـليَّ حجّتُـه، هـا أنـا ذا بائـعٌ بجُـرمي، مُقِـرٌّ بذنـوبي لـربّي ليَرحَـمَني ويتغمّـدَني بمغفرتِـه، يـا مَـنِ الأرضـون والسّـماواتُ جميعـاً في قبضتِـه، يـا مَـن اسـتَحْقَقْتُ عقوبتَـه، هـا أنـا ذا مُقِـرٌّ بذَنـبي. يـا مَـن وَسِـعَ كلَّ شيءٍ برحمتِـه، هـا أنـا ذا عبـدُك الحسـيرُ الخاطـئ، إغفـرْ له خطيئتَـه، يـا مَـن يُجـيرُني في مَحيـاي ومَـماتي، يـا مَـن هـو عُـدّتي لظُلمـة القـبر ووحشـتِه، يـا مَـن هـو ثقَـتي ورجـائي وعُـدّتي لعـذاب القـبر وضَغْطَتِـه، يـا مَـن هـو غيـاثي ومَفـزعي وعُـدّتي للحسـاب ودقّتِـه، يـا مَـن عَظُـمَ عَفـوُه وكَـرُمَ صفحُـه واشـتدّت نِقْمَتُـه. إلـهي لا تَخذُلـني يـوم القيامـة، فإنّـك عُـدّتي للمـيزان وخِفَّتِـه، هـا أنـا ذا بائـعٌ بجُـرمي مُقِـرٌّ بذَنـبي معـترفٌ بخطيئَـتي، إلـهي وخالـقي ومـولاي صـلِّ على محمّـدٍ وآلِ محمّـدٍ واختِـم لي بالشّـهادة والرّحمـة. أللّهـمّ إنّي أسـألُك بـكلّ اسـمٍ هـو لـكَ يَحِـقُّ عليـكَ فيـه إجابـةُ الدّعاء إذا دُعِيـتَ بـه، وأسـألُك بحـقّ كلّ ذي حـقٍّ عليـكَ وبحقّـكَ على جميـع مَـن دونـك، أن تُصـلّيَ على محمّـدٍ عبـدِكَ ورسـولِكَ وآلِ محمّـدٍ عبيـدِكَ النّجبـاءِ المَيامـين، ومَـن أرادني بسُـوءٍ فخُـذْ بسَـمْعِه وبَصرِه، ومـن بَـين يديَـه ومـن خلفِـه، وامنَعْـهُ عـنّي بحولِـك وقوّتـك إنّـك على كلّ شيءٍ قديـر. أللّهـمّ إنّـا نرغـبُ اليـكَ في دولـةٍ كريمـةٍ تُعِـزُّ بها الإسـلامَ وأهلَـه، وتُـذِلُّ بهـا النّفـاقَ وأهلَـه، وتجعَلُنـا فيهـا مـن الدُّعاةِ إلى طاعتِـك والقـادةِ إلى سـبيلِك، وترزقُنـا بهـا كرامـةَ الدّنيـا والآخـرة، يـا أرحـمَ الراحمـين. أللّهـمّ إنّـا نشـكو إليـك غيبـةَ نبيّنـا عنّـا، وكـثرةَ عدوّنـا وقلّـةَ عددِنـا، وشـدّةَ الفِـتَنِ بنـا وتَظاهُـرَ الزّمـان علينـا، فَصَـلِّ على محمّـدٍ وآل محمّـدٍ وَأَعِنّـا على ذلـكَ يـا ربّ بفَتـحٍ منّـك تُعَجِّلُـه، ونـصرٍ تُعِـزُّه، وسـلطانِ حـقٍّ تُظهِـرُه، ورحمـةٍ منـك تُجلّلُناهـا، وعافيتَـك فَأَلْبِسـنَاها، برحمتِـك يـا أرحـمَ الرّاحمـين. أللّهـمّ إنّي لـم أعمـلِ الحسـنةَ حـتّى أَعْطَيْتَنيهـا، ولـم أعمـلِ السـيّئةَ إلّا بعـدَ أن زيّنَهـا ليَ الشـيطانُ الرجيـم، أللّهـمّ فَصَـلّ على محمّـدٍ وآل محمّـدٍ وَعُـد عـليَّ بعطائـك، ودَاوِ دائي، فـإنّ دائيَ الذنـوبُ القبيحـةُ، ودواءُك وعـدُ عفـوِك وحـلاوةُ رحمتِـك. أللّهـمّ لا تَهتِـكْ سِـتري، ولا تُبْـدِ عَـورتي، وآمِـن رَوعَـتي، وأَقِلْـني عَـثرتي، ونفِّـسْ كُربَـتي، واقـضِ عـنّي دَيْـني وأمانـتي، واخْـزِ عـدوَّك وعـدوَّ آلِ محمّـدٍ وعـدوّي وعـدوَّ المؤمنـين، مـن الجـنّ والإنـس في مشـارقِ الأرض ومغاربِهـا. أللّهُـمّ حاجَـتي حاجَـتي حاجَـتي الـتي إنْ أَعْطَيْتَنيهـا لـم يَـضُرَّني مـا مَنَعْتَـني، وإنْ مَنَعْتَنيهـا لـم يَنفعْـني مـا أَعطيتَـني، وهي فَـكاكُ رقبَـتي مـن النّـار، فَصَـلِّ على محمّـدٍ وآلِ محمّـدٍ وارضَ عـنّي، وارضَ عـنّي، وارضَ عـنّي -حـتّى ينقطـعَ النَّفَـس.

أللّهُمّ إيّاكَ تعمَّدْتُ بحاجَتي وبكَ أنزلتُ مَسكَنَتي، فَلْتَسعْني رَحمتُك، يا وهّابَ الجنّة، يا وهّابَ المغفرة، لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بك، أينَ أطلبُك يا موجوداً في كلّ مكان، في الفيافي مرّةً، وفي القِفَار أخرى؟ لعلّك تسمعُ منّي النداءَ، فقد عَظُمَ جُرمي وقلَّ حيائي، مع تَقَلْقُلِ قلبي وبُعْدِ مَطلبي وكَثرةِ أهوالي. ربِّ أيَّ أهوالي أتذكَّرُ وأيَّها أنسى، فلو لم يَكُن إلّا الموتُ لَكَفى، فكيفَ وما بعدَ الموت أعظمُ وأدهى. يا ثِقلي ودماري وسوءَ سَلَفي وقلّةَ نَظري لنَفسي، حتّى مَتى وإلى مَتى أقول: لكَ العُتبى، مرّةً بعد أخرى، ثمّ لا تَجِدُ عندي صدقاً ولا وفاءً.

أسألُك بحقِّ الذي كنتَ له أنيساً في الظُّلمات، وبحقّ الذين لم يَرضوا بصيام النّهار وبمُكابدةِ اللّيل، حتّى مَضَوا على الأَسِنَّة قُدُماً، فخضَّبوا اللِّحَى بالدّماء، ورمَّلوا الوجوهَ بالثّرى، إلّا عفوتَ عمّن ظلمَ وأساء. يا غَوثاه يا أللهُ يا ربّاه، أعوذُ بكَ من هوىً قد غَلَبَني، ومن عدوٍّ قد استكلبَ عليّ، ومن دنيا تَزَيَّنَتْ لي، ومن نَفْسٍ أمّارةٍ بالسّوءِ إلّا ما رَحِمَ ربّي، فإنْ كنتَ سيّدي قد رَحِمْتَ مثلي فَارْحَمني، وإنْ كنتَ سيّدي قد قبلتَ مثلي فَاقْبَلني. يا مَن قَبِلَ السَّحَرَةَ فَاقْبَلْني، يا مَن يُغَذّيني بالنِّعَمِ صباحاً ومساءاً، قد تَراني فريداً وحيداً شاخصاً بَصَري مُقلَّداً عَمَلي، قد تَبَرَّأَ جميعُ الخَلْقِ منّي، نَعم وأبي وأُمّي ومَن كان له كَدّي وسَعيي. إلهي فمَن يقبلُني ومَن يسمعُ ندائي ومَن يُؤنِسُ وحشَتي ومَن يُنطِقُ لساني إذا غُيِّبْتُ في الثَّرَى وَحدي ثمّ سَأَلْتَني بما أنتَ أعلمُ به منّي، فإنْ قلتُ: قد فعلتُ، فأَينَ المهربُ من عدلِك، وإنْ قلتُ: لم أفعل، قلتَ: أَلَم أَكُن أُشاهدُك وأَراك.

يا أللهُ يا كريمَ العفوِ، مَن لي غيرك. إنْ سألتُ غيرَك لم يُعطِني، وإنْ دعوتُ غيرَك لم يُجِبني، رضاكَ يا ربِّ قبلَ لقائك، رضاكَ يا ربّ قبلَ نزولِ النّيران، رضاكَ يا ربّ قبلَ أن تُغَلَّ الأيدي إلى الأعناق، رضاكَ يا ربّ قبلَ أن أُنادي فلا أُجابَ النّداءَ. يا أحقَّ مَن تجاوزَ وعَفا، وَعِزَّتِك لا أقطعُ منّكَ الرّجاء، وإنْ عَظُمَ جُرمي وَقَلَّ حيائي، فقد لَزِقَ بالقلبِ داءٌ ليسَ له دواء، يا مَن لم يَلُذِ اللّائذونَ بمثلِه، يا مَن لم يَتَعرَّضِ المُتعرِّضون لأَكرمَ منه. يا مَن لم تُشَدَّ الرِّحالُ إلى مثلِه، صلِّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ واشغَلْ قلبي بعظيمِ شأنِك، وأَرسِلْ محبَّتَك إليه حتّى ألقاكَ وأوداجي تشخبُ دماً، يا واحدُ يا أجودَ المُنعِمين المُتكبِّرُ المُتعال، صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ وافكُك رقبتي من النّارِ برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمين.

إلـهي، قـلَّ شُـكري -سـيّدي- فَلَـمْ تَحْرِمْـني، وعَظُمَـتْ خَطيئـتي سـيّدي فَلَـمْ تَفْضَحـني، ورأيتَـني على المعـاصي سـيّدي فَلَـم تَمنَعـني ولـم تَهتِـكْ سِـتري، وأَمَرْتَـني سـيّدي بالطّاعـةِ فَضَيَّعـتُ مـا بـه أَمَرتَـني، فـأيُّ فقـيرٍ أفقـرُ مـنّي؟

سـيّدي إنْ لـم تُغنِـني، فـأيُّ شَـقِيٍّ أشـقى مـنّي إنْ لـم تَرحمـني. فَنِعْـمَ الـرّبُّ أنـت يـا سـيّدي ونِعْـمَ المـولى، وبئـسَ العبـدُ أنـا يـا سـيّدي وَجَدْتَـني، أيْ ربّـاه، هـا أنـا ذا بـينَ يدَيـك، معـترفٌ بذنـوبي، مُقِـرٌّ بالإسـاءةِ والظُّلـمِ على نفـسي، مَـن أنـا يـا ربّ فتقصـدَ لعـذابي، أم (مَـن) يدخـلُ في مسـألتِك إنْ أنـتَ رَحِمْتَـني. أللّهُـمّ إنّي أسـأَلُك مـن الدّنيـا مـا أسـدُّ بـه لسـاني، وأُحْصِـنُ بـه فَـرْجي، وأُؤدّي بـه عـنّي أمانـتي، وَأَصِلُ بـه رَحِـمي، وأتَّجِـرُ بـه لآخـرتي، ويكـونُ لي عَونـاً على الحـجّ والعُمـرة، فإنّـه لا حـولَ ولا قـوّةَ إلّا بـك. وَعِزَّتِـك يـا كريـمُ لَأُلِحَّـنَّ عليـك، وَلَأَظْلِـبَنَّ إليـك، وَلَأَتَضَرَّعَـنَّ إليـك، وَلَأَبْسِـطَنَّها إليـك، مـع مـا اقترَفنـا مـن الآثـام، يـا سـيّدي فَبِمَـن أعـوذُ وبمَـن ألـوذ، كلُّ مَـنْ أتيتُـه في حاجـةٍ وسـألتُه فائـدةً فإليـكَ يرشـدُني وعليـك يَدلُّـني، وفي مـا عنـدَك يُرَغِّبُـني. فَأسـأَلُكَ بحـقِّ محمّـدٍ وعـليٍّ وفاطمـةَ والحسـنِ والحسـينِ وعـليِّ بـنِ الحسـينِ، ومحمّـدِ بـنِ عـليٍّ، وجعفـرِ بـن محمّـد، ومـوسى بـنِ جعفـر، وعـليِّ بـنِ مـوسى، ومحمّـدِ بـنِ عـليٍّ، وعـليِّ بـنِ محمّـد، والحسـنِ بـنِ عـليٍّ، والحجَّـةِ القائـمِ بالحـقِّ صلواتُـك يـا ربّ عليهـم أجمعـين، وبالشـأنِ الذي لهـم عنـدَك، فـإنّ لهـم عنـدَك شـأناً مـن الشّـأن، أن تُصـلّيَ على محمّـدٍ وآلِ محمّـد، وأن تفعـل بي (كـذا وكـذا. وتسـأل حوائجَـك للدّنيـا والآخـرة، فإنّهـا تُقـضى إن شـاءَ اللهُ تعـالى).

ثمّ تقول:

أللّهُـمّ ربَّنـا ربَّ كلِّ شيء، مُـنْزِلَ التّـوراةِ والإنجيـلِ والزّبـورِ والفُرقـانِ العظيـم، فالقَ الحَـبِّ والنَّـوى، أعـوذُ بـكَ مـن شرِّ كلّ دابّـةٍ أنـتَ آخـذٌ بناصيتِهـا. أنـتَ الأوّلُ فليـسَ قبلَـك شيءٌ، وأنـتَ الآخـرُ فَليـسَ بعـدَك شيءٌ، وأنـت الظّاهـرُ فليـسَ دونَـك شيءٌ، فَصَـلِّ على محمّـدٍ وآلِه واقـضِ عـنّي الدَّيْـنَ وأَغنِـني مـن الفقـر. يـا خيرَ مَـن عُبـدِ ويـا أشـكرَ مَـن حُمِـدَ، ويـا أحلـمَ مَـن قَهَـر، ويـا أكـرمَ مَـن قَـدِر، ويـا أسـمعَ مَـن نُـودي، ويـا أقـربَ مَـن نُـوجي، ويـا آمـنَ مَـن استُجير، ويـا أرأَفَ مَـن استُغيث، ويـا أكـرمَ مَـن سُـئِلَ، ويـا أجـودَ مَـن أعطى، ويـا أرحـمَ مَـن استُرحِمَ، صـلِّ على محمّـدٍ وآلِ محمّـدٍ وارحَـم قلّـةَ حِيلـتي، وامـنُن عـليَّ بالجنّـةِ طَـوْلاً منـك، وفُـكَّ رقبـتي مـن النّـار تَفضُّـلاً. أللّهُـمّ إنّي أَطَعْتُـكَ في أحـبِّ الأشـياء إليـكَ وهـو التّوحيـد، ولـم أَعْصِـكَ في أكـرهِ الأشـياء إليـك وهـو الشّـرك، فَصَـلِّ على محمّـدٍ وآلِ محمّـدٍ واكفِـني أمـرَ عـدوّي. أللّهُـمّ إنّ لـكَ عـدوّاً لا يَألُـوني خَبـالاً، بصـيراً بعُيـوبي

حريصاً على غِوايتي، يراني هو وقبيلُه من حيثُ لا أراهم، ألّلهُمّ فَصَلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّد، وأَعِذْ من شرّ شياطين الجنِّ والإنسِ أنفسَنا وأموالَنا وأهالينا وأولادَنا، وما أُغْلِقَتْ عليه أبوابُنا وما أحاطتْ به عوراتُنا[1]. ألّلهُمّ وَحَرِّمْني عليه كما حَرَّمْتَ عليه الجنّة، وباعِدْ بيني وبينَه كما باعَدْتَ بين السّماء والأرض، وأبعَدَ من ذلك، ألّلهُمّ إنّي أعوذُ بكَ من الشّيطانِ الرّجيم، ومن رِجْسِه، ونصبه، وهَمْزِه ولَمْزِه ونَفْخِهِ، وكيدِه ومَكرِه، وسِحرِه ونَزْغِه وفِتنَتِه وغوائلِه، ألّلهُمّ إنّي أعوذُ بكَ مِنْهم في الدّنيا والآخرة، وَفي المَحيا والمَماة. يا مسمِّيَ نفسِه بالإسمِ الذي قَضى أنّ حاجةَ مَن يدعوه به مَقضيّة، أسألُك به إذْ لا شفيعَ لي عندَك أَوثقُ منه، أن تُصلّيَ على محمّدٍ وآلِ محمّد، وأن تفعلَ بي (كذا وكذا، وتَسْأَلُ حاجتَك فإنّها تُقضى إن شاء اللّهُ تعالى). ثمّ تقول:

ألّلهُمّ إنْ أدخلتَني الجنّةَ فأنتَ محمودٌ، وإنْ عذَّبْتَني فأنتَ محمودٌ، يا مَن هو محمودٌ في كلّ خصالِه، صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ وافعَلْ بي ما تشاءُ وأنت محمود. إلهي أتُراكَ مُعَذِّبي وقد عفَّرتُ لكَ في التّرابِ خَدّي، أتُراكَ معذّبي وحبُّك في قَلبي، أما إنّك إنْ فعلتَ ذلك بي جمعتَ بيني وبينَ قومٍ طالَ ما عاديتُهم فيك. ألّلهُمّ إنّي أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لكَ يحقُّ عليكَ فيه الإجابةُ للدّعاء إذا دُعيتَ به، وأسألُك بحقّ كلِّ ذي حقٍّ عليك وبحقِّكَ على جميع مَن هو دونَك، أن تُصلِّيَ على محمّدٍ عبدِك ورسولِك وآلِه الطّاهرين، ومَن أرادَني أو أرادَ أحداً من إخواني بسُوء، فخُذْ بِسَمْعِه وبَصَرِه، ومن بَين يدَيه ومن خلفِه، وامنَعْني منه بحَولِكَ وقوّتِك. ألّلهُمّ ما غابَ عنّي من أمري أو حضرَني، ولم ينطقْ به لساني ولم تَبلُغْهُ مَسألتي أنتَ أعلمُ به منّي، فَصَلِّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ وأَصْلِحْهُ لي وَسَهِّلْهُ يا ربّ العالمين. ربّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِينا أو أخطَأْنا، ولا تَحمِلْ علينا إصراً[2] كما حَمَلْتَه على الذين من قبلِنا، ربّنا ولا تُحمِّلنا ما لا طاقةَ لنا به واعفُ عنّا واغفر لنا وارحَمنا أنتَ مولانا فانصُرنا على القوم الكافرين. ماذا عليك يا ربّ لو أرضيتَ عنّي كلَّ مَن له قِبَلي تبعةٌ، وأدخلتَني الجنّةَ برحمتِك، وغفرتَ لي ذنوبي، فإنّ مغفرتَك للخاطئين وأنا مِنهم، فاغفرْ لي خَطَأي يا ربّ العالمين. ألّلهُمّ إنّك تَحلمُ عن المُذنبين وتَعفو عن الخاطئين، وأنا عبدُك الخاطئُ المُذنبُ الحسيرُ الشَّقِيُّ، الذي قد أفزعَتْني ذنوبي وَأَوْبقَتْني

١- العورات هنا بمعنى الثغرات التي يُخشى دخول الضّرر من خلالها.
٢- لا تحمّلنا إصراً: لا تكلّفنا تكليفاً شاقّاً. والإصر: الذّنبُ والثّقل.

خَطاياي[1]، ولم أَجِدْ لها ساداً ولا غافراً غيرَك يا ذا الجلالِ والإكرام. إلهي استَعْبَدَتْني الدّنيا واستَخْدَمَتْني، فصرتُ حيرانَ بين أطباقِها، فيَا مَن أَحصى القليلَ فشكَرَه، وتجاوزَ عن الكثير فغَفرَهُ بعدَ أن سَترَه، ضاعِفْ لِيَ القليلَ في طاعتِك وتقبَّلْه، وتجاوزْ عن الكثيرِ في معصيتِك فَاغفِرْه، فإنّه لا يغفرُ العظيمَ إلّا العظيمُ، يا أرحمَ الرّاحمين.

أللّهُمّ صلِّ على محمّدٍ وآل محمّد، وأَعِنّي على صلاةِ اللّيل وصيامِ النّهار، وارزُقني من الوَرَع ما يحجزُني عن معاصيك، واجعلْ عباداتي لكَ أيّام حياتي، واستَعمِلني أيّامَ عُمري بعملٍ تَرضى به عنّي، وزَوِّدني من الدّنيا التّقوى، واجعلْ لي في لقائك خُلفاً من جميع الدّنيا، واجعلْ ما بَقِيَ من عُمري دَرْكاً لما مَضى من أجلي.أيقنتُ أنّكَ أنتَ أرحمُ الرّاحمين في موضعِ العفوِ والرّحمة، وأشدُّ المُعاقبينَ في موضعِ النّكالِ والنّقِمَة، وأعظمُ المُتجبّرين في مَوضعِ الكبرياءِ والعَظَمة، فاسمَعْ يا سميعُ مِدْحَتي، وَأَجِبْ يا رحيمُ دَعوتي، وأَقِلْ يا غفورُ عَثرتي. فَكَم يا إلهي من كُربَةٍ فَرَّجْتَها، وغَمرةٍ قد كَشَفْتَها، وعثْرَةٍ قد أَقَلْتَها، ورحمةٍ قد نَشَرْتَها، وحلَقةِ بلاءٍ قد فَكَكْتَها، ألحمدُ لله الذي هَدانا لهذا وما كنّا لِنَهْتَدِيَ لولا أنْ هدانا الله.

أللّهُمّ وإنّي أُشْهِدُكَ وَكَفى بكَ شهيداً، فاشْهَد لي بأنّي أشهدُ أنّك أنت اللهُ الذي لا إلهَ إلّا أنتَ ربّي، وأنّ محمّداً رسولَك نَبيّي، وأنّ الدّينَ الذي شَرَعْتَ له ديني، وأنّ الكتابَ الذي أنزلتَ عليه كتابي، وأنّ عليَّ بن أبي طالبٍ إمامي، وأنّ الأئمّةَ من آلِ محمّدٍ صلواتُك عليه وعليهم أئمّتي. أللّهُمّ إنّي أُشْهِدُكَ وكَفى بكَ شهيداً، فاشْهَد لي بأنّكَ أنتَ اللهُ المُنعِمُ عليَّ لا غيرُك، لكَ الحمدُ بنعمتِك تتمّ الصّالحات. لا إلهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبرُ وسبحانَ الله وبِحَمْدِه، وتبارَكَ اللهُ وتعالى، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ العليِّ العظيم، ولا ملجأَ ولا مَنجَى من الله إلّا إليه، عددَ الشّفعِ والوِتر، وعددَ كلماتِ ربّي الطيّباتِ المباركات، صدقَ اللهُ وبلّغَ المُرسَلون ونحنُ على ذلك من الشّاهدين. أللّهُمّ صلِّ على محمّدٍ وآل محمّد، واجعَلْ النّورَ في بَصَري، والتّصيحةَ في صدري، وذِكرَك باللّيل والنّهار على لساني، ومن طَيِّبِ رزقِك الحلالِ غير ممنونٍ ولا محظورٍ فارزُقني. أللّهُمّ إنّي أسألُك خيرَ المعيشةِ معيشةً أَقْوَى بها عَلى جميعِ حاجاتي، وأتوسّلُ بها في

١- أَوبقَتْني: أَهلكَتْني.

الحياة إلى آخرتي، من غير أن تُتْرِفَني فيها فَأَشقى، وأَوْسِعْ عليَّ من حلالِ رزقِك، وأَفِضْ عليَّ من سَيْبِ فضلِك، نعمةً منكَ سابغةً وعطاءً غيرَ ممنون، ولا تَشغَلْني فيها عن شُكرِ نعمتِك عليَّ بإكثارٍ منها فتُلهيني عجائبُ بَهجتِه، وتَفْتِنَني زَهراتُ زينتِه، ولا بإقلالٍ منها فَيَقصُرَ بعملي كَدُّه، ويملأَ صدري همُّه، بل أَعْطِني من ذلك غنىً عن شِرارِ خَلْقِك، وبلاغاً أنالُ به رضوانَك، يا أرحمَ الرّاحمين. أللّهُمّ إنّي أعوذُ بكَ من شرّ الدّنيا وشرِّ أهلِها وشرِّ ما فيها، ولا تَجْعَلِ الدّنيا عليَّ سِجناً، ولا تجعَلْ فراقَها لي حزناً، أَجِرْني من فتنَتِها، واجعَلْ عملي فيها مقبولاً، وسَعيي فيها مشكوراً، حتّى أصلَ بذلك الى دارِ الحَيَوانِ ومساكنِ الأخيار. أللّهُمّ وإنّي أعوذُ بك من أَزَلِها[1] وزِلزالِها وسَطَواتِ سُلطانِها، ومن شرِّ شياطينِها وبَغْيِ مَن بَغى عليَّ فيها، فَصَلِّ على محمّدٍ وآله واعصِمني بالسَّكينة، وأَلْبِسني درعَك الحصينة، وأجِنّني[2] في سترِك الواقي وأَصْلِحْ لي حالي، وبارِكْ لي في أهلي وَوُلدي ومالي. أللّهُمّ صلِّ على محمّدٍ وآله وطَهِّر قَلبي وجَسَدي، وزَكِّ عملي، واقبَلْ سَعيي، واجعَلْ ما عندَك خيراً لي، سيّدي أنا من حُبِّك جائعٌ لا أشبَع، أنا من حبِّكَ ظمآن لا أَروى، وَاشَوقاه إلى مَن يَراني ولا أرَاه. يا حبيبَ مَن تحبَّبَ إليه، يا قُرّةَ عينِ مَن لاذَ به وانقطعَ إليه، قد تَرى وحدَتي من الآدميّين ووَحشتي، فَصَلِّ على محمّدٍ وآله واغفرْ لي وآنِسْ وَحشتي وارْحَم وَحدتي وغُربَتي. أللّهُمّ إنّك عالمٌ بحوائجي غيرُ معلَّم، واسعٌ لها غيرُ متكلِّف، فَصَلِّ على محمّدٍ وآلِه وافعَلْ بي ما أنتَ أعلمُ به منّي من أمرِ دُنياي وآخرَتي.

أللّهُمّ عَظُمَ الذَّنبُ من عبدِك فَلْيَحسُنِ العفوُ عندَك، يا أهلَ التّقوى وأهلَ المغفرة. أللّهُمّ إنّ عفوَك عن ذَنبي وتَجاوزَك عن خَطيئتي، وصَفْحَك عن ظُلمي، وسَتْرَك عَلى قبيحِ عملي، وحلمَك عَن كبيرِ جُرمي، عندما كان من خَطَأي وعَمدي، أطمَعني في أن أسألَك ما لا أَستوجبُه منك، الذي رزَقتني من رَحمتِك، فَلَم أرَ مولًى كريماً أصبرَ على عبدٍ لئيمٍ منكَ عليَّ يا ربّ، إنّك تَدعوني فَأُوَلّي عنك، وتَتَحبَّبُ إليَّ فأَتبَغَّضُ إليك، وتَتودَّدُ إليَّ فَلا أقبلُ منك،

---

١ - الأَزَل: الضّيقُ والحَبس.

٢ - أجِنّني: اجعلني في جُنَّة، وهي الوقاية.

كأنّ لِيَ التطـوّلَ عليـك، فَلـم يمنَعْـكَ ذلـك مـن الرّحمـةِ لي والإحسـانِ إليّ والتفَضُّلِ عَـليَّ بجـودِك وَكَرَمِـك، فَصَـلِّ عَلى محمّـدٍ وآلِه وارْحَـمْ عبـدَك الجاهـل، وَعُـدْ عليـه بفضـلِ إحسـانِك، إنّـكَ جـوادٌ كريـم، أَيْ جَـوادُ أَيْ كَريـمُ.

ثـمّ تـقـول:

بسـم الله الرّحمـن الرّحيـم، بسـمِ اللهِ بسـمِ اللهِ، باسـمِ عَالِـمِ الغَيـب، باسـمِ مَـن ليـس في وحدانيّتِـه شَـكٌّ ولا رَيـبٌ، باسـمِ مَـن لا فـوتَ عليـه ولا رغبـةَ إلّا إليـه، باسـمِ المعلـومِ غـيرِ المَحـدودِ والمعـروفِ غـيرِ المَوصـوفِ، باسـمِ مَـن أمـاتَ وأحيـا، بسـمِ مَـن له الآخـرةُ والأُولى، باسـمِ العزيـزِ الأعـزِّ، باسـمِ الجليـلِ الأَجَـلِّ. باسـمِ المحمـودِ غـيرِ المحـدود[1] المسـتَحقِّ لَه عَلى السـرّاء والـضرّاء، باسـمِ المذكـورِ في الشِّـدَّةِ والرّخـاء، باسـمِ المُهَيمـنِ الجبّـار، باسـمِ الحنّـانِ المَنّـانِ، باسـمِ العزيـزِ مـن غـيرِ تعـزُّزٍ والقَديـرِ مـن غـير تَقَـدُّر، باسـمِ مَـن لَـم يَـزَلْ ولا يَـزول، باسـمِ اللهِ الذي لا إلهَ إلّا هُـوَ الـحَيُّ القَيّـومُ لَا تَأْخُـذُهُ سِـنَةٌ وَلا نَـوْم.

ثـمّ تقـول:

أللّهُـمّ صَـلِّ على محمّـدٍ وآلِه وأَصْلِحْـني قبـلَ المـوت، وَارْحَمـني عنـدَ المـوت، واغْفِـر لي بعـدَ المـوت، أللّهُـمّ صَـلِّ على محمّـدٍ وآلِه واحطُـطْ عنّـا أوزارَنـا بالرّحمـة، وارجِـعْ بِمُسـيئنا إلى التوبـة. أللّهُـمّ إنّ ذُنـوبي قَـد كَـثُرَتْ وجَلَّـتْ عـن الصِّفَـة، وإنّهـا صغـيرةٌ في جَنـبِ عفـوِك، فَصَـلِّ على محمّـدٍ وآلِه واعـفُ عـنّي، أللّهُـمّ إنْ كنـتَ ابتَلَيتَـني فَصَـبِّرني والعافيـةُ (والعاقبـةُ) أحـبُّ إليّ. أللّهُـمّ صَـلِّ على محمّـدٍ وآلِه وحَسِّـنْ ظَـنّي بـكَ وحَقِّقْـه، وبَـصِّرْ فِعـلي، وأَعْطِـني مـن عفـوِكَ بمقـدارِ أَمَـلي وَلا تُجـازِني بسـوءِ عَمَـلي فتُهلكَـنَي، فـإنّ كرمَـك يَجِـلُّ عَـن مُجـازاةِ مَـن أذنـبَ وقـصَّرَ وعانـدَ، وَأَتـاكَ عائـذاً بفضلِـك، هاربـاً منـكَ إليـك، مُتَنَجِّـزاً مـا وعـدتَ مـن الصَّفْـحِ عمَّـن أحسـنَ بـكَ ظنّـاً. أللّهُـمّ صـلِّ على محمّـدٍ وآلِه واغفـرْ لِي والجِـلْدُ بـارك (بـارد)[2] والنَّفَـسُ دَائـر، واللِّسـانُ مُنطَلِـق، والصُّحُـفُ مُنْـشَرة،[3] والأقـلامُ

١- وردتْ هذه العبارة في (الإقبال): «باسمِ المحمودِ غيرِ المحمود»، إلّا أنّها في (البحار) نقلاً عن (الإقبال): «غير المحدود»، وعلى فَرْض الأوّل فيُمكن أن يكون المَعنى: المستحقّ للحَمد ولا يحمدُه الخلْق. واللهُ العالم.

٢- في المصدر وفي (البحار) وقد نقل عنه: «والجلْدُ بارِك»، وعلّقَ محقّق (البحار) باحتمال كَوْنه: «والجلدُ بارد»، أي قبلَ دبيبِ الحرارة التي هي علامةُ المَوت، وهو محتمَلٌ كما يحتمَل «بارك»، أي لم يتحرّك وينطلق كما تبركُ الناقة.

٣- نشر الصّحف: المراد هنا نشرُها لتكتبَ فيها الملائكة الحسنات والسيّئات، وهو غير نشرِها يومَ القيامة للحساب.

جاريـة، والتّوبـةُ مقبولـة، والتّـضرُّعُ مَرجـوّ، قبـلَ أن لا أقـدرَ على اسـتغفارِك حـينَ يَفـنى الأَجَـلُ ويَنقطـعُ العمـلُ. أللّهُـمّ صـلِّ على محمّـدٍ وآلِه وتَوَلَّنـا ولا تُولِنـا غـيرَك، أَسـتَغفرُكَ اللّهُـمّ اسـتغفاراً لا يُقـدِّر قـدَرَه ولا يَنظـرُ أمـدَه إلّا المسـتغفَرُ بـه، وَلا يَـدري مـا وراءَه ولا وراءَ مَـا وَرائـه، والمـرادَ بـه أحـدٌ سـواه. أللّهُـمّ إنّي أسـتغفرُك لِمـا وَعدتُـكَ مـن نَفسي ثـمّ أَخلفتُـك، وأسـتغفرُك لمَـا تبـتُ إليـكَ منـه ثـمّ عـدتُ فيـه، وأسـتغفرُك لـكلِّ خـيرٍ أردتُ بـه وجهَـك ثـمّ خالَطَـني فيـه مـا ليـسَ لـك، وأسـتغفرُك لـكلِّ نعمـةٍ أَنْعمـتَ بهـا عـليَّ ثـمَّ قَوِيـتُ بهـا على مَعصيَتِـك».[1]

٢- الدّعاء الثّاني:

«عـن أبي عبـد الله (الإمـام الصّـادق) عليه السلام قـال: إذا حَـضَر شـهرُ رمضـان فقُـلْ: أللّهُـمَّ قَـدْ حَـضَرَ شَـهْرُ رَمَضـانَ وَقَـدِ افْتَرَضْـتَ عَلَيْنـا صِيامَـهُ وَأَنْزَلْـتَ فِيْـهِ القُـرْآنَ هُـدىً لِلنّـاسِ وَبَيِّنـاتٍ مِـنَ الهُـدى وَالفُرْقـانِ، أللّهُـمَّ أَعِنّـا عَلى صِيامِـهِ، أللّهُـمَّ تَقَبَّلْـهُ مِنّـا وَسَـلِّمْنا فِيْـهِ وتسَـلَّمْهُ منّـا فِي يُـسْرٍ مِنْـكَ وَعافِيَـةٍ إِنَّـكَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيـرٌ يـا أَرْحَـمَ الرّاحِمـين».[2]

٣- الدّعاء الثالث:

وهـو مـا تتضمّنـه الروايـة الـتي وردَ فيهـا دعاءٌ لـكلّ يـوم مـن أيّـام الشـهر العظيـم. وتَـرِد في مـا يـلي موزّعـةً على الأيّـام مـع وقفـة عنـد مضمـون دعاء كلّ يـوم.

دعاء اليوم الأوّل

«أللّهُـمَّ اجْعَـلْ صِيـامِي فِيْـهِ صِيـامَ الصَّائِمِـينَ، وَقِيـامِي فِيْـهِ قِيـامَ القائِمِـينَ، وَنَبِّهْـنِي فِيْـهِ عَـنْ نَوْمَـةِ الغافِلِـينَ، وَهَـبْ لِي جُـرْمِي فِيـهِ يـا إِلهَ العالَمِـينَ، وَاعْـفُ عَـنِّي يـا عافِيـاً عَـنِ المُجْرِمِـينَ».[3]

وقفة مع مضمونه:

يقـفُ بنـا هـذا الدعاء عنـد الفـرق بـين الظاهـر والباطـن، الشـكل والمحتـوى، وأنّ التفريـقَ بينهمـا يكـون باليَقَظـة والخـروج مـن الغفلـة ولا يتحقّـق ذلـك عادةً

١- الإقبال: ١/ ١١٩- ١٣٧

٢- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٠/ ٣٢٥.

٣- الإقبال: ١/ ٢٣٠؛ والكفعمي، البلد الأمين: ص ٢١٩، أدعية أيّام شهر رمضان، والمصباح: ص ٦١٢ - ٦١٣؛ والمجلسي، البحار: ٩٥/ ٤، عن (الإقبال). ونظراً للاختلاف بين النُّسَخ المطبوعة من المصادر المذكورة آنفاً، فقد اعتمدتُ في إيراد أدعية الأيّام اللّفظ الذي أوردَه المحدّث القمّي في (مفاتيح الجنان)، وهو في دعاء اليوم الأول، مطابقٌ لما في (المصباح).

إلّا إذا تخلّص الإنسان من تبعات الذنوب وخرجَ من حجابها وأسْرِها وهو ما يتوقّف على عفوِه عزّ وجلّ.

* «أَللَّهُمَّ اجْعَلْ صِيامِي فِيْهِ صِيامَ الصَّائِمِينَ»: ما أكثرَ الذين يصومون إلّا أنّ الصومَ الحقيقيّ قليل، إلهي لا أريدُ أن أكون من الصائمين ظاهراً فقط، الذين ليس لهم من صومِهم إلّا الجوع والعطش، فاجعَلني اللّهمّ من الصّائمين حقيقةً، في الباطن والسّريرة.

* «وَقِيامِي فِيْهِ قِيامَ القائِمِينَ»: أريد أن تكونَ عبادتي لكَ يا إلهي عبادةً حقيقيّة، وأنّى للتّرابِ وربِّ الأرباب، ما أنا وما عَملي؟

* «وَنَبِّهْنِي فِيْهِ عَنْ نَوْمَةِ الغافِلِينَ»: لا يُمكنني أن أحصلَ على صوم الصائمين وقيام القائمين إلّا إذا نبَّهتَني يا إلهي عن نَومةِ الغافلين، ولا أستحقّ ذلك ما دامتَ مَعاصيَّ تحيطُ بي. إلهي فاعفُ عنّي حتّى أستحقّ إيقاظَك لي وتنبيهَك، فيصبحَ قيامي قيامَ القائمين، وصيامي صيامَ الصائمين.

* « وَهَبْ لِي جُرْمِي فِيهِ يا إِلهَ العالَمِينَ، وَاعْفُ عَنِّي يا عافِياً عَنِ المُجْرِمِينَ»: ختامٌ هو المَدخل، فَبالاعتراف تبدأُ التوبة، وبمقدار ما يكونُ تَكون.

إلهي أنا مُقرٌّ بذنبي، معترفٌ بجُرمي، أنا صاحبُ الدواهي العُظمى! فاعفُ عن جُرمي فما أنا بأوّل مَن عصاك فتُبتَ عليه. ياعافياً عن المجرمين.

* عن الإمام الصادق عليه السلام: «نَمْ نومَ المُعتَبِرين، ولا تَنَمْ نومةَ الغافلين، فإنَّ المُعتبِرين من الأكياس، ينامون استراحةً، ولا ينامون استِبْطاراً. وانْوِ بنومتِكَ تخفيفَ مؤونتِكَ على الملائكة، واعتزالَ التَّفِسِ عن شهواتِها، واختَبِرْ بها نفسَك، وكُن ذا معرفةٍ بأنَّك عاجزٌ ضعيفٌ، لا تقدِرُ على شيءٍ من حركاتِك وسكونِك، إلَّا بِحُكم الله وتقديرِه، وأنَّ النّومَ أخُ الموت، واسْتَدِلّ بها على الموت، الّذي لا تجدُ السّبيلَ إلى الانتباه فيه، والرُّجوعِ إلى صلاح ما فاتَ عنك، ومَن نام عن فريضةٍ أو سُنَّةٍ أو نافلةٍ فاتَه بسببِها شيءٌ، فذلك نومُ الغافلين، وسيرةُ الخاسرين، وصاحبُه مغبون، ومَن نام بعد فراغِه من أداءِ الفرائض والسُّنَن والواجبات من الحقوق، فذلك نومٌ محمودٌ..».[1]

١ - المحدّث النوري، مستدرك الوسائل: ٥/ ١٢٣؛ والمجلسي، البحار: ٧٣/ ١٨٩، كلاهما نقلاً عن: (مصباح الشريعة).

أعمال كلّ ليلة

تتوزّع أعمال كلّ ليلة من هذا الشهر العظيم على ثلاث محطّات:

١- الإفطار

٢- ما بعدَه قبل النوم، لمَن لم يقوَ على الإحياء.

٣- السَّحَر.

***

* أوّلاً: الإفطار

وهو محطّة شديدة الأهميّة للصائم، ولا تمتدّ أهميّتها لفترة زمنيّة طويلة، فهي حركةُ قلب، وإرهافُ إحساس، ونُبلُ مشاعر. تماماً كما هو حالُ مَن دخل إلى ضيافة عامرة وقد نُصبت المائدة. كم يستغرق من الوقت أن ينشرَ على الضيوف بسمَة، ويؤدّي التحية بلبَاقة ولياقة، ويخصّ صاحبَ الضيافة بردّ التحية بأدبٍ جَمّ، وكلمات قلبٍ مفعمةٍ بالشكر، لما بدرَ منه في حقّه من تكريمٍ لا علاقةَ له بالطعام، فهو لمَّا يتذوّقه بعد. وكم هو الفارق بين هذا وبين مَن دخل إلى مثل هذه الضيافة، وكأنّه لا يرى إلّا الطعام. إنّ الفارق الزمني لا يُذكر، ولكن الفارق القِيَميّ والأخلاقيّ كبيرٌ، كبير.

للصّائم فرحتان: فرحةٌ عند إفطاره.. ندرك منها هذه الفرحة التي تلامسُ شغافَ القلوب لدى المشاركة في الضيافة العامرة، بالأدب الجمّ، الذي قد يخدش بهاءَه كلمةٌ من هنا، أو إشارةٌ من هناك. فعَلى ماذا نفطر؟ وكيف سنفطر؟

في الجواب على السؤال الأول ورد ذِكرُ الماء والتَّمر وغيرهما، ولكن الأهمّ من ذلك ما بيّنه السّيّد ابن طاوس عليه الرحمة بقوله: «**وكلّما كان الذي يُفطر عليه الإنسان أبعد من الشبهات، وأقرب إلى المراقبات كان أفضل أن يفطرَ به، ويجعله وسيلة ينهض بها في الطاعات، وكسوةً لجسده يقفُ بها بين يدَي سيّده**».

وفي الجواب على السؤال الثاني: ورد في آداب الإفطار استحبابُ أذكار مختصَرة، وسورة القدر، ويُمكن للصائم اختيار أحدها، كما ورد استحباب دعاء أطول من الأذكارة والسورة.

والغالب الحثّ على الأول (الأذكار المختصَرة، وسورة القدر)، إلّا أنّ الحثّ على الثاني (الدعاء الطويل) كبير جدّاً. وهما كما يلي:

١- عن رسول الله ﷺ: «**ما مِن عبدٍ يصومُ ويقولُ عند إفطاره هذا الدُّعاء،**

إلّا خَرج من ذنوبِه كَيومِ وَلَدَتْهُ أمُّه، وهو: يا عظيمُ يا عظيمُ يا عظيمُ، أنت اللهُ الّذي لا إلهَ إلّا أنتَ، اغفِرْ لِيَ الذَّنبَ العظيم، إنَّه لا يَغفرُ الذَّنبَ العظيمَ إلّا أنتَ يا عظيم».[1]

٢- عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام: «أنَّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان إذا أفطر قال: ألَلَهُمَّ لكَ صُمْنا وعلى رِزْقِكَ أفْطَرْنا، فتَقَبَّلْهُ منّا، ذَهَبَ الظَّمَأُ، وابْتَلَّتِ العُروقُ، وبَقِيَ الأجْرُ».[2]

٣- كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أراد أنْ يُفطر، قال: «ألَلَهُمَّ لكَ صُمْنا وعلى رِزْقِكَ أفْطَرْنا، فتَقَبَّلْ منّا إنَّك أنتَ السَّميعُ العليمُ».[3]

٤- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ لِكُلِّ صائمٍ عند فِطرِه دعوةً مُستجابةً، فإذا كان في أوّلِ لقمة، فقُل: بِسمِ الله، يا واسِعَ المغفرةِ، اغفِرْ لي، فمَن قالها عند إفطاره، غُفِرَ له».[4]

٥- عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَن قرأ (القَدْر) عند سحورِه وعند إفطارِه "..." كان بينَهما كالمُتشَحِّطِ بِدَمِه في سبيلِ الله.»[5]

٦- وأما الدّعاءُ المشار إليه، فقد قال فيه السّيّد ابنُ طاوس عليه الرّحمة:

«وَمِنَ الدّعاء المختَصّ بالإفطارِ في شهرِ الصّيام، ما رَويناه بأَسنادِنا إلى المفضّل بن عمر رحمه الله:

قال الصّادقُ عليه السلام: إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله قالَ لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا الحَسن، هذا شهرُ رمضانَ قد أَقبَل، فاجعَلْ دُعاءَك قبل فطورِك، فإنَّ جبرئيلَ عليه السلام جاءَني فقال: يا محمّد، مَن دعا بهذا الدُّعاء في شهرِ رمضان قبلَ أنْ يُفطر، استجابَ اللهُ تعالى دعاءَه، وقَبِلَ صَوْمَه وصلاتَه، واستجابَ له عشرَ دعوات، وغَفَر له ذنبَه، وفرَّج همَّه، ونفَّس كُربتَه، وقضى حوائجَه، وأَنجحَ طَلِبتَه، ورفعَ عملَه مع أعمال النّبيّين والصدِّيقين، وجاءَ يومَ القيامة ووجهُه أَضوأُ من القمر ليلةَ البدر، فقلتُ: ما هو يا جبرئيل؟ فقالَ قُلْ:

ألَلّهُمَّ ربَّ النُّورِ العَظيمِ، ورَبَّ الكُرسيِّ الرَّفيعِ، وربَّ البَحرِ المَسْجورِ، وربَّ الشَّفْعِ الكبيرِ، والنُّورِ العزيزِ، وربَّ التَّوراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ، والفُرقانِ

١- الكفعمي، البلد الأمين: ص ٢٣١.
٢- الكفعمي، البلد الأمين: ص ٢٣١.
٣- الكفعمي، البلد الأمين: ص ٢٣١.
٤- الكفعمي، البلد الأمين: ص ٢٣٢.
٥- الكفعمي، البلد الأمين: ص ٢٣٢.

العَظيمِ. أنتَ إلهُ مَنْ في السَّماواتِ وإلهُ مَنْ في الأرضِ لا إلهَ فيهما غيرُكَ، وأنتَ جبَّارُ مَنْ في السَّماواتِ وجبَّارُ مَنْ في الأرضِ لا جبَّارَ فيهما غيرُك، وأنتَ مَلِكُ مَنْ في السَّماواتِ ومَلِكُ مَنْ في الأرضِ، لا مَلِكَ فيهما غيرُكَ، أسْألُكَ باسمِكَ الكبيرِ، ونورِ وجهِكَ المُنيرِ، وبِمُلكِكَ القديمِ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ، أسألُكَ باسمِكَ الَّذي أشْرَقَ بِهِ كُلُّ شيءٍ، وباسْمِكَ الَّذي أشْرَقَتْ بهِ السَّماواتُ والأرْضُ، وباسمِكَ الَّذي صَلُحَ بهِ الأوَّلونَ، وبِهِ يَصْلُحُ الآخِرون، يا حيَّاً قبلَ كُلِّ حَيّ، ويا حيَّاً بعدَ كُلِّ حيّ، ويا حَيُّ لا إلهَ إلَّا أنتَ، صلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، واغفِرْ لي ذُنوبي، واجْعَلْ لي مِن أمري يُسْراً وفَرَجاً قريباً، وثَبِّتْني على دينِ محمَّدٍ وآلِ محمَّدٍ، وعلى هُدى محمَّدٍ وآلِ محمَّدٍ، وعلى سُنَّةِ محمَّدٍ وآلِ محمَّدٍ عليهِ وعليهِمُ السَّلام، واجْعَلْ عمَلي في المَرْفوعِ المُتَقَبَّل، وهَبْ لي كَمَا وَهَبْتَ لأوليائِكَ وأهلِ طاعتِكَ، فإنِّي مؤمنٌ بِكَ، ومُتَوكِّلٌ عليكَ، مُنيبٌ إليكَ، مع مَصيري إليكَ، وتَجْمَعُ لي ولأهلي ولِوُلْدي الخيرَ كلَّهُ، وتَصْرِفُ عَنِّي وعن وُلْدي وأهلي الشَّرَّ كلَّهُ. أنتَ الحنَّانُ المَنَّانُ بَديعُ السَّماواتِ والأرضِ، تُعطي الخيْرَ مَنْ تشاءُ، وتَصْرِفُه عَمَّنْ تشاءُ، فامْنُنْ عليَّ بِرحمَتِكَ يا أرْحَمَ الرّاحِمينَ».[1]

وقد أوردَ الشيخ الطوسي الدّعاء المتقدّم باختلاف، خصوصاً في آخره، واختلافٍ في العدد، فقال رضوانُ الله عليه:

«**ويُستحَبُّ لمَن صامَ أنْ يدعو بهذا الدُّعاء قبلَ إفطاره، سبعَ مرّات**: أللّهُمَّ ربَّ النُّورِ العظيمِ، وربَّ الكُرسيِّ الواسِعِ، وربَّ العرشِ العظيمِ، وربَّ البحرِ المَسْجورِ، وربَّ الشَّفْعِ والوَتْرِ، وربَّ التَّوراةِ والإنجيلِ، وربَّ الظُّلُماتِ والنُّورِ وربَّ الظِّلِّ والحَرورِ وربَّ القرآنِ العظيمِ، أنتَ إلهُ مَنْ في السَّماواتِ وإلهُ مَنْ في الأرضِ لا إلهَ فيهما غيرُكَ، وأنتَ جبَّارُ مَنْ في السَّماواتِ وجبَّارُ مَنْ في الأرضِ لا جبَّارَ فيهما غيرُك، وأنتَ خالِقُ مَن في السّماء وخالقُ من في الأرضِ لا خالِقَ فيهما غيرُك، وأنتَ مَلِكُ مَنْ في السَّماءِ ومَلِكُ مَن في الأرضِ لا مَلِكَ فيهما غيرُك، أسْألُكَ باسمِكَ الكبيرِ، ونُورِ وجهِكَ المُنيرِ، وبِمُلكِكَ القديمِ، إنَّكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وباسمِكَ الّذي أشرَقَ لهُ نُورُ حُجُبِكَ، وباسمِكَ الَّذي صَلُحَ بهِ الأوَّلونَ، وبِهِ يَصْلُحُ الآخِرون، يا حيَّاً قبلَ كُلِّ حَيّ، ويا حيَّاً بعد كُلِّ حيّ، ويا حيُّ مُحيِي المَوْتى، يا حَيُّ لا إلهَ إلَّا أنتَ، صلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ،

١- الإقبال: ١/ ٢٣٩ - ٢٤٠؛ والكفعمي، البلد الأمين: ص ٢٣١ - ٢٣٢.

واغْفِر لنَا ذُنوبَنا واقْضِ لنا حوائِجَنَا، واكفِنا ما أهمَّنا مِن أمرِ الدُّنيا والآخرةِ، واجْعَلْ لنا مِن أمرِنا يُسراً وثَبِّتنا على هُدى رَسُولِك محمَّدٍ صلّى الله عليه وآله، واجْعَل لنا مِن كُلِّ غَمٍّ وهَمٍّ وضِيقٍ فرَجاً ومَخرجاً، واجْعَل دُعاءَنا عندكَ في المَرفُوعِ المُتَقَبَّلِ المَرحُومِ، وهَبْ لنا ما وَهَبْتَ لِأهلِ طاعَتِكَ مِن خَلْقِكَ فإنَّا مُؤمنونَ بِك مُنيبُونَ إليكَ مُتَوكِّلونَ عليكَ ومَصيرُنا إليكَ. أللّهمَّ اجْمَع لنا الخيرَ كلَّه واصْرِفْ عنَّا الشَّرَّ كلَّه إنَّك أنتَ الحنَّانُ المنَّانُ بديعُ السَّماواتِ والأرضِ، تُعطِي الخَيرَ مَن تَشاءُ وتَصرِفُهُ عَمَّن تَشاء. أللّهمَّ أعطِنا مِنهُ وامنُنْ علينا بِهِ يا أرْحَمَ الرَّاحمين. يا أللهُ يا رحمنُ يا رحيمُ يا ذا الجَلالِ والإكرامِ، يا أللهُ أنت الَّذي ليسَ كَمِثلِه شيءٌ، يا أجْوَدَ مَن سُئِل، يا أكرَمَ مَن أعطَى، يا أرحَمَ مَنِ اسْتُرْحِم، صَلِّ على مُحمَّدٍ وآلِه وارْحَم ضَعفي وقِلَّةَ حيلَتي إنَّك ثِقَتي ورَجائي، وامْنُنْ عليَّ بالجنَّةِ وعافِني من النَّارِ بِرَحمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحمين، واجْمَعْ لنا خيرَ الدُّنيا والآخِرةِ بِرَحْمَتِكَ يا أرحَمَ الرَّاحِمين.»[1]

تقديم الصلاة، أو الإفطار؟

قال الشيخ الطوسي عليه الرحمة:

«ورَوى زرارة وفضيل عن أبي جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام: **في رمضان تُصلّي ثمّ تُفطِر إلّا أن تكونَ مع قومٍ يَنتظرون الإفطار، فإنْ كنتَ معهم فلا تُخالف عليهم، وأَفْطِرْ ثمَّ صَلِّ، وإلّا فابْدَأ بالصّلاة. قلتُ**: ولِمَ ذلك؟ (أي ما هو السّبب في تقديم الصّلاة عندما لا يكون الصّائم مع قومٍ ينتظرون) **قال**: لأنّه قد حَضَرَك فرضان: الإفطارُ والصّلاة، فابْدَأ بأفضلِهما، وأفضلُهُما الصَّلاة، ثمّ قال: تُصلّي وأنتَ صائمٌ، فتُكتَب صلاتُك تلك، فتُختَم بالصَّوم أحبُّ إليّ».[2]

آداب الإفطار

قال السيّد ابن طاوس عليه الرحمة:

«فصلٌ في ما نذكرُه من كيفيّة خروجِ الصّائم من صومِه ودخولِه في حُكم الإفطار. اِعلم أنَّ للصّائم معاملةً كُلِّفَ باستمرارها قبل صَومه، ومع صَومه، وبعد صَومه، فهي مطلوبةٌ منه قبلَ الإفطار، ومعَه، وبعدَه، في اللّيل والنّهار،

١- الشيخ الطوسي، مصباح المتهجّد: ص ٦٢٣ - ٦٢٤.
٢- الشيخ الطوسي، مصباح المتهجّد: ص ٦٢٣ - ٦٢٤.

وهي طهارةُ قلبِه ممّا يَكرَهُه مَوْلاه، واستعمالُ جوارحِه في ما يُقرِّبه مِن رِضاه، فهذا أمرٌ مرادٌ من العبدِ مدَّة مقامِه في دُنياه.

وأمّا المعاملةُ المُختصّةُ بزيادة شهر رمضان، فإنَّ العبدَ إذا كان مع اللهِ جلَّ جلالُه، يتصرَّفُ بأمرِه في الصَّوم والإفطار، في السِّرّ والإعلان، فَصَومُه طاعةٌ سعيدةٌ، وإفطارُه بأمرِ اللهِ جلَّ جلالُه عبادةٌ أيضاً جديدةٌ. فيَكون خروجُه من الصَّوم إلى حُكم الإفطار، خروجَ مُمْتَثِلٍ أمرَ اللهِ جلَّ جلالُه، وتابعٍ لِما يُريده منه من الاختيار، مُتشرِّفاً ومتلذِّذاً بأنَّ سلطانَ الدُّنيا والآخرةِ ارْتَضاه أنْ يكونَ ببابِه، مُنصرِفاً إلى خدمتِه، مُنتسِباً إلى دولتِه وسُلطتِه، وأنَّه وفَّقهُ للقبول منه، وسَلَّمَه من خطر الإعراضِ عنه. وإيَّاهُ وأنْ يَعتقد أنَّه بدخولِ وقتِ الإفطار، قد أُعْفِيَ من هَيبة المُطالبة بطهارةِ الأسرار، وإصلاحِ الأعمالِ في اللّيل والنّهار، وهو يعلمُ أنَّ اللهَ جلَّ جلالُه ما أعفاه (من الصِّيام) إلَّا لمزيدِ دوامِ إحسانِه إليه، وإقبالِه بالرَّحمة عليه. وكيفَ يكونُ العبدُ مُتهاوِناً بإقبالِ مالكٍ حاضرٍ مُحسنٍ إليه، ويُهَوِّن من ذلك ما لم يُهَوَّن، ألم يَسمع مَوْلاهُ يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

*وفي هَدي ما تقدّم يُمكن القول:

اعلم أنّ الإفطارَ نوعُ إحلالٍ بعد إحرام، وخروجٌ من الحمى الخاصّ بعد الدخول فيه، وأنّ ما بين الإفطار والإمساك التالي، نوعُ تمتُّعٍ بالحجّ، يعقبُه دخولُ الحمى مجدّداً في موعد الإحرام التالي، وَلْيَكُن ذلك نصبَ عيني القلب طيلةَ ضيافة الرحمن، واستحضِرْه في كلّ ليلةٍ عند الإفطار، فإنّك بحول الله تعالى تَجِد بركاتِه في آخرِ سفرِ الحجّ عندما يحينُ موعدُ الخروج من البيتِ الحرام، والحَرَم عموماً، إلى عرفات ومِنى ليلةَ العيد، كما تجدها في آخر سفرِ الصّوم، عند موعدِ العودةِ إلى «الدّيار» بعد السابع من شوّال، وانتهاء موسم ضيافة الله تعالى وما يتبعُها من صيامٍ مستَحَبّ.

ما بعدَ الإفطار

* الغُسل

يُستَحبّ الغُسل في كلّ ليلة مفردَة، أي الأولى، الثالثة، الخامسة، وهكذا.

قال الشيخ الطوسي عليه الرحمة:

«وقد بيَّنّا ليالي الغُسل وهي أربعُ ليالٍ: ليلة سبع عشرة، وتسع عشرة،

١- الإقبال: ١/ ٢٣٥ – ٢٣٦، بتصرّفٍ في العبارات الأخيرة.

وإحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وإنِ اغتَسل ليالي الإفراد كلّها وخاصّة ليلة التّصف، كان له فيه فضلٌ كثير».[1]

وفي (العروة الوثقى):

«يُستَحبُّ الغُسل في ليالي الإفراد من شهر رمضان، وتمام ليالي العَشر الأخيرة، ويستَحبُّ في ليلة الثالث والعشرين غسلٌ آخر في آخر اللّيل، وأيضاً يستحبّ الغُسل في اليوم الأوّل منه، فعَلى هذا، الأغسال المستحبّة فيه اثنان وعشرون. وقيلَ باستحباب الغُسل في جميع لياليه حتّى ليالي الأزواج، وعليه يصير (اثنَين وثلاثين)، ولكن لا دليلَ عليه، لكنّ الإتيانَ لاحتمال المطلوبيّة في ليالي الأزواج من العُشرَين الأوُلَيين لا بأس به. والآكد منها: (في) ليالي القدر وليلة النّصف، وليلة سبعة عشر، والخمس وعشرين، والسبع وعشرين، والتسع وعشرين منه».

طريقة الغسل: للأمن من حكّة البدن

أضاف في (العروة الوثقى): «يُستحَبّ أن يكون الغُسل في اللّيلة الأولى واليوم الأوّل من شهر رمضان في الماء الجاري، كما أنّه يستحبّ أن يصبّ على رأسه قبلَ الغسل أو بعدَه ثلاثين كفّاً من الماء ليأمنَ من حكّةِ البَدَن، ولكن لا دخلَ لهذا العمل بالغُسل، بل هو مستَحبٌّ مستَقلّ».

* وقتُ الغسل

*** في (العروة الوثقى)**:

«**مسألة ١٦**: وقتُ غُسل اللّيالي تمامُ اللّيل، وإنْ كان الأَولى الإتيانُ به أوّلَ اللّيل، بل الأَولى الإتيانُ به قبلَ الغروب أو مقارناً له ليكونَ على غُسلٍ من أوّلِ اللّيل إلى آخرِه، نعم لا يَبعد في ليالي العَشر الأخيرة رَجحانُ الإتيان به بينَ المغرب والعشاء لما نُقل من فعل النّبيّ ﷺ، وقد مرّ أنّ الغسلَ الثاني في اللّيلة الثّالثة والعشرين في آخره.

مسألة ١٧: إذا تركَ الغُسلَ الأوّلَ في اللّيلة الثّالثة والعشرين في أوّل اللّيل لا يَبعد كفايةُ الغُسل الثاني عنه، وإنْ كان الأولى الإتيانُ بهما آخرَ اللّيل برجاء المطلوبيّة، خصوصاً مع الفصل بينَهما، ويجوزُ الإتيانُ بغُسلٍ واحدٍ بعنوان التّداخل وقصدِ الأمرَين».[2]

١- الشيخ الطوسي، مصباح المتهجّد: ص ٦٣٦.

٢- السّيّد اليزدي، العروة الوثقى: ٢/ ١٤٩ – ١٥٠ (ط: جديدة).

دعاء الافتتاح

قال السيّدُ ابن طاوس: «فصلٌ في ما نذكرُه من دعاء الافتتاح وغيرِه من الدّعوات التي تتكرّرُ كلّ ليلةٍ إلى آخر شهرِ الفلاح. فَمن ذلك الدّعاءُ الّذي ذكَرَه محمّد بن أبي قرّة بأسناده، فقال: حدَّثني أبو الغنائم محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبد الله الحسنيّ، قال: أخبَرنا أبو عمرو محمّد بن محمّد بن نصر السّكونيّ رضي الله عنه، قال: سألتُ أبا بكر أحمد بن محمّد بن عثمان البغداديّ رحمه الله، أن يُخرِجَ إليّ أدعيةَ شهر رمضان الّتي كان عمّه أبو جعفر محمّد بن عثمان بن السّعيد العَمْريّ (السّفير الثّاني للإمام صاحب الزّمان عليه السلام) رضي الله عنه وأرضاه يَدعو بها، فأخرَجَ إليّ دفتراً مجلّداً بأحمر، فنسختُ منه أدعيةً كثيرةً، وكان من جملتها: وتدعو بهذا الدّعاء في كلّ ليلةٍ من شهرِ رمضان، فإنّ الدُّعاءَ في هذا الشّهر تسمَعُهُ الملائكةُ وتَستغفرُ لِصاحبِه، وهو: اللّهمَّ إنّي أَفْتَتِحُ الثّناءَ بِحَمدِكَ وأنتَ مُسدِّدٌ للصَّوابِ بمَنِّك..»، وأوردَ الدّعاءَ كما أوْرَده الشّيخ الطّوسيّ عليهما الرّحمة، وسيأتي بتمامِه.[1]

قال الشيخ الطوسي: «دعاءُ كلِّ ليلةٍ من شَهر رمضان من أوّل الشهر إلى آخرِه:

اللّهُمَّ إِنِّي أَفْتَتِحُ الثَّناءَ بِحَمْدِكَ وَأَنْتَ مُسَدِّدٌ لِلصَّوابِ بِمَنِّكَ، (وَ) أَيْقَنْتُ أَنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِي مَوْضِعِ العَفْوِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَشَدُّ المُعاقِبِينَ فِي مَوْضِعِ النَّكالِ وَالنَّقِمَةِ، وَأَعْظَمُ المُتَجَبِّرِينَ فِي مَوْضِعِ الكِبْرِياءِ وَالعَظَمَةِ. اللّهُمَّ أَذِنْتَ لِي فِي دُعائِكَ وَمَسْأَلَتِكَ فاسْمَعْ يا سَمِيعُ مِدْحَتِي، وَأَجِبْ يا رَحِيمُ دَعْوَتِي، وَأَقِلْ يا غَفُورُ عَثْرَتِي، فَكَمْ يا إِلهِي مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ فَرَّجْتَها، وَهُمُومٍ قَدْ كَشَفْتَها، وَعَثْرَةٍ قَدْ أَقَلْتَها، وَرَحْمَةٍ قَدْ نَشَرْتَها، وَحَلْقَةِ بَلاءٍ قَدْ فَكَكْتَها. الحَمْدُ للهِ الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً وَلا وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً.

الحَمْدُ للهِ بِجَمِيعِ مَحامِدِهِ كُلِّها عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ كُلِّها، الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا مُضادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ وَلا مُنازِعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ وَلا شِبْهَ لَهُ فِي عَظَمَتِهِ، الحَمْدُ للهِ الفاشِي فِي الخَلْقِ أَمْرُهُ وَحَمْدُهُ، الظّاهِرِ بالكَرَمِ مَجْدُهُ الباسِطِ بالجُودِ يَدَهُ، الَّذِي لا تَنْقُصُ خَزائِنُهُ وَلا يَزِيدُهُ كَثْرَةُ العَطاءِ إِلّا كَرَماً وجُودَاً، إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الوَهّابُ. اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرٍ مَعَ حاجَةٍ بِي إِلَيْهِ عَظِيمَةٍ وَغِناكَ عَنْهُ قَدِيمٌ، وَهُوَ عِنْدِي كَثِيرٌ وَهُوَ عَلَيْكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ. اللّهُمَّ إِنَّ عَفْوَكَ عَنْ ذَنْبِي وَتَجاوُزَكَ عَنْ خَطِيئَتِي وَصَفْحَكَ عَنْ ظُلْمِي وَسَتْرَكَ عَلَى قَبِيحِ عَمَلِي، وَحِلْمَكَ عَنْ كَثِيرِ جُرْمِي، عِنْدَما كانَ مِنْ خَطَأي

---

١ - الإقبال: ١/ ١٣٨. وانظر: الكفعمي، البلد الأمين: ص ١٩٣ - ١٩٥، والمصباح: ص ٥٧٩ - ٥٨٢.

وَعَمْدِي أَطْمَعَنِي فِي أَنْ أَسْأَلَكَ ما لا أَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ الَّذِي رَزَقْتَنِي مِنْ رَحْمَتِكَ وَأَرَيْتَنِي مِنْ قُدْرَتِكَ وَعَرَّفْتَنِي مِنْ إِجابَتِكَ، فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمِناً وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِساً لا خائِفاً وَلا وَجِلاً، مُدِلًّا عَلَيْكَ فِي ما قَصَدْتُ فِيهِ إِلَيْكَ، فَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي عَتَبْتُ بِجَهْلِي عَلَيْكَ، وَلَعَلَّ الَّذِي أَبْطَأَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِي لِعِلْمِكَ بِعاقِبَةِ الأُمُورِ، فَلَمْ أَرَ مَوْلىً كَرِيماً أَصْبَرَ عَلى عَبْدٍ لَئِيمٍ مِنْكَ عَلَيَّ يا رَبِّ. إِنَّكَ تَدْعُونِي فَأُوَلِّي عَنْكَ، وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلا أَقْبَلُ مِنْكَ، كَأَنَّ لِيَ التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ ذلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ لِي وَالإِحْسانِ إِلَيَّ وَالتَّفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، فَارْحَمْ عَبْدَكَ الجاهِلَ وَجُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ إِحْسانِكَ إِنَّكَ جَوادٌ كَرِيمٌ.

الحَمْدُ للهِ مالِكِ المُلْكِ مُجْرِي الفُلْكِ مُسَخِّرِ الرِّياحِ فالِقِ الإِصْباحِ، دَيّانِ الدِّينِ رَبِّ العالَمِينَ، الحَمْدُ للهِ عَلى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ وَالحَمْدُ للهِ عَلى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ وَالحَمْدُ للهِ عَلى طُولِ أَناتِهِ فِي غَضَبِهِ وَهُوَ القادِرُ عَلى ما يُرِيدُ، الحَمْدُ للهِ خالِقِ الخَلْقِ وباسِطِ الرِّزْقِ ذِي الجَلالِ وَالإِكْرامِ وَالفَضْلِ وَالإِحسانِ الَّذِي بَعُدَ فَلا يُرى وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوى تَبارَكَ وَتَعالى، الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُنازِعٌ يُعادِلُهُ وَلا شَبِيهٌ يُشاكِلُهُ وَلا ظَهِيرٌ يُعاضِدُهُ، قَهَرَ بِعِزَّتِهِ الأَعِزَّاءَ وَتَواضَعَ لِعَظَمَتِهِ العُظَماءُ فَبَلَغَ بِقُدْرَتِهِ ما يَشاءُ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي يُجِيبُنِي حِينَ أُنادِيهِ وَيَسْتُرُ عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ وأَنا أَعْصِيهِ وَيُعَظِّمُ النِّعْمَةَ عَلَيَّ فَلا أُجازِيهِ، فَكَمْ مِنْ مَوْهِبَةٍ هَنِيئَةٍ قَدْ أَعْطانِي وَعَظِيمَةٍ مَخُوفَةٍ قَدْ كَفانِي وَبَهْجَةٍ مُونِقَةٍ قَدْ أَرانِي، فَأُثْنِي عَلَيْهِ حامِداً وَأَذْكُرُهُ مُسَبِّحاً. الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا يُهْتَكُ حِجابُهُ وَلا يُغْلَقُ بابُهُ وَلا يُرَدُّ سائِلُهُ وَلا يُخَيَّبُ آمِلُهُ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي يُؤْمِنُ الخائِفِينَ وَيُنَجِّي الصَّالِحِينَ وَيَرْفَعُ المُسْتَضْعَفِينَ وَيَضَعُ المُسْتَكْبِرِينَ وَيُهْلِكُ مُلُوكاً وَيَسْتَخْلِفُ آخَرِينَ، الحَمْدُ للهِ قاصِمِ الجَبَّارِينَ مُبِيرِ الظَّلَمَةِ مُدْرِكِ الهارِبِينَ نَكالِ الظّالِمِينَ، صَرِيخِ المُسْتَصْرِخِينَ مَوْضِعِ حاجاتِ الطّالِبِينَ مُعْتَمَدِ المُؤْمِنِينَ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي مِنْ خَشْيَتِهِ تَرْعَدُ السَّماء وَسُكّانُها، وَتَرْجُفُ الأَرْضُ وَعُمّارُها، وَتَمُوجُ البِحارُ وَمَنْ يَسْبَحُ فِي غَمَراتِها، الحَمْدُ للهِ الَّذِي يَخْلُقُ وَلَمْ يُخْلَقْ، وَيَرْزُقُ وَلا يُرْزَقُ وَيُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ وَيُمِيتُ الأَحْياءَ وَيُحْيِي المَوْتى وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَأَمِينِكَ وَصَفِيِّكَ، وَحَبِيبِكَ وَخِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَحافِظِ سِرِّكَ وَمُبَلِّغِ رِسالاتِكَ، أَفْضَلَ وَأَحْسَنَ وَأَجْمَلَ وَأَكْمَلَ، وَأَزْكى وَأَنْمى وَأَظْيَبَ وَأَظْهَرَ، وَأَسْنى وَأَكْثَرَ ما صَلَّيْتَ وَبارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ وَتَحَنَّنْتَ وَسَلَّمْتَ عَلى أَحَدٍ مِنْ عِبادِكَ وَأَنْبِيائِكَ وَرُسُلِكَ وَصَفْوَتِكَ وَأَهْلِ الكَرامَةِ عَلَيْكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى عَلِيٍّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَوَصِيِّ رَسُولِ رَبِّ العالَمِينَ، وَعَلى الصِّدِّيقَةِ الطّاهِرَةِ فاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِساءِ العالَمِينَ، وَصَلِّ عَلى سِبْطَيِ الرَّحْمَةِ وَإِمامَيِ الهُدى الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ

سَيِّدَيْ شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَصَلِّ عَلى أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ حُجَجِكَ عَلى عِبادِكَ وَأُمَنائِكَ فِي بِلادِكَ صَلاةً كَثِيرَةً دائِمَةً. أَللّهُمَّ وَصَلِّ عَلى وَلِيِّ أَمْرِكَ القائِمِ المُؤَمَّلِ وَالعَدْلِ المُنْتَظَرِ، أَحْفُفْهُ بِمَلائِكَتِكَ المُقَرَّبِينَ وَأَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدُسِ يا رَبَّ العالَمِينَ، أَللّهُمَّ اجْعَلْهُ الدّاعِيَ إِلى كِتابِكَ وَالقائِمَ بِدِينِكَ، اسْتَخْلِفْهُ فِي الأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ، مَكِّنْ لَهُ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ، أَبْدِلْهُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِ أَمْناً يَعْبُدُكَ لا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئاً، أَللّهُمَّ أَعِزَّهُ وَأَعْزِزْ بِهِ وَانْصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ، (و) انْصُرْهُ نَصْراً عَزِيزاً، أَللّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ وَمِلَّةَ نَبِيِّكَ حَتّى لا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الحَقِّ مَخافَةَ أَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ. أَللّهُمَّ إِنا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِها الإِسْلامَ وَأَهْلَهُ وَتُذِلُّ بِها النِّفاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنا فِيها مِنَ الدُّعاةِ إِلى طاعَتِكَ وَالقادَةِ إِلى سَبِيلِكَ وَتَرْزُقُنا بِها كَرامَةَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ. أَللّهُمَّ ما عَرَّفْتَنا مِنَ الحَقِّ فَحَمِّلْناهُ وَما قَصُرْنا عَنْهُ فَبَلِّغْناهُ.

أَللّهُمَّ الْمُمْ بِهِ شَعَثَنا وَاشْعَبْ بِهِ صَدْعَنا وَارْتُقْ بِهِ فَتْقَنا، وَكَثِّرْ بِهِ قِلَّتَنا وَأَعْزِزْ بِهِ ذِلَّتَنا وَأَغْنِ بِهِ عائِلَنا، وَاقْضِ بِهِ عَنْ مُغْرَمِنا (مَغْرَمِنا)، وَاجْبُرْ بِهِ فَقْرَنا وَسُدَّ بِهِ خَلَّتَنا وَيَسِّرْ بِهِ عُسْرَنا، وَبَيِّضْ بِهِ وُجُوهَنا وَفُكَّ بِهِ أَسْرَنا، وَأَنْجِحْ بِهِ طَلِبَتَنا وَأَنْجِزْ بِهِ مَواعِيدَنا وَاسْتَجِبْ بِهِ دَعْوَتَنا، وَأَعْطِنا بِهِ فَوْقَ رَغْبَتِنا، يا خَيْرَ المَسْؤُولِينَ وَأَوْسَعَ المُعْطِينَ اشْفِ بِهِ صُدُورَنا وَأَذْهِبْ بِهِ غَيْظَ قُلُوبِنا وَاهْدِنا بِهِ لِما اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَانْصُرْنا عَلى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّنا إِلهَ الحَقِّ آمِينَ.

أَللّهُمَّ إِنّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنا وَغَيْبَةَ إِمامِنا وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا وَشِدَّةَ الفِتَنِ وَتَظاهُرَ الزَّمانِ عَلَيْنا، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ محمّدٍ وَأَعِنّا عَلى ذلِكَ بِفَتْحٍ تُعَجِّلُهُ وَبِضُرٍ تَكْشِفُهُ، وَنَصْرٍ تُعِزُّهُ وَسُلْطانِ حَقٍّ تُظْهِرُهُ، وَرَحْمَةٍ مِنْكَ تُجَلِّلُناها وَعافِيَةٍ مِنْكَ تُلْبِسُناها بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ».[1]

صلاة كـلّ ليـلة

تعدّدت الرّوايات حول صلاة كلّ ليلة، وهي على ثلاثة أقسام كما يلي:

١- روايات صلاة الألف ركعة موزّعة على اللّيالي. ويأتي مزيدُ إيضاح، وهي التي ينبغي الاهتمام بها أكثر من غيرها، لِما ستَعرف من رأي الفقهاء، ولأنّ سيّد العلماء المراقبين السيّد ابن طاوس قال عن الصلوات الآتية:

«واعلم أنّني تركتُ ذكرَ صلواتٍ في ليالي شهر رمضان ما وثقتُ بطُرقِها ورُواتها، وصُرِفتُ عن إثباتِها».[2]

١- الشيخ الطوسي، مصباح المتهجّد: ص ٥٧٧ - ٥٨١.

٢- السيد ابن طاوس، إقبال الأعمال: ١/ ١١١.

٢- رواية عن رسول الله ﷺ[١]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام[٢] باختلافٍ يسير، وقد وردتْ فيها لكلّ ليلة صلاة خاصّة.

٣- صلاة واحدة مختصَرة، يُؤتى بها في كلّ ليلة.

قال الكفعمي: «ويُستَحبُّ أن يصلّي في كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ (الحمد) مرّة، و(التوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو، سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقولُ التّسبيحاتِ الأربعة سبعاً، ثمَّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمَّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ».[٣]

والمراد بالتّسبيحات الأربعة: «سُبْحَانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ وَلَا إِلهَ إِلّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَر».

ويستطيع المؤمن اختيار إحدى هذه الروايات، إلّا أنّ صلاة الألف ركعة هي الأرجح، ولذلك فسَأقفُ عندها في ما يلي بشيءٍ من التفصيل، ثم أعتمدُ في عمل كلّ يومٍ وليلة ذكرَ هذه الصّلاة -الألف ركعة- أوّلاً، ثم أذكر الصّلاتَين الثانية والثالثة، بالترتيب المذكور آنفاً، والسبب في ذكر الصّلوات الثّلاثة لكلّ ليلة، أن لا يُحرَم من صلاة اللّيلة مَن لا يوفَّق لحصّة تلك اللّيلة من الألف ركعة، ويكون أمام خيارَين آخرَين يُمكنه الأخذُ بأحبِّهما إليه، مع التنبّه جيّداً إلى أنّ الفارقَ بين الأولى وغيرها كبيرٌ جدّاً.

* ترجيحُ الأولى: الألف ركعة

يرجِّح أغلبُ الفقهاء اعتمادَ الألف ركعة التي وردتْ في عدّة روايات، إلّا أنّ هناك اختلافاً في عدّة موارد، والنتيجة العمليّة أنّه يُمكن الإتيان بهذه الألف ركعة بإحدى طريقتَين:

الأولى: عشرون ركعة في كلّ ليلة من أوّل الشهر إلى العشرين منه، وثلاثون لكلّ ليلة من العشر الأخيرة، وثلاثمائة يُؤتى بها ليالي تسع عشرة، وإحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، فيكون المجموع ألف ركعة.

قال الشّهيدان الأول والثاني: «ثمان بعدَ المغرب واثنتا عشرة بعد العشاء، ويجوز

١- الكفعمي، المصباح: ص ٥٦٢ – ٥٦٤، والبلد الأمين: ص ١٧٥، «صلوات شهر رمضان». وقال في المصدرَين: «وأمّا صلوات ليالي شهر رمضان، فنقلتُها من (كتاب الأربعين حديثاً) للشّهيد رحمَه الله، مرويّة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم».

٢- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٨.

٣- الكفعمي، المصباح: ص ٥٦٣، الهامش، وقد ورد فيه: «ركعتَين بالحمد فيها والتوحيد ثلاثاً»، وإنّما عدَلت عنه لما في المتن لأنّه المراد وحذَر التشويش على مَن يختار هذه الصلاة، فليُلاحَظ.

العَكس وفي كلّ ليلة من العَشر الأخيرة ثلاثون ركعة: ثمان منها بعد المغرب، والباقي بعد العشاء. ويجوز اثنتا عشرة بعد المغرب، والباقي بعد العشاء».[١]

ويقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة، و(التّوحيد) مرّة، أو ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو عشراً، يختار المصلّي بين ذلك، فقد تضمَّنتْ روايةُ هذه الصلاة عن الإمام الصّادق قولَه عليه السلام: «**تقرأُ في هذه الصّلوات كلِّها، أعني صلاةَ شهر رمضان، الزّيادةَ منها،[٢] بـ (الحمد) و(قل هو الله أحد)، إنْ شئتَ مرّةً، وإنْ شئتَ ثلاثَ مرّات، وإنْ شئتَ خمس مرّات، وإنْ شئتَ سبعاً، وإنْ شئتَ عشراً**».[٣]

وهناك دعاءٌ خاصٌّ بعدَ كلّ ركعتَين، وهو بصيغتَين: مطوَّلَة، ومختصَرة.

ويأتي ذِكر الدعاء المختصَر، في آخر الحديث عن كيفيّة الصّلاة.

الثانية: الصلاة في جميع اللّيالي كما تقدّم، ويتمّ توزيعُها بين المغرب والعشاء، وبعد العشاء، ويقرأ فيها كما تقدّم، ولكن لا تُصلّى العشرون ركعة، ولا الثّلاثون في ليالي القدر، أي لا تُصلّى عشرون ركعة ليلة تسع عشرة، ولا تُصَلّى ثلاثون ركعة ليلة إحدى وعشرين، ولا ثلاثون ليلة ثلاث وعشرين، فيكون ما نقصَ من الألف ثمانين ركعة، يُؤتى بها كما يلي:

أ- تُفرَّق في أربع جُمَع، في كلّ جمعة عشر ركعات، أربعٌ منها صلاة أمير المؤمنين عليه السلام، وركعتان صلاة فاطمة الزّهراء عليها السلام، وأربع ركعات صلاة جعفر رضوان الله تعالى عليه.

ب- ويُؤتى في ليلة آخر جمعة بعشرين ركعة صلاة أمير المؤمنين عليه السلام، وفي ليلة آخر سبت منه بعشرين ركعة صلاة فاطمة عليها السلام، فيكون ذلك تمامُ ألف ركعة.[٤]

وتصرّح كلماتُ العلماء بأنّ بالإمكان الاختيار بين الطريقتَين، وبالإمكان الرجوع في معرفة هذه الصّلوات إلى (مفاتيح الجنان) للمحدّث الشيخ عباس القمّي رحمه الله.

* الدعاء بعد كلّ ركعتَين

أوردَ الشيخ الطوسي، ونقلَ عنه السيّد ابن طاوس أدعية مطوَّلة يُدعى بها بعد كلّ ركعتَين من العشرين ومن الثلاثين، وبعد كلّ ركعتَين من المائة التي يُؤتى بها في ليالي القدر، ومَن أرادَها يُمكنه الرجوع إلى (مصباح المتهجّد)، أو (الإقبال)، وسَأكتفي هنا بذِكرِ دعاءٍ مختصَر، يُدعى به بعد كلّ ركعتَين: «**عن الإمام العسكريّ عليه السلام: وَلْيَكُن ممّا تدعو به كلّ ليلة بينَ كلّ ركعتَين من نوافل شهر رمضان:**

١- الشهيد الثاني، شرح اللّمعة الدمشقية: ١/ ٦٩٣.

٢- المقصود بقوله عليه السلام: «الزيادة منها»: الألف ركعة، لأنّها زيادة على النوافل اليوميّة الرّاتبة.

٣- الإقبال: ١/ ٥٢.

٤- الشيخ المفيد، المُقنِعة.

أللّهُمَّ اجْعَلْ فِيما تَقْضِي وَتُقَدِّرُ مِنَ الأَمْرِ المَحْتُومِ، أَنْ تَجْعَلَنِي مِنْ حُجَّاجِ بَيْتِكَ الحَرامِ المَبْرُورِ حَجُّهُمُ المَشْكُورِ سَعْيُهُمُ المَغْفُورِ ذُنُوبُهُمْ؛ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُطِيلَ عُمرِي فِي طاعَتِكَ وَتُوَسِّعَ فِي رِزْقِي يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وصلّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ الطّاهرين».[1]

صلاة اللّيلة الثانية

عن رسول الله ﷺ: «ومَن صلّى في اللّيلة الثّانية أربع ركعات، يقرأُ في كلِّ ركعة (الحمد) مرّة، و(إنّا أنزلناه في ليلة القدرِ) عشرين مرّة، غَفَرَ اللهُ له جميع ذنوبه».[2]

وقد تقدّم الكلام عن الصّلاة الأخرى التي يُؤتَى بها في كلّ ليلة بطريقة ثابتة.

السّحور: الأكل في وقت السَّحَر

من الرّوايات حول السّحور:

عن رسول الله ﷺ:

١- «تسَحَّروا وَلَو بِجَرعِ الماء، ألا صلواتُ اللهِ على المُتَسَحِّرين».[3]

٢- «السّحورُ بركةٌ، فلا تَدَع أمَّتي السَّحورَ..».[4]

٣- «إنَّ اللّهَ تبارك وتعالى وملائكتَه يُصلُّونَ على المُستَغفرين والمُتسحِّرين بالأسحار، فلْيَتَسَحَّر أحدُكم ولو بِشربةٍ من ماء..».[5]

عن الإمام الصّادق ﷺ: «ما مِن مؤمنٍ صامَ فَقَرأ (إنّا أنزلناه في ليلة القدر) عند سَحورِه وعند إفطارِه، إلّا كان في ما بينهما كالمُتَشحِّط بِدَمِه في سبيل الله».

* آداب السحور

قال السّيّد ابن طاوس عليه الرّحمة: «وأمّا آدابُ السّحور، فمنها:

١- أن يكونَ لك حالٌ مع الله جلَّ جلالُه، تعرف بها أنَّه يُريدكَ أن تَتَسَحَّر.

٢- وبماذا تتسحَّر؟

٣- ومقدار ما تَتَسَحَّر به.

فإنَّ ذلك يكونُ من أعظم سعادتِك، حيثُ نَقَلَكَ اللهُ جلَّ جلالُه برحمتِه من مُعاملةِ

١- الكفعمي، المصباح: ص ٥٧٩، الهامش، نقلاً عن السيد ابن طاوس. أنظر: الإقبال: ١/ ٨٠.

٢- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٨؛ والكفعمي، البلد الأمين: ص ١٧٥، والمصباح: ص ٥٦٣.

٣- الشيخ المفيد، المقنعة: ص ٣١٦.

٤- الشيخ الطوسي، مصباح المتهجّد: ص ٦٢٦، بتصرّف.

٥- الإقبال: ١/ ١٨٥.

شَهوتِكَ وطبيعتِكَ، إلى تدبيره جلَّ جلالُه في إرادتك «..» فلا تتَسحَّر سحوراً يُثقِلُك عن تمامِ وظائفِ الأسحار، وعن لطائفِ الطَّاعات في إقبال النّهار».[1]

نيّةُ الصوم

قال السيّد: «ويكونُ القصدُ بنيّةِ الصّوم أنّك تعبدُ اللهَ جلَّ جلالُه بِصَومِك واجباً لأنَّه أهلٌ للعبادة، وتعتقدُ أنّه من أعظمِ المِنَّةِ عليك، حيثُ جَعَلَك اللهُ أهلاً لهذه السّعادة، سواء قَصَدْتَ بالنيّةِ الواحدةِ صَوم الشّهر كلِّه، أو جدَّدْتَ كلَّ يومٍ نيَّةً لِصَوم ذلك اليوم، ليكونَ أبلَغَ لكَ في الظَّفرِ بفضلِه، وإنْ تَهَيَّأَ أن تكون نيّتُك أنْ تَصومَ عن كلِّ ما شَغَلَ عن الله، فذلك الصَّومُ الّذي تَنافَسَ المُخلصون في مثله».[2]

* أيّ صوم نريد؟

وتحدَّث السّيّدُ عليه الرّحمة عن أصناف الصّائمين، إلى أن قال:

«واعلَمْ أنّ لِأهل الصّيام مع استمرار السّاعات واختلافِ الحركات والسَّكنات [درجات]، في أنَّهم ذاكرون أنّهم بين يدَي الله جلَّ جلالُه، وأنَّه مُطّلِعٌ عليهم، وما يلزمُهم لذلك من إقبالِهم عليه، ومعرفةِ حقِّ إحسانِه إليهم، فحالُهُم في الدّرجات على قدرِ استمرار المراقبات، فهُم بينَ مُتَّصل الإقبالِ مُكاشَف ذلك الجلال، وبين متعثِّرٍ بأذيالِ الإهمال، وناهضٍ مِن تَعَثُّره بإمساكِ يدِ الرّحمة له والإفضال، ولا يعلمُ تفصيلَ مقدار مراقباتِهم وتكميل حالاتهم، إلّا المُطّلِعُ على اختلافِ إرادتهم. فارحَمْ رُوحَكَ أيُّها العبدُ الضَّعيفُ الّذي قد أحاطَ به التَّهديدُ والتّخويفُ، وعُرِض عليه التَّعظيمُ والتَّبجيل والتَّشريف».[3]

***

١- الإقبال: ١/ ١٨٦.
٢- الإقبال: ١/ ١٨٧.
٣- الإقبال: ١/ ١٨٩.

٢

شهر رمضان

* هل أيقنَ القلبُ بضيافة الله؟
* إذا دخلَ شهرُ رمضان فأَجهِدوا أنفسَكم..
* الاستغفار والدعاء
* من أدب الضّيافة
* الحَذر من المكابرة
* من أينَ يدخلُ أصحابُ المعاصي؟
* دعاء اليوم الثاني
* الغُسل في اللّيالي المفردة
* صلاة اللّيلة الثالثة

هل أيقنَ القلبُ بضيافة الله؟

أرادَنا اللهُ عزّ وجلّ أن نصلَ في شهر رمضان المبارك إلى حيث لا يُمكنُنا أن نصلَ بدون ضيافة الرّحمن في شهر الرّحمن.

من حبِّه لنا عزّ وجلّ أنّه أتاحَ لنا المحطّات المكانيّة المميّزة لكي نصلَ من خلالها إلى المراتب العالية، ومن حبّه لنا عزّ وجلّ أنه أقامَ هذه المحطّات الزمنيّة المميّزة، وفي طليعتها شهرُ رمضان المبارك، وبسطَ سبحانَه موائدَ الرحمة في هذا الشهر الكريم، ودعانا إلى الاستزادة من الثواب، وأن نجِدَّ السيرَ في طريق الحصول على رضوانه تقدّست أسماؤه.

هل نتعامل مع هذه الفرصة الإلهيّة الفريدة بالمستوى المطلوب، هل نُدرك ما معنى ضيافة الله عزّ وجلّ، وهل نبذل جهداً من أجل هذه الضيافة يتناسب مع كونها ضيافةَ الله تعالى؟ ألا ينبغي أن نلحّ على أن يقتنعَ القلبُ ويُوقن بأنّه ضيفُ الله!

بلى.. أنت أيّها القلب ضيفُ الله تعالى، سواءً كنت كَالخِرْقَة البالية أو أشدّ من الحجارة قسوةً، ومهما أسرفتَ في مُعاقرة الذنوب والولوغ في المعاصي.

أيّها القلب، في شهر الله تعالى وضيافة الرّحمن، لا مجالَ بعدُ لتندبَ حظَّك العاثرَ لكثرةِ المعاصي، وتقول: «وَيْلِي، كُلّما كَبُرَ سِنِّي كَثُرَتْ ذُنُوبِي».

إن المجالَ الذي فتحَه اللهُ تعالى أمامَك على مصاريعه يستدعي منك حصرَ الهمِّ وبذلَ الجُهدِ في سياق: «أَعُوذُ بِجَلالِ وجهِك الكَريمِ أنْ يَنقضيَ عنّي شهرُ رمضانَ أو يَطلُعَ الفجرُ من لَيلتي هذه، ولكَ قِبَلي تَبِعَةٌ أو ذنبٌ تُعذِّبُني عَليه».

يندبُ حظَّه مَن لا تُتاحُ له فرصةٌ لا يحرَم من فيضِها العميم إلّا شَقِيّ!

أما وقد أصبَحنا فيها، فَلْنَنْدِبْ حظَّنا على ما يضيعُ من لحظاتِها من دون أن يُستثمَر في فكاك نفوسنا المرتهَنة، وعتقِ رقابنا التي أذلَّتْها واستعبدَتْها أهواؤنا والشّهوات.

أيّها الحبيب: إنّ علينا أن نبذلَ قصارى جهدِنا في شهر رمضان المبارك من أجل الوصول إلى رضوان الله تعالى.

ليس شهرُ رمضان المبارك شهرَ الدّعة والاستراحة والنوم، وليس شهر السّهرات التي نُمضيها في اللّهو والمرح وتَقفية الشِّعر وما شابه. وإنّ من أكبر الحِيَل الشّيطانيّة التي تنطلي على الكثيرين منّا أن نلجأَ إلى مثل هذه الأساليب، وإذا بشهر ضيافةِ الله تعالى، هو شهرُ العطّالين البطّالين.

شهرٌ ينبغي فيه أن نشمِّر عن ساعد الجِدّ، ونتفرّغ لعبادة الرّحمن، ونتفرّغ للأعمال الصّالحة، وإذا بالغَفلة تجعلُه شهرَ «الفَرازير» والجلسات العابثة المُقَهْقِهَة بصخَب الحرام، وثقافتِها وأجوائها التي تنتشرُ في كلّ مكان!

فكيف نتعايشُ مع ذلك، فضلاً عن أن نتقبّلَه ونوغلَ فيه؟

أنا في ضيافة الرّحمن، كيف أسمحُ لنفسي أن أكونَ كرةً يتقاذفُها الشّيطانُ حيث يريد، ويُقنِعُني -بحجّة أنّي كنتُ صائماً- بأنّ لي ملءَ الحقّ في أن أسهرَ وأتندّرَ وأهزأَ كما يحلو لي، من دون أن أحملَ همَّ آخرتي على الإطلاق، وكأنّ شهرَ رمضان هو موسمُ التفنُّن في السّهرات وتمضية الوقت الثّمين بأبخَسِ النتائج وأتفهِها، وتقطيع أوصالِ المصير.

صحيحٌ أنّ التّرويحَ عن النّفْس أمرٌ طبيعيّ، و لا بدّ منه ضمنَ الضّوابط الشرعيّة، ومنها أنّه دائماً يجب أن يُقدَّر بقَدَرِه.

لو فَرَضنا أنّ إنساناً حُكِمَ عليه بالإعدام، وأمامَه متّسَعٌ من الوقت يستطيعُ أن يفعلَ شيئاً من أجل رفْع حُكم الإعدام عنه، فكيف يتصرّف؟

هل ينصرفُ إلى مجالس اللّهو والسّمَر والعبثيّة، ومشاهدة الأفلام المختلفة، أم أنّه يستثمرُ كلّ لحظةٍ من أجل إنقاذ نفسِه؟

إنّ الحاجة إذاً كبيرة، والفرصةُ المتاحةُ عظيمة، والمكتوبُ يقرَأُ من عنوانه، فهل بدَأنا نتعاطى مع الشهر بما يتناسبُ مع فرادته؟

«.. إذا دخلَ شهرُ رمضانَ فَأَجْهِدوا أَنْفُسَكم..»

نقرأُ في دعاء الافتتاح: «وأَيْقَنْتُ أنّكَ أنتَ أرحمُ الرّاحمين في مَوضع العفوِ والرّحمة، وأشدُّ المُعاقبينَ في مَوضعِ النَّكالِ والنَّقِمَة..».

ويضعُنا ذلك أمام أصلَين هما مقتَضى العدل، لا بدّ أن نبني سلوكَنا على مراعاتهما.

صحيحٌ أن الله عزّ وجلّ أرحمُ الرّاحمين وأنّنا نتوقّع أن تشملَنا رحمتُه مهما كانت ذنوبنا، إلّا أنّ الصحيح أيضاً أن نتأمّل في زوايا أنفسنا ونراقب أعمالنا حتى لا نُفاجَأ عندما تأتي ملائكةُ ربّنا لتنقلَنا إلى جوار الله عزّ وجلّ، بأنّا أمامَ عمليةِ إلقاءِ القبضِ على مجرمٍ مَرَدَ على الخروج على القانون، وارتكابِ الفظائع والمُوبقات.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾. الأنفال:٥٠.

فهل يصحّ لأيٍّ منّا أن يعيشَ الغفلة والإهمال وينصرف عمّا ينبغي الاهتمام به في شهر رمضان ثمّ يُسْلِم نفسه إلى عاقبة من هذا النوع، والعياذُ بالله؟

تحدّث السيد ابن طاوس عليه الرحمة حول الاهتمام بشهر الله تعالى، وقد أوردَ في هذا الفصل بعض الروايات، منها:

عن الإمام الصادق عليه السلام يوصي وُلدَه: «إذا دخلَ شهرُ رمضانَ فَأَجْهِدُوا أنفسَكم في هذا الشّهر، فإنّ فيه تُقسَمُ الأرزاقُ، وتُكتَبُ الآجالُ، وفيه يُكتَبُ وفدُ اللهِ (أي الحُجّاج)

الذين يَفِدون إليه، وفيه ليلةٌ العملُ فيها خيرٌ من العملِ في ألفِ شَهر».[1]

وليس المراد بإجهاد النّفْس تحميلَها ما لا تُطيق، بل المراد هو هذا الجهد الذي نبذله في ما نحبّ عادةً، من قبيل الجُهد الذي يستعذبُه مَن اقتنعَ بأهميّة الرياضة، أو استهواه إنجاز علمي يستدعي منه سَهَراً ومثابرة.

فَلْيَسأل كُلٌّ منّا نفسَه: تُرى هل ينطبق عليّ أنّي أُجهِد نفسي حقيقةً في طاعة الله عزّ وجلّ، و عبادته؟

هل أحرصُ على أن أكتفي بالمقدار الذي لا بدّ منه من النوم لأتفرّغ في الوقت الباقي لعبادة ربي عزّ وجلّ، كما يحرص على ذلك الطالبُ المُجِدُّ؟

هل أتعامل مع فترة السَّحَر على أساس أنّها فرصة نادرة للعبادة، وهل ألاحظ في ما أتناول من طعام أن أتقوّى به على عبادة ربّي، ولا يكون عائقاً يحولُ بيني وبين ذلك؟

هل أحاول استثمار الجوّ الروحاني الإلهي العجيب في وقت السَّحَر، أم أنّي أنشغل بتناول الطعام والتوابع إلى أن يحينَ وقتُ الإمساك؟

هل أُجهد نفسي بقراءة القرآن؟ أوليسَ هذا الشهرُ المباركُ شهرَ قراءة كتاب الله تعالى، والآيةُ بخَتْمَة؟

وأمّا الأرزاق التي تُقسَّم، فليس المراد بها الأرزاق الماديّة فقط، وإن كانت من جملتِها، إلّا أنّ التعبير عامٌّ يشمل الخشوع، الحياء، والعِفّة، والعلم، والورع، إلى غير ذلك، من القِيَم الفاضلة ومكارم الأخلاق والأفعال، فجميعُ ذلك هو من الأرزاق.

الاستغفار والدّعاء

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**عَلَيكم في شهرِ رمضان بالاستغفارِ والدُّعاء، أمّا الدُّعاء فَيَدفعُ عنكُم البلاءَ، وأمّا الاستغفار فيَمحو ذنوبَكم**».

بمقدار ما يكون المرءُ في معرض الخطر، يتعاظم مستوى حذره، وبمقدار ما يكون الخطأ في الكتابة تطولُ عمليةُ المَحو.

إنّنا مع المولى أبي الحسن عليه السلام في هذا الحديث، أمام حثٍّ على الإكثار من الاستغفار، وعلى الإكثار من الدّعاء، لنَشحنَ شهر رمضان بعبادة الله تعالى على حدٍّ تعبير حفيده سيِّد السّاجدين عليه السلام، على ثقةٍ بالله سبحانَه ويَقينٍ بمواعيدِه.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة:١٨٦.

وقد وردتْ هذه الآية في عِداد آيات الصّوم.

١- الإقبال: ١/ ٦٩؛ وانظر: الكليني، الكافي: ٤/ ٦٦.

ويبلغ الحثُّ على الاستزادة من بَذْل الجهد في شهر الله تعالى الآفاقَ التي لا يُدرَك مداها، مع ما أوردَه السيّد ابن طاوس من أنّ **رسولَ صلّى الله عليه وآله وسلّم كان إذا دخلَ شهرُ رمضانَ تغيَّرَ لَونُه، وكَثُرَتْ صلاتُه، وابتهلَ بالدّعاءِ، وَأَشفقَ منه.**

فِداكَ كلُّ نفوسِ الخَلْقِ يا رسولَ الله.

كلّ هذه المفردات في جانب، و«**أَشْفَقَ مِنْه**» في جانبٍ آخر!

وهل الإشفاقُ فرعُ المعرفة، وهيبةُ الضّيافة.

أنّى للمُوغل في ظَلام القلب والذَّنْب، أن يفقهَ حرفاً من حالات التّور الأوّل.

أوليسَ الأولى بالقلب أن يوَلِّي وجهَه شَطْرَ حالاته هو بدلاً عن هذا المُرتقى الصَّعب؟

هل استشعَرتَ أيّها القلبُ ما يدعو إلى تغيُّر اللّون وكَثرةِ الصّلاة، والدّعاءِ بابتهال، وليس مجرّدَ الدّعاء؟

وهل عَراكَ طيفٌ من وَجَل، ومسحةٌ من إشفاق؟

ولماذا كلّ هذه الطّمأنينة التي هي والغفلة سواء؟

لو أنّنا في ضيافة سيّد المعصومين المصطفى الحبيب ﷺ فكيف ينبغي أن يكون أدبُنا معه؟ فكيف إذاً ينبغي أن يكون أدبُنا مع الله عزّ وجلّ في ضيافته؟

يُمكننا أن ندركَ من معاني النّصّ المتقدّم أنّه كانت لشهر رمضان في نفسِ المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم مكانةٌ خاصّةٌ جداً، فهل أنا وأنت كذلك بما يتناسبُ معنا؟

من أدب الضيافة

ركّزَ السيّد ابنُ طاوس في بيان أدبِ الضيافة في الروايات، على ثلاثة محاور:

الأوّل: معرفة أهميّة هذه الضيافة.

الثاني: معرفة حقيقة علاقة الضّيف بالمضيف.

الثالث: معرفة الباب الذي يناسبُ الدخولُ منه حالَ الضّيف.

وقال حول الأوّل:

«واعلم أنّ شهر الصّيام مثلُ دار ضيافةٍ فُتحت للأنام، فيها من سائر أصناف الإكرام والإنعام، ومن ذخائر خُلَع الأمان والرّضوان، وإطلاقِ كثيرٍ من الأسرى...».[1]

وبالمقارنة بين ما ذكرَه هنا وما تقدّم منه في غيره، يتّضح أنّ المرادَ لو أنّ ملكاً من الملوك دعا شخصاً إلى ضيافتِه ووضعَ أمامَه مئاتِ المراسيم، وقال له: خُذْ ما تريدُ من هذه المراسيم وما فيها بدءاً من أصغرِ مرسومٍ ملوكيٍّ شديدِ الأهميّة إلى أعلى مرسوم، فكيفَ يتعاطى الحريصُ على هذه الأمور مع هذه الفرصة المُتاحة؟

١- الإقبال: ١/ ٦٩ - ٧٠.

وها نحنُ في ضيافة الرّحمن أمام عطايا وَهِبَاتٍ لا تُقاس بها على الإطلاق هذه الهِبات التي يُمكن لأكبر حاكم أو رئيس أو مَلِك أن يعطيها، فهل نعرف قيمة هذه المواهب؟

باستطاعة أيٍّ منّا أن يصبحَ من أهل التقوى، أواليقين، أو يحصل على درجة الشهادة، أو علم التوحيد، إلى غير ذلك من العطايا الكبيرة والمواهب التي يُمضي الإنسان عمرَه في الحصول عليها وقد لا يحالفُه التوفيق.

باستطاعة أيٍّ منّا أن يُمنحَ في شهر الله تعالى «**مكارمَ الأخلاق**» والحال أنّه قد يكابدُ عشرين سنة أو أكثر ليتخلّصَ من حالة أخلاقيّة سيّئة معيّنة كالرياء أو الحقد أو العُجب، أو استبداد الغضب به، وربّما أخفقَ في الخلاص منها.

إنّ جميع هذه العطايا والمواهب في متناوَل الناس بيُسر، ولكنّها ليست مطلَقة بل بشرطها وشروطها.

وتسأل: حتّى العاصي يُمكنه أن يحصلَ على هذه الهِبات والعَطايا الإلهيّة في شهر رمضان المبارك؟

والجواب: بلى، وبكلّ تأكيد، لأنّ شهر رمضان المبارك ليس للعُبَّاد، والزهّاد، فهؤلاء هم بشكلٍ وبآخر من الواصلين، وشهرُ رمضان المبارك لنا نحن الغافلين، المقصّرين، والغَرق في بحار المعاصي والذنوب، لكي نَصل.

الحَذَر من المكابرة

* إلّا أنّ هنا شرطاً أساسيّاً لا بدّ من الالتفات إليه وهو الموضوعيّة وعَدَم المُكابرة، والاعتراف بالخطأ. وهو العنوان الثاني الذي عالجه السيّد بقوله:

«وإنْ كان قد عاملَ اللهَ جلَّ جلالُه قبل الشهر المُشار إليه معاملةً لا يرضاها، وهو خجلان من دخول دار ضيافتِه والحضور بين يدَيه لأجل ما سلفَ من معاصيه [فَلْيَعلم أنّ] لدارِ هذه الضيافة أبواباً كثيرةً بلسانِ الحال: منها بابُ الغَفلة، فلا يُلِمَّ به ولا يدخل منه، لأنه بابٌ لا يصلحُ إلّا لأهل الإهمال»[1].

يريدُ أنّه إذا كان الصّائمُ قد أساءَ إلى الله تعالى وعصاه قبلَ حلول هذا الشّهر، فَلْيَحذر أن يدخلَ إلى دار ضيافتِه عزّ وجلّ من «بابِ الغفلة»، أي أن يدخلَ شهرَ الله تعالى والضيافةَ فيه، وهو سادرٌ في غَفْلتِه.

إنّ من يلبسُ ثياباً ممزّقة، ملطخّة بأنواع اللّوثات، إذا حملَتْه الغفلةُ إلى مجلسٍ رسميٍّ حافل، ثمّ تنبّه لذلك، فإنّه سيذوبُ خَجَلاً وتغمرُه الفضيحة، ويودُّ لو أنّ الأرضَ تبتلعُه

١- الإقبال: ١/ ٦٩-٧٠، مصحّحاً على نسخة دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٧هجري شمسي ص ٢٠، وليُلاحظ أنّ في العبارة مع ذلك خَلَلاً بحسب الظاهر، حاولتُ تلافيه بما بين المعقوفتين.

بمجرّد أن يرى نفسَه في ذاك المجلس، فيصرخُ القلب بأعلى الصوت: «ما الذي جاء بي؟! وبهذا المنظر؟! وعلى هذه الصورة النكرَاء! إلى هذا المجلس الحاشد!!».

فكيف إذا دخلتُ أنا الغريقُ في بحار الذّنوب -الملطّخُ بالغِيبة، وبعقوق الوالدين، والحقد، وحبّ الدنيا، وغير ذلك- إلى مجالس الأطهار، وشاركتُ في ضيافة الرّحمن وأنا غافل.

كذلك هو حالُ غفلتِنا أيّها العزيز التي تحملُنا إلى ضيافة الرّحمن فندخل من بابها!

ومَن تَنبَّه منّا واستشعرَ الفضيحة، وحاولَ أن يتدارك الأمر، فإنّ هذا الشعورَ بالفضيحة، وضرامَ نارِ النَّدَم، قد يصلُ من العُمق وقوّة التأثير إلى حيث يكون هو التوبة الحقيقيّة النّصوح التي لا تُضاهى.

أمّا مَن دخل إلى ضيافة الرّحمن وهو غافل، وأقامَ على ذلك، فسيكون مصداق مَن دخل من باب الغفلة كما يعبّر السيّد ابن طاوس، وسيَنقضي الشهر ولا تكون حصيلتُه منه إلّا الجرأة على ربّه والمزيد من تَراكمات الغفلة.

من أين يدخلُ أصحاب المعاصي؟

هذا هو العنوانُ الثالث الذي يقولُ فيه السيّد عليه الرحمة:

«وإنّما (ينبغي لمثلِه أن) يدخلَ من الباب الذي دخلَ منه قومُ إدريس، وقومُ يونس عليهما السلام، ومَن كان على مثل سوءِ أعمالهم وظفروا منه بآمالِهم..».

وقِصَّتا قوم إدريس ويونس عليهما السلام متَشابهتان، يجمعُهما الدخولُ من باب الأمل برحمةِ الله تعالى واليقين بعدمِ استحقاقِ الرحمة، بل باستحقاقِ العذاب.[1]

ينبغي للعاصي، صاحبِ الدواهي العُظمى، الذي طالتْ إقامتُه على التمرّد، أن يدخلَ من باب الأمل برحمة الله تعالى، ويكون لسان حالُه:

«إلهي وسيّدي، أنا لا أستحقّ، أعرفُ نفسي، وأنّي عاهدتُك ربِّ مرّةً بعد أُخرى فَلَم تَجِدْ عندي صدقاً ولا وفاءً، إلّا أنّك أكرمُ الأكرمين».

وهكذا يتّضح أنّ خلاصةَ آداب الضيافة هي عدمُ المكابرة، وتَرْكُ العناد، واعتماد الموضوعيّة بأجلى صوَرها، والواقعيّة بأبهى تجلّياتها الممكنة من هذا الآبِق الذي طالَ تَوَثُّبه على المحارم، وتَعَدِّيه حدودَ الله تعالى.

دعاءُ اليوم الثاني

«أَللَّهُمَّ قَرِّبْنِي فِيهِ إِلى مَرْضاتِكَ، وَجَنِّبْنِي فِيهِ مِنْ سَخَطِكَ وَنَقِماتِكَ، وَوَفِّقْنِي فِيهِ لِقِراءَةِ

١- أنظر في قصّة قوم إدريس عليه السلام: الطّباطبائي، تفسير الميزان: ١٤/ ٦٦ – ٦٨، وقصّة قوم يونس عليه السلام معروفة.

آياتِكَ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

بينَ القُرب إلى الله تعالى والقُرب إلى مرضاتِه، أبعدُ ممّا بين السّماء والأرض، إلّا أنّه الخطوة الأولى في الاتجاه الصّحيح المؤدّي إلى القُرب وما بعدَه من مراتب الوليّ، ومقعَد الصِّدق، والدِّرع الحصين.

والمدخلُ إلى ذلك: قراءةُ آياتِ الله. وكيفَ يكونُ للمسلمِ مع القرآن الكريم شأنٌ خاصّ إلّا بتوفيقِ أرحمِ الرّاحمين. أللّهمّ ارزُقنا.

الغسل في الليالي المفردة

سبقت الإشارة إلى ذلك، و من المناسب التّأكيد عليه في هذه اللّيلة. قال السّيّد: «اللّيلة الثّالثة ".." وفيها يستحبّ الغسل، على مقتضى الرّواية الّتي تضمّنت أنّ في كلّ ليلةٍ مفردةٍ من جميع الأشهر يستحبّ الغسل»

صلاة اللّيلة الثالثة

تقدَّمَ أنّي سألتزمُ بذِكر ثلاث صلوات لكلّ ليلة، يُمكن اختيار إحداها مع الانتباه إلى أهميّة ترجيح الأولى (الألف ركعة موزّعة على ليالي الشهر).

١- صلاةُ كلّ ليلة من هذه اللّيالي إلى ليلة العشرين من شهر رمضان هي عشرونَ ركعة، ثمان منها بعد المَغرب والباقي بعد العشاء، في كلّ ركعة (الحمد) مرّة، و(قل هو الله أحد) مرّة، أو ثلاث، أو خَمس، أو سَبع، أو عشر مرّات.

٢- عن رسول الله ﷺ: «ومَن صَلّى في اللّيلة الثّالثة من شهرِ رمضانَ عشرَ ركعات، يقرأُ في كلّ رَكعة (الحمد) مرّة، وخمسين مرّة (قل هو اللهُ أحد)، ناداه مُنادٍ من قِبَل الله عزّ وجلّ: ألا إنّ فلانَ بنَ فلان من عُتقاءِ اللهِ من النّار، وَفُتِحَت له أبوابُ السّماوات، ومَن قامَ تلكَ اللّيلةَ فَأَحْياها غَفَرَ اللهُ لَه».[1]

٣- قال الكفعمي: «ويُستَحبُّ أن يصلّي في كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ (الحمد) مرّة، و(التوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو، سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقولُ التّسبيحاتِ الأربعة سبعاً، ثمّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ».[2]

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٨؛ والكفعمي، البلد الأمين: ص ١٧٥.
٢- الكفعمي، المصباح: ص ٥٦٣، الهامش.

٣
شهر رمضان

* معنى الضّيافة
* من آداب الضّيافة (٢)
١- وداع سَنة واستقبال أخرى
٢- شريط السّنة الماضية
٣- علامةُ حبّ الله تعالى
* دعاءُ اليوم الثالث
* صلاة اللّيلة الرابعة

مَعنى الضّيافة

ما معنى أنّنا في شهر رمضان المبارك في ضيافة الله عزّ وجلّ، وهل هناك وقتٌ لسنا فيه في ضيافة الله سبحانه وتعالى؟

أرأيتَ لو أنّ شخصاً حلَّ ضيفاً على صاحب قصرٍ فأفردَ له جناحاً نزلَ الضيفُ فيه، إلّا أنّه في يومٍ من الأيّام -ورغم أنّه ضيفُه- أراد أن يستضيفَه في طابقٍ آخر وفي جوٍّ آخَر، ألا تكونُ هذه أيضاً ضيافةً رغم أنّه كان سابقاً في ضيافته. إنّها الضيافة المميّزة، وكذلك هي ضيافة الرّحمن لنا في شهرِه العظيم.

إنّنا دائماً في ضيافة ربّنا عزّ وجلّ إلّا أنّنا في هذا الشهر في وضعٍ مميّز.

فكيف نتعامل مع هذه الضيافة؟

من آداب الضيافة مجدّداً

بيّنتُ في الحديث السابق أنّ من واجبنا أن ندركَ تقصيرَنا، ونبذل قُصارى جهدِنا، وأذكر هنا ما يرتبطُ بحقيقة التعامل مع هذا الشهر المبارك، وهذه الضيافة الإلهيّة.

تقدّم حديثُ السيّد ابن طاوس عليه الرحمة عن طريقتِه في استقبال شهر رمضان المبارك، وإليك هنا بعضُ الدروس منه.

١- وداعُ سنة واستقبالُ أخرى

«أودِّعُ السّنةَ الماضيةَ وأستقبلُ السّنةَ الآتيةَ بصلاة الشُّكر، كيفَ سلَّمَني من أخطار ذلك العام الماضي "..." ولم يَمنَعني من الظَّفَر بالسّعادة والعبادة فيه، بمَرَضٍ ولا عَرَضٍ باطنٍ ولا ظَاهر».

٢- شريط السّنة الماضية

والمقصودُ بذلك أن يستعرضَ كلٌّ منّا مُجرَيات هذه السنة الماضية، فيسأل نفسَه جادّاً ومتأمّلاً: حقّاً، ماذا جرى عليَّ في السنة الماضية؟

تعرّضتُ لأخطار ونجوتُ منها، والصّعوبات التي واجهتُها؟ والمحرّمات التي ارتكبتُها؟ والطاعات التي وُفِّقتُ لها، وماذا في مجال العلاقات، المستجدّ منها والقديم، وفي باب التعامل مع الآخرين؟

وبالمناسبة فإنّ السيد ابن طاوس عليه الرحمة كان يحتفلُ بمرور سنة، ولكنْ لا على طريقتنا المتعارفة، «عيد الميلاد»، فهو لا يهتمّ بالسّنة التي أُضيفت إلى عمره بدءاً من الولادة، وإنّما يهتمّ بكلّ سنة مرّت وتمرّ بدءاً من سنّ التّكليف، ويقول: **«إنّ سِنَّ التّكليف هو سنُّ التّشريف بالخطاب الإلهيّ»**. إنّ الإنسان عندما يبلغ ويُصبح مكلّفاً، يصبح مخاطَباً من قِبَل الله عزّ وجلّ بالتكاليف الشرعيّة، ويريدُ الله تعالى منه أن يلتزمَ

بها، وهذا شرفٌ لهذا الإنسان، ينبغي أن يتعاملَ معه بمنتهى الجديّة والاحترام، ومن ذلك أن يحتفلَ بمرور عام أو أكثر على تشريفِه بالخطاب بالتكليف الإلهي.

وأوّل ما يستقبل به السّنة أن يُصلِّي صلاةَ الشّكر، إنه يريد أن يشكرَ الله تعالى لأنه أبقاه وسلّمَه ووفّقَه للتوبة من المعاصي التي وقعَ فيها، كما وفّقَه للطاعات، أو -إنْ كان لم يوفَّق لذلك- يشكرُه لأنّه أبقاه حيّاً ليكونَ باستطاعته أن يَتوب.

ولكَ أن تقدِّر الفوارقَ الضوئيّة بين سنةٍ هذا مستهلُّها والافتتاح، وبين تهافُتِ أجوائنا في «عيد الميلاد» ومُبتَذلاته والكوارث التربويّة التي ترافقُه وتَسري، على متنِ ضَحالة الانبهار، إلى أوساطٍ هي في الأصل في موقع النقيضِ لها.

٣- علامةُ حبِّ الله تعالى

يقول السيّد عليه الرحمة: «**ثمّ إنّني أُحْضِرُ هذا الكتابَ، عملَ شهر الصّيام -يقصد كتابه (الإقبال)، وباستطاعة أيٍّ منّا أن يستبدلَه بكتاب أعمال شهر رمضان المبارك، أو كتاب دعاء عامّ من قبيل (مفاتيح الجنان)- وأُقَبِّلُه وأجعلُه على رأسي وعَيني وأضمُّه إلى صدري، وأراهُ قد وصلَ إليَّ من مالكِ أمري**».

وتسأل: ولماذا لا يصنع ذلك بكتاب الله تعالى، أَوَليسَ أَولى من كتاب دعاء؟

والجواب: لغةُ الحبِّ لا تُحاكيها اللّغات، أرأيتَ لو أنّك قلتَ لأُمٍّ تَشُمُّ قطعةَ قماشٍ من قميصِ ابنها الشّهيد، وتقبّلُها وتَضَعُها على عينَيها وتضمُّها إلى صدرِها: لماذا لا تُقبّلينَ القرآنَ الكريم؟ كم تكون حاجتُك إلى أن تذوبَ خَجَلاً لفَرطِ ما خانَك من إرهاف الحسّ؟

يضيف السيّد ما حاصلُه:

«**.. ثمّ إنّني أبدأُ بالفعل، فأسألُ اللهَ جلّ جلالُه العفوَ عمّا جرى من ظُلمي، وكلِّ ما تَساهلتُ به في مجال تطهيرِ القلبِ وإصلاحِه، وأطلبُ من الله عزّ وجلّ العفوَ عن كلِّ جارحةٍ أهملتُ شيئاً من مهمّاتها وعباداتها، وأطلبُ من الله عزّ وجلّ المغفرة، وأجتهدُ في التّوبةِ النّصوح من جناياتها، كما أبادرُ إلى الصّدَقة عن كلّ يومٍ وليلةٍ برغيف، لأجلِ ما رويناه من فضل الصّدَقة وفائدتها..**»[1].

وتُلخِّص هذه الفقرة كلَّ ما ينبغي أن يبدأ به المراقبُ لنفسه، بل وما يجدرُ به أن يكونَ عليه، فهي توضح لنا أنّ علينا أن نعترف بظُلمنا، بذنوبنا، ونفكّر طويلاً بكلّ ما تساهَلنا به في مجال تطهير القلب وإصلاحه، فنستعرض ذنوبَ القلب، ثمّ ذنوب الجوارح، ذَنْباً ذَنْباً، ثمّ نجتهد في التوبة النصوح إلى الله عزّ وجلّ، ونعزّز قبول هذه

١- الإقبال: ١/ ٧٠ – ٧١، بتصرّف.

التوبة بالصَّدَقة التي تدفعُ البلاء، وتُطفئ غضبَ الرّب، فنتَصدّق عن كلّ يوم وليلة برَغيف.

وظاهر النصّ الحثُّ على الصَّدَقة في أوّل شهر رمضان المبارك عن السنة القادمة كلّها، عن كلّ يومٍ وليلةٍ برغيف، ومَن لا يستطيع أن يدفعَ ذلك في وقتٍ واحد فباستطاعتِه أن يجزّأه، كما أنّ مَن استطاع أن تكون صدقتُه أكبر، كَأَنْ يدفع عن كلّ يوم وليلة وجبةَ طعامٍ فَلْيَغتنم.

أيّها الحبيب: يجبُ أن ننتبَه جيّداً فنتأدّب بأدب الإسلام الذي علّمنا إيّاه المصطفى ﷺ وأهلُ البيت جميعاً عليهم السلام، ومنهم الإمام السجّاد عليه السلام في دعاء السَّحَر، أن يقول أحدُنا بوضوح وصراحة من دون أدنى إبهام: «**أَنَا صَاحِبُ الدَّوَاهِي الْعُظْمَى، أَنَا الَّذِي عَلَى سَيِّدِه اجْتَرَى، أَنَا الَّذِي عَصَيْتُ جَبَّارَ السَّمَا، أَنَا الَّذي أَمَرْتَنِي فَعَصَيْتُ، وَنَهَيْتَنِي فَمَا ارْعَوَيْتُ..**»، مطلوبٌ أن نجسّدَ الاعترافَ الحقيقي بالمعصية والجرأة والتمرّد، وبمقدار عُمق هذا الاعتراف، يكون الأمل بالاستجابة والقبول أكبر.

حُسن الاعتذار هو المَدخل إلى حُسن الإجابة، فَلْيَكُن لسانُ الحال:

«**إِلهِي، أنت أَوْسَعُ فَضْلاً وَأَعْظَمُ حِلْماً مِنْ أَنْ تُقايِسَنِي بعملي "..." سَيِّدِي، تَصَدَّقْ عَلَيَّ بِعَفْوِكَ، وَاعْفُ عَنْ تَوْبِيخِي بِكَرَمِ وَجْهِكَ..**»

دعاءُ اليوم الثالث

يرتبطُ بهذه المضامين دعاءُ اليوم الثالث من شهر رمضان المبارك الذي جاء فيه:

«**اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي فِيهِ الذِّهْنَ وَالتَّنْبِيهَ، وَباعِدْنِي فِيهِ مِنَ السَّفاهَةِ وَالتَّمْوِيهِ، وَاجْعَلْ لِي نَصِيباً مِنْ كُلِّ خَيْرٍ تُنْزِلُ فِيهِ، بِجُودِكَ يا أَجْوَدَ الأَجْوَدِينَ**».

فرقٌ بين أن أعترفَ بالحقيقة، وبين أن أظلَّ سفيهاً مموّهاً أحاولُ أن أغطّي حقيقةَ أمري ببُرقُعِ دِين، بعمامتي أو بهذا المَظهر الديني أو ذاك.

تمسُّ الحاجة إلى التضرّع إلى الله تعالى ليرزقَنا الذِّهنَ والتّنبيهَ فنخرج من غَياهب الغفلة إلى نور اليَقظة والوَعي: **أَللَّهُمَّ ارْزُقْنِي فِيهِ الذِّهْنَ وَالتَّنْبِيهَ، وَباعِدْنِي فِيهِ مِنَ السَّفاهَةِ وَالتَّمْوِيهِ.**

وهما متلازمان، فمَن أُعطي الذِّهنَ والتنبيهَ فقد ابتعدَ عن السّفاهةِ والتمّويه.

أليسَ سَفَهاً أن يُغِذَّ الإنسانُ السَّيرَ باختياره باتّجاه الهاوية؟

أليسَ سَفَهاً أن تكونَ قيمةُ المال عند الإنسان أغلى من قيمة الثواب؟

أليسَ سَفَهاً أن يكونَ حِرْصُ الإنسان على رِضا الناس أكثرَ من حرصِه على رضا الله عزّ وجلّ؟

صلاة اللّيلة الرابعة

١- **حصّةُ هذه اللّيلة من الألف ركعة**: وهي عشرون ركعة، ثمانية منها بين المغرب والعشاء، والباقي بعد العشاء، ومَن أراد الأدعية المطوّلة بعد كلّ ركعتَين فَلْيَرجع إلى (الإقبال)، وأمّا مَن أراد الاقتصار على الدعاء المختصَر فيَجِدْهُ في عمل اليوم الأوّل من هذا الكتاب.

٢- عن رسول الله ﷺ: «**ومَن صَلّى في اللّيلة الرّابعة ثَماني رَكَعات، يقرأُ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة، و(إنّا أنزلناهُ في ليلة القَدر) عشرينَ مرّة، رفعَ اللهُ تباركَ وتَعالى عملَه تلكَ اللّيلة كَعَمَلِ سبعةِ أنبياء ممّن بَلَّغَ رسالاتِ ربّه**».[1]

٣- قال الكفعمي: «**ويُستَحبُّ أن يصلّي في كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ (الحمد) مرّة، و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال**: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو، سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. **ثمّ يقولُ التّسبيحاتِ الأربعة سبعاً، ثمَّ يقول**: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. **ثمَّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ**».[2]

***

من المناسب هنا الإشارة إلى ضرورة الرّجوع إلى برنامج عمل اللّيلة الأولى الذي تقدّم بيانُه، لأنّ أكثرَه مشترَك بين جميع اللّيالي.

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٨؛ والكفعمي، البلد الأمين: ص ١٧٥.
٢- الكفعمي، المصباح: ص ٥٦٣، الهامش.

٤

شهر رمضان

* لِنَخْتَبِرْ ما نحن عليه
* مراتبُ الصّوم: صومُ العَوامّ، والخواصّ، وخواصّ الخواصّ
*ماذا نأكل ونَشرب
* مَأْكَلُهم حرام
* مَأْكَلُهم من الشُّبُهات
* مَأْكَلُهم حلال
* دعاءُ اليوم الرّابع
* صلاةُ اللّيلة الخامسة

لِنَخْتَبِرْ مَا نحنُ عليه

في ضيافة الله عزّ وجلّ ينبغي أن نحرصَ على الوصول إلى أفضل المستويات التي يُمكن الوصول إليها في شهر الله سبحانه وتعالى.

لنتصوّر أنفسَنا وكأنّنا أصبحنا في آخر يومٍ من شهر رمضان المبارك، وهذه ليلةُ العيد على الأبواب ومُنادي ربّنا عزّ وجلّ ينادي: «**هَلُمّوا إلى جَوائزِكُم**»، وَلْنُفَكِّر من الآن ما هي الجوائز التي نَستَحِقُّها آنذاك؟

لِيُفَكِّرْ كلٌّ منّا فيقول: أنا، وبطريقة تَعاطِيَّ مع شهر الله عزّ وجلّ، أيّة جائزة أستَحقّ؟ هل آتي في الرَّعيل الأوّل؟ هل آتي في المُبادرين؟ أم في الدرجة الثّالثة أوالرّابعة؟

صلاتي في شهر رمضان، أعرفُها كيف هي، وأعرفُ حرصي على طاعة ربّي عزّ وجلّ بأيّ درجة، سواءً كانت هذه الدرجة ضعيفة أو متوسّطة أو قويّة.

أعرف أيضاً حِرصي على قراءة القرآن أو عدم حرصي على ذلك.

وهكذا بحيث تستوعبُ الأسئلة التي يطرحُها كلٌّ منّا على نفسه جميع المفردات التي وردتْ في خطبة المصطفى ﷺ وسلّم حولَ شهر رمضان المبارك، ونحن مَدعوّون للاهتمام بها والاستزادة منها، لنعرفَ من خلال هذه الأسئلة طريقةَ تعاملنا معها.

والنتيجة العمليّة هي أن يستطيعَ كلٌّ منّا أن يقدِّر الدرجة التي يستحقّها في مقابل ما هو عليه، أي أنّه إذا استمرّ على الحال التي هو فيها إلى آخر الشهر الكريم فما هي حصيلتُه منه، وما هي الجائزة التي سيُعطاها صبيحةَ يوم الجوائز، يوم العيد المبارك.

ولا شكّ أنّنا عندما نتصوّر أنفسنا من الآن، في أواخر شهر رمضان المبارك سنشعرُ بدافعٍ أكبر للتعاطي الأفضل مع هذا الشهر.

مراتبُ الصوم

أرادَ لنا اللهُ عزّ وجلّ في ضيافته أن نسمو، ونبتعد عن الحيوانيّة ونحلِّق في الأعالي، والصوم هو الطريق إلى هذا التحليق.

فكيف نتعامل مع الصوم؟ هل نؤدّيه بعضَ حقّه، أم أنّنا نعمد إليه فنُفرغه من محتواه؟

وتختلفُ حالاتُ الصائمين من جهة تَعاطيهم مع الطعام والشراب ما بين الإفطار والإمساك، ومن جهة ما يصومون عنه، ومن جهة القَصد من الصيام وحقيقة النيّة فيه، وينبغي أن نتأمّل في هذه الحالات جميعاً ليتّضح كيف ينبغي أن يكون صومنا، وكيف ينبغي أن نتصرّف لنحفظَ الأساس في الضيافة الإلهيّة ونحافظ على آثاره ونتائجه.

صومُ العوامّ، وصوم الخواصّ، وخواصِّ الخواصّ

قال آية الله التبريزي:

«مراتبُ الصوم ثلاثة، **صومُ العوام** وهو بتَرك الطعام والشراب "..." على ما قرَّرَه الفقهاء من واجباته ومحرّماته، **وصومُ الخَواص** وهو تَرْكُ ذلك -أي ترْك المُفطرات حسبما قرَّره الفقهاء- مع كفِّ الجوارح عن مخالفات الله جلّ جلالُه، **وصومُ خواصِّ الخواص** وهو ترْكُ كلِّ ما هو شاغلٌ عن الله تعالى من حلالٍ أو حرام، ولكلِّ واحدٍ من المرتبتَين الأخيرتَين أصنافٌ كثيرة، لا سيّما الأولى -أي صوم الخواصّ فإنهّا الأولى من الأخيرتَين- فإنّ أصنافَها كثيرةٌ لا تُحصى بعدَد مراتب أصحابِ اليمين من المؤمنين، بل كُلُّ نَفسٍ منهم له حدٌّ خاصٌّ لا يُشبه حدَّ صاحبه، ومن أهل المراتب أيضاً مَن يقرُب عملُه من عملِ مَن هو فوقَه، وإنْ لم يَكن من مرتبتِه».[1]

والمراد بكلمة العوامّ في مصطلح «صوم العوامّ»، الذين هم أهلُ المعاصي، وليس المراد المتعارف بيننا من أنّنا نحن معاشر المشايخ أو معاشر المثقّفين النُّخبة والباقي عوامّ، إنّ هذه الطبقيّة البغيضة مرفوضة في الإسلام، فالنّخبة بحقّ، والخواصّ هم أهلُ الطاعات، أهل الاستقامة على الحقّ وطاعةِ الله تعالى، والعوامّ هم أصحابُ المعاصي.

وبناءً على ذلك، فإذا كان شخصٌ من الناس بحسب الظاهر من علماء الدين، ولكنّه يرتكبُ المعاصي فهو من العوامّ، وصومُه صومُ العوامّ، لأنّ هذا الصوم يجتمع مع المعاصي التي يجتنبُها الخواصُّ الذين يهتمّون بدرجةٍ من الصوم غير اعتياديّة، هي -بالإضافة إلى اجتناب المُفطرات- كَفُّ الجَوارح عن مخالفة الله تعالى.

إمّا أن أعتقد بأنّي في ضيافة الرّحمن، وأنسجم مع هذا الاعتقاد، ويكون أدبي بمستواه، وإمّا أن أكون صريحاً مع نفسي، فأقول إنّي لا أعتقد بضيافة الرّحمن، والعياذُ بالله، وهذا يعني وجودَ خَلَلٍ عقائديّ بُنيَويّ يجب التصدّي لعلاجه، وقد يتمّ ذلك بسرعة من خلال التفكير بخطبة رسول الله ﷺ، وهو الطبيبُ الدوّار بطبِّه كما يَصِفُه أمير المؤمنين عليه السلام.

إنّنا في شهر الله سبحانه أمام واجبِ رفع مستوى اهتمامنا بالحُكم الشرعي، ورفع وتيرة اهتمامنا بمراقبة النّفْس، بالالتفات إلى أنّنا في محضَر الله عزّ وجلّ، وصحيحٌ أنّنا دائماً في محضَر الله سبحانه وتعالى، إلّا أنّنا في هذه الضيافة في محضَرٍ خاصٍّ ومميّز، فَلْنَخرج من صوم العوامّ إلى صوم الخواصّ الذي هو تَرْكُ المُفطرات مع حفظِ الجوارح من مخالفاتِ الله جلَّ جلالُه، وهو يستدعي مزيدَ مراقبةٍ لهذه الجوارح، وخصوصاً اللّسان والعَين والأُذُن، بالتفصيل الذي تقدّم في أواخر عمل شهر شعبان، فَرَاجِع.

١- آية الله ملكي تبريزي، المراقبات: ص ٩٥ (م.م)، بتصرّف يسير.

وأمّا القسم الثالث: وهو صومُ خواصِّ الخواصّ، فهو كما عرفتَ تَرْكُ كلِّ ما هو شاغلٌ عن الله من حلالٍ أو حرام، أي أنّه بالإضافة إلى تَرْكِ المُفطرات وحفظِ الجوارح يستدعي حضورَ القلب دائماً، واليَقَظة الدائمة، فالمحضَرُ محضَرُ الله عزّ وجلّ، ولا يَصِحُّ للقلب أن يشغلَه عن الله تعالى شاغل، سواءً كان هذا الشاغل حلالاً أم حراماً، بل يبقى مع الله عزّ وجلّ، منقطعاً إليه، مُقيماً على طاعته، عامراً بحبِّه والحنين إلى رضاه.

صحيحٌ أنّ هذه المرتبة عالية جدّاً لسنا من أهلها، إلّا أنّ من الصحيح أيضاً أنّ معرفة هذه المرتبة يجعلنا ندرك الذُّرى التي ينبغي أن نحرصَ على الوصول إليها، وبدلاً من أن يضعَ المؤمن سقفاً معيَّناً للصوم، ويتصوّر أنّ مجرّد امتناعِه عن الطعام يجعلُه في عداد الصائمين الذين يغدون في يوم العيد إلى جوائزهم السَنيّة والعظيمة، -بدلاً من ذلك- يُدرِكُ المؤمنُ عندما يسمعُ الحديثَ عن صوم خواصّ الخواصّ أنّ عليه أن يشمِّرَ عن ساعد الجِدّ، فالطريقُ طويلٌ والسقفُ مرتفعٌ جدّاً، وهو بعدُ سَهْلٌ ممتَنع، أوليسَ من أوضح الواضحات أنّ على الصائم الضيف أن يتنبّه إلى هذه الضيافة على الدّوام؟

ثمّ أليسَ من أوضح الواضحات أنّ مَن هم كذلك في غاية النُّدْرَة؟

ولا حلَّ إلّا باليَقَظة والتضرُّع لمَن يُجيب دعوةَ الدّاعِ إذا دَعاه، والتوسُّل إليه بمَن أمرَ بالوقوف ببابِه إنْ أردْنا بابَه، المصطفى الحبيبَ وآلَه الأطهار، صلواتُ الله تعالى عليهم أجمعين.

وإذا كنتُ لا أستطيعُ تَرْكَ كلِّ شاغلٍ عن الله من حلالٍ أو حرام، أي لا أستطيعُ أن أصومَ صومَ خواصّ الخواصّ، فما الذي يمنعُني عن صوم الخواصّ، أي حفظ الجوارح من مخالفاتِ الله عزّ وجلّ؟

ما معنى أن يثبتَ في صحيفة أعمال الصائم أنّه صائمٌ مغتاب؟ أو صائمٌ يُؤذي المؤمنين، أو صائمٌ سيءُ الخُلُق؟

لماذا لا نقرّر أن يكون شهر الصوم شهراً مميّزاً في محاسبة النّفْس، في الحرص على حُسن الخُلُق، في التفكير بكلّ كلمة قبل أن نقولَها وبكلّ عمل قبلَ أن نُقدِمَ عليه؟

لماذا لا نحرص أن نكون سبباً لنشر المحبّة في الأجواء التي نكون فيها في شهر رمضان المبارك؟

لماذا لا يقرّر كلٌّ منّا أن لا يُؤذي أحداً طيلةَ هذا الشهر على الأقلّ، لعلّه بذلك يُوفَّق لأن لا يؤذي أحداً بعد انقضائه؟

إنّ لشهر الله عزّ وجلّ حُرمتَه الخاصّة، فكيف أسمحُ لنفسي وأنا أدَّعي الصيام أن أتصرّف كما لو أنّي لم أسمَع بضيافة الله عزّ وجلّ؟

أيّها العزيز، لا بدّ من وقفةٍ مع النَّفْس في هذا المجال.

ماذا نأكل ونشرب

أما أنواع الصّائمين من جهة الطعام والشراب، أي كيف يتعاملون مع الطعام والشراب ما بين الإفطار والإمساك، فيُوضح آيةُ الله التبريزي عليه الرحمة أنّهم على أقسام:

* القسم الأول: الذين يعلمون بأنّ مأكلَهم حرام

قال عن هذا القسم: «منهم من يكون مأكلُه ومَشربُه من الحرام المعلوم، فالأجرُ لمالك الطعام وله وِزْرُ ظُلْمه وغَصْبه، أو مَثله مَثَلُ مَن ركب دابّة مغصوبة إلى بيت الله الحرام، وطاف بالبيت على هذه الدابّة المغصوبة».[1]

* القسم الثاني: الذين يكونُ مَأْكلُهم من الشُّبُهات

وقد قال الشيخ التبريزي فيهم:

«ومنهم مَن يكون مأكلُه من الشُّبهات، وهو على قسمَين: قسمٍ يكون أخْذُ هذا المُشتبَه الواقعي محلَّلاً له في الظاهر، وقسمٍ لا يكون أخْذُه محلَّلاً، ولو في الظاهر، والأوّل يلحق في حُكمه بمَن يكون مَأْكَلُه ومَشربُه من الحلال، وإنْ كان دونَه بدرجة، والثاني بمَن يأكلُ الحرام المعلوم، وإنْ كان فوقَه بدَرَجة».

ومحلّ الحاجة هنا من ذلك هو أنّ الإنسان قد لا يدقِّق في الحكم الشرعي لمَورده المالي، فيكون فيه ما لا يجزم بحليَّتِه، فهو إذاً مالُ شُبهة، يجبُ اجتنابُه، لأنّ المؤمنَ لا يُقدِم إلّا على ما يعلم أنّه حلال، خصوصاً في شهر الصيام.

والنتيجة أنّ المطلوب التدقيق جيّداً فلا تكون هناك شُبهة في مصدر المأكَل والمَشرب، بل وكلّ ما نتقلّب فيه كما تقدّم.

والواقع أنّ دائرة الابتلاء بهذا النوع، أي المال الشُّبهة، واسعة جدّاً، وأكثر ممّا نتصوّر بكثير، ولا بدّ للصائم من بَذْلِ الجُهد بمسؤوليّة أمام الله تعالى، حتى لا يُطعِمَ أهلَه وأولادَه ويأكل هو ممّا يكون وِزْراً عليه، يحاسب به يومَ القيامة.

وربّما أمكنَ تفادي ذلك باليسير من التأمّل، كما أنّه قد يستدعي المزيدَ من العناية والسؤال، وقد تقدّم في حديث اليوم الأوّل ما ينفع فيه.

* القسم الثالث: الذين يكون مَأْكَلُهم حلالاً

وهم على أقسام، تحدّث عنهم آية الله التبريزي بقوله، فقال حول القسم الأوّل:

«ومنهم مَن يكون مَأْكَلُه حلالاً معلوماً ولكنّه مُتْرَفٌ في كيفيّة طعامه بكثْرة الأنواع، ومترَفٌ في مقداره إلى حدِّ الامتلاء، ومَثَلُه مَثَلُ خَسيسِ الطّبعِ الذي يشتغلُ

١- آية الله ملكي تبريزي، المراقبات: ص ٩٨.

في حضرة حَبيبِه بالالتذاذ بما يكرهُه، وحبيبُه متوقّعٌ أن لا يلتذَّ بشيءٍ غيرَ قُربِه، فلذلك كان عبداً خسيساً لا يَليقُ به إلّا أن يُترَكَ وما يلتذُّ به، وهو بأنْ يُعدَّ عبدَ بطنِه أَولى من أن يُعدَّ عبدَ ربِّه».

ولا بدّ أوّلاً من توضيح أنّ للإنسان أن يأكلَ مقدار حاجة جسمِه من الطعام، وقد تكون أكثرَ من حاجة غيره، إلّا أنّ من الضروريّ التفريقَ بين حاجة الجسم الحقيقية وحاجته الوهميّة الناشئة من الاسترسال وعدم وَضْع حدٍّ للجَشَع.

ليس المطلوب أن يأكلَ الصائم ما يُضعِفُه ويمنعُه عن مواصلة الصيام، بل المطلوب أن لا يأكلَ ما لا داعيَ له إلّا العادة، وحبّ الاستزادة.

وإذا لم يدقّق في ذلك واسترسلَ مع شهوة الطعام، فهو عبدُ بَطْنِه!

* القسم الثاني من أقسام مَن يكون مَأْكَلُهم حلالاً

قال المَلَكي التبريزي عليه الرّحمة: «ومنهم مَن يكون حدُّه في الكيفيّة والمقدار فوقَ التّرَف، فَيَصل إلى حدّ الإسراف والتّبذير، وهو ملحَقٌ بمَن يأكلُ الحرام، والأجدر به أن يُعَدّ عاصياً لا مُطيعاً».

فَبالإضافة إلى التنوّع الكثير في الطعام وَكَثْرَةِ كمّيَّته، تصلُ كَثرةُ الكميّة إلى حدّ الإسراف والتبذير، وهذا في حدّ ذاته معصية.

* القسم الثالث: مَأْكَلُه من الحلال بلا تَرَفٍ ولا إسراف

قال التبريزي: «ومنهم من يكون مَأْكَلُه ومُتَقَلَّبُه كلُّه من الحلال بلا تَرَفٍ ولا إسراف، بل يتواضعُ لله تعالى في مقدار طعامِه وشرابه، فتنزل كمّيّتُهما عن الحدّ المحلَّل وغير المكروه، ويترك التلذُّذَ بالطعام والشراب، ويقتصر في الأدام على لونٍ واحد، أو يترك بعض اللّذائذ، وبعضَ الزيادة.

وهؤلاء -أي القسم الثالث- على درجات، ودر

جاتُهم عند ربّهم المراقب لحفظِ مجاهداتِهم ومراقباتهم محفوظةٌ مجزيَّةٌ مشكورة "..." ويزيدهم من فضلِه بغير حساب، ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ..**﴾، بَلْ ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَر».[1]

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ تهذيب النّفْس في كلّ مجالاته، ومنها الصوم، على مراتب ينبغي التدرّجُ فيها، وعدم تكلُّف ما لم تبلغ الهمّة التعامل معه، ولو بَحَمل النفس على ما تكرَه، ويعني ذلك في باب الطعام أن يتدرّجَ الصائم بلا تهاونٍ في الرُّقيّ من مرتبةٍ إلى أُخرى تدرُّجَ التلميذ من صفٍّ إلى صفّ، ويختلف التدرّج من شخصٍ إلى آخر،

١- آية الله ملكي تبريزي، المراقبات: ص ٩٩، بتصرّف.

فَلِكُلٍّ جسمُه وحاجتُه.

والسؤال الذي يجبُ أن يوجّهَه كلٌّ منّا إلى نفسه: تُرى، من أيّ الأقسام أنا؟ هذا هو السؤال البداية والرفيق والنهاية.

دعاءُ اليوم الرّابع

«اللَّهُمَّ قَوِّنِي فِيهِ عَلَى إِقامَةِ أَمْرِكَ، وَأَذِقْنِي فِيهِ حَلاوَةَ ذِكْرِكَ، وَأَوْزِعْنِي فِيهِ لأداءِ شُكْرِكَ بِكَرَمِكَ، وَاحْفَظْنِي فِيهِ بِحِفْظِكَ وَسَتْرِكَ، يا أَبْصَرَ النَّاظِرِينَ».

يريدُ هذا الدّعاءُ المباركُ أن يُطلّ بنا على الحقائق التالية:

إلهي، قَوِّني في هذا اليوم لإقامةِ أمرِك، بامتثالِ أوامرِك ونَواهيك، وَأَخْرِجني من غَياهبِ الغَفلة إلى أُنس الذِّكرِ وحلاوتِه، واجعَلني أتذوَّقُ حلاوةَ حضورِك عند ذكرِك، واهدِني لشُكرِك على تَوفيقي لطاعتِك، وشُكرِك للسّماح لي بتَذوُّق حلاوةِ ذِكرك. إلهي ليسَ ذلك بعمَلي بل بكَرمِك، فما رأيتُ إلّا جميلاً، واحفَظني في يومي هذا بحفظِك، أَدْخِلْنِي في درعِك الحصينةِ التي تجعلُ فيها مَن تريدُ من عبادِك.

صلاة اللّيلة الخامسة

١- وهي كَصَلوات اللّيالي المتقدّمة، عبارة عن عشرين ركعة، كلّ ركعتَين بتسليمة، يقرأُ في كلٍّ منهما (الحمد) مرّة، و(قل هو الله أحد) إمّا مرّة، أو ثلاثاً، أو خَمساً، أو سَبعاً، أو عَشراً، وتُصلّى هذه العشرون على الشكل التالي: ثماني رَكَعات بعد صلاة المغرب، واثنَتا عشرَة رَكعة بعد صلاة العشاء.

٢- عن رسول الله ﷺ: «**ومَن صَلّى في اللّيلةِ الخامسةِ ركعتَين، بمائة مرّة (قل هو الله أحد) في كلّ ركعة، فإذا فرغَ صلّى على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ مائة مرّة، زاحَمَني يومَ القيامة على باب الجنّة**».[1]

ولعلّ المراد بمُزاحمة المصطفى ﷺ أنّ مَن يصلّي هذه الصّلاة يكون من السّابقين معَه إلى الجنّة.

٣- قال الكفعمي: «**ويُستَحبُّ أن يصلّي في كلّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ (الحمد) مرّة، و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو، سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقولُ التّسبيحاتِ الأربعة سبعاً، ثمّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ**».[2]

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٨؛ والكفعمي، البلد الأمين: ص ١٧٥.

٢- الكفعمي، المصباح: ص ٥٦٣، الهامش.

٥

شهر رمضان

* الأحكام الشرعيّة تفيضُ حبّاً لنا
* قضاءُ حوائجنا، مَظهرُ حبِّه لنا
* دعاءُ اليوم الخامس
* صلاةُ اللّيلة السّادسة

الأحكامُ الشرعيّة تفيضُ حبّاً لنا

هل نشعرُ بحبِّ الله عزّ وجلّ لنا، كما نشعرُ بحبّ الأمّهات؟ مع أنّ حبّ الأمّ ليس إلّا غَيْضاً من فيض حبّ الله تعالى.

والأحكام الشرعيّة تَطفحُ بالحبّ لنا.

هل نُدرك ما في حُرمة الغِيبة من مخزونِ حبِّ الله تعالى لنا؟

وكَم هو مخزون حبِّه عزّ وجلّ الذي تجسِّدُه حُرمةُ الأذى؟

لقد حرّم اللهُ تعالى أذى المؤمن بشكلٍ خاصّ، وأَذَى الإنسان، أليسَ في هذا مخزونَ حبٍّ عارم؟

وكَم هو مخزونُ حبِّه في سائر أحكامِ حِفظ الكرامة والحقوق، التي تطبعُ الفقهَ الإسلامي بطابعِها، فإذا هو فقهُ كرامة الإنسان.

قضاءُ حوائجِنا، مَظهَرُ حبِّه لنا

كم اهتمَّ اللهُ تعالى بقضاءِ حوائجِنا؟ وكم أكَّدَ على قضاء الحوائج، «**مَنْ فَرَّجَ كُرْبَةَ مَلْهُوفٍ، فَرَّجَ اللهُ تَعالى كُرْبَتَه**»، كم في ذلك من دفءِ الحنان؟

ولقد جعلَ سبحانه الجهاد في سبيلنا ومن أجلنا، لتحريرنا من الطواغيت ووَضْع إصْرِهم عنّا والأغلال، جهاداً في سبيله ومن أجله، وأعطى المجاهدين ثواباً لا يقدَّر، ومَن استُشهد في هذا الطريق، طريقِ الدفاع عن عباد الله فهو من أمراء الجنّة!

إنّه عزّ وجلّ يحبّنا حبّاً لا نظيرَ له على الإطلاق.

صحيحٌ أنّ من واجبنا أن نحبّ الله تعالى، إلّا أنّ من واجبنا أيضاً أن نعرف حبّه عزّ وجلّ لنا، بل لا يُمكننا أن نحبّه تقدّست أسماؤه إلّا إذا انطلقنا من حبّه لنا، من عطفِه علينا، من رحمتِه بنا، «**إِنَّكَ تَدْعُونِي فَأُوَلِّي عَنْكَ، وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلَا أَقْبَلُ مِنْكَ**».

«**أَلْحَمْدُ للهِ الذي يَحْلُمُ عَنّي كَأَنّي لا ذَنْبَ لِي، فَرَبِّي أَحْمَدُ شَيْءٍ عِنْدِي وَأَحَقُّ بِحَمْدِي**»!!

تُرى، ألا نستطيعُ من خلال ذلك أن نكتشفَ بيُسرٍ وبكلّ وضوح أنّ الله عزّ وجلّ لا يريد لأحدٍ منّا أن يدخلَ النار، ومهما كانت معاصينا فإنّه عزّ وجلّ يتقبّلنا إذا رجعنا إليه بصِدق، وكانت توبتُنا توبةً صادقةً نصوحاً؟

دعاءُ اليوم الخامس

«**أَللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِيهِ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ، واجْعَلْنِي فِيهِ مِنْ عِبادِكَ الصَّالِحِينَ القَانِتِينَ، وَاجْعَلْنِي فِيهِ مِنْ أَوْلِيائِكَ المُقَرَّبِينَ، بِرَأْفَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ**».

أنا العاصي الغارقُ في المآثمِ يسمحُ لي ربّي بحبِّه لي، برَأْفته بي أن أدعوه وكأنّي لا ذنبَ لي، ويسمحُ لي -بل يحبُّ لي- أن أطلبَ منه الدرجاتِ العُلى، إنّه يقول لي: «أُطلبْ أن أجعلَك من الصالحين، من القانتين، أُطلب أن أجعلَك من أوليائي المقرّبين». إلهي أُدرِكُ خطورةَ ذنبي فأحاولُ أن أستغفرَ وأتوب، وأطلب منك الصَّفح والمغفرة، فيُزيِّن لَيَ الشيطان حبَّ المعاصي، فإذا باستغفاري شكلٌ بلا محتوى، وقِشرٌ بلا لُبّ.

سيّدي، اجعلني في هذا اليوم من المُستَغفرين.

صلاة اللّيلة السّادسة

١- عشرون رَكعة، في كلّ ركعة (الحمد) مرّة، و(قل هو الله أحد) مرّة، أو ثلاث، أو خَمس، أو سبع، أو عَشر، ثماني رَكعات منها بعد صلاة المغرب، واثنتا عشرة ركعة بعد صلاة العشاء.

٢- عن رسول الله ﷺ: «وَمَن صَلّى في اللّيلة السّادسة من شهر رمضان أربعَ رَكعات، يقرأُ في كلّ ركعة (الحمد) و(تبارك الذي بِيَدِه المُلك)، فكأنّما صادفَ ليلةَ القدر».[1]

٣- قال الكفعمي: «ويُستَحبُّ أن يصلِّي في كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ (الحمد) مرّة، و(التوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو، سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقولُ التّسبيحاتِ الأربعة سبعاً، ثمَّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمَّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللّهُ له سبعين ألف ذنبٍ».[2]

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٨؛ والكفعمي، البلد الأمين: ص ١٧٥.
٢- الكفعمي، المصباح: ص ٥٦٣، الهامش.

٦
شهر رمضان

* هل كانَ استعدُادنا مناسباً
* مَن دخلَ ضيافةً بما لا يُناسب
* بالتّوبة يتحقّق الاستعداد والتّناسب
* بَيْعةُ الإمام الرضا عليه السلام
* دعاءُ اليوم السّادس
* صلاة اللّيلة السّابعة

هل كان استعدادُنا مناسباً

أصبحنا الآن -شِئنا أم أبَينا، رَغبنا أم لم نَرغب- في ضيافة الله عزّ وجلّ.
وإذا كنّا لم نستعدّ قبل دخول شهر رمضان المبارك لاستقباله، فهل يصحّ أن نبقى في غفلة، أم أنّ من واجبنا أن ندركَ أهميّة ضيافة أرحم الرّاحمين، ونبحث عن مدى التناسب بيننا وبين هذه الضيافة؟

مَن دخل ضيافةً بما لا يُناسب

لو أنّ شخصاً مدعوّاً إلى ضيافةٍ مّا، على درجة عالية من الأهميّة، من حيث أعداد المدعوّين، ونوعيّتهم، والموضوع الذي هو محور الدعوة، وقد غفلَ هذا المدعوّ عن الاستعداد المناسب لهذه الضيافة، أو لم يستعدّ لها أصلاً، فلم يَرْتَدِ الثياب المناسبة، وعندما ذهب من دون الاستعداد اللّازم ظَلَّ سادراً في غفلتِه إلى أن دخلتْ أولى لحظات الفترة الرئيسة في موعد هذه الضيافة، وسُلِّطَت الأضواءُ الكاشفة، وبدأ البثّ الفضائي، وسُلِّطَتْ عشرات الكاميرات على المَدعوّين، و ما زالت الغفلة تسيطرُ عليه بشكلٍ أو بآخر.
وفجأة وقع نظرُه في مرآةٍ فاكتشفَ أثناء هذا الحفل النوعيّ أنّ على ثيابه بُقَعاً من الزيت، أو أنّه ملطّخٌ بالأدران والأوساخ، أو أنّ ثيابه رديئة، ووضعَه الظاهري سيّء جدّاً، لا يناسب هذا المكان على الإطلاق. فكيف يتصرّف هذا الغافل، والحفلُ قد بدأَ وهو منه في الصّميم؟
كما تُقدّر له أن يتصرّف، فهكذا ينبغي أن نتصرّف أنا وأنت وأمثالنا عندما نجد أنفسَنا في ضيافة الرّحمن عزّ وجلّ وقد غمرَتْنا الغفلةُ فلم نستعدّ لهذه الضيافة قبل حلولِها، ومرّت علينا أيّام ولياٍل من هذا الشهر المبارك ولمّا ننتبه بعدُ إلى آداب هذه الضيافة الإلهيّة.

* بالتّوبة يتحقّق الاستعداد والتّناسُب

يا قلب:

إذا كان لهذا عذرٌ من الأعذار، فما هو عذرُ مَن يكتشفُ في ضيافة الله تعالى، التي يشتركُ بها النبيّون والأوصياء وخِيَرةُ عباد الله الصالحين وسائر مَن دعاهم الله عزّ وجلّ، أنّ غفلتَه قد حملتْه إليها مشوّهَ النَّفْس والفطرة، صفرَ اليدَين من لباس التقوى، خاليَ الوفاض من مكارم الأخلاق؟!!
ثمّ ها هي صورةُ باطنِه تظهرُ في مرآة الحقيقة، على ما هو عليه! يحملُ أطناناً من الحقد،

وأظناناً من الغِيبة، وسوء الظنّ، وأظناناً من الجَشَع وحبِّ المال وحبِّ الجاه!! كيف يُمكنُه أن يرضى بهذه الحقيقة الشّوهاء، حقيقته، في هذا المحضَر العظيم ولا يذوبُ خجلاً، ويودّ لو تُسوَّى به الأرض؟!

وهل يُعقل أن يبقى في هذه الضيافة على ما هو عليه؟!

وكيف لا يبذلُ المستحيلَ لتَغيير هذا الوضع؟!

فما هو المطلوب؟

المطلوب أن يُدرِكَ الغافلُ حقيقةَ أمرِه ويتحرّك نحو الانسجام مع هذه الضيافة حتى لا يبقى نَشازاً غريباً عنها، كالضّيف الذي يرتدي ثياباً مُلفتةً عجيبةً في جوٍّ «رسميٍّ» شديدِ الخصوصيّة، ألا يبقى وجوداً نشازاً؟ فحتّى لا أبقى أنا العاصي، صاحبَ هذا المنظر الباطني المُرعب، نشازاً في هذه الضيافة الإلهيّة، ينبغي أن أتحرّك، وأبادر، أن أعملَ شيئاً.

والسؤال هنا: ماذا بِوسع الغافل أن يفعل؟ وكيف يُمكنُه أن يخرجَ ممّا هو فيه؟

والجواب: يجدِّدُ التوبةَ إلى الله عزّ وجلّ.

ولكن، أيَّ توبة؟ هل المُراد كلمات «**أستغفرُ اللّهَ وأتوبُ إليه**»، والبقاء على ما هو عليه؟ وهل هذا إلّا إصرارٌ على الذَّنْب بل عينُ الاستهزاءِ بالله عزّ وجلّ؟

إنّ المطلوبَ منّا -أيّها الحبيب- أن تكونَ التوبة حارّةً، فاعلةً، من الأعماق، أَرأَيتَ إلى الأمّ المفجوعة بَولدِها، هل تحتاجُ إلى مَن يعلّمها كيف تَندب، وتَلطم، وتتفجّع على ابنِها، أم أنّها من شدّة اضطرام نار الحُزن في أعماقها تُصبح معلِّمةً لغيرها في باب التّفجُّع والنَّدْب واللّطْم.

والتوبة التي أنا بصدَدِ الكلام عنها -ويا ليتَ أنّي أكون بصدَدها- من هذا النوع، ليست عبارةً عن كلمات «**أَسْتَغْفِرُ اللّهَ رَبِّي وَأَتُوبُ إليه**» فقط، بل أن يطولَ النَّدَم على ما فرَّطْنا في جَنْبِ الله، فنقول من أعماقِ الأعماق، بل تقولُ شغافُ القَلب:

«وَيْلِي كُلَّمَا طَالَ عُمْرِي زَادَتْ مَعَاصِيَّ، وَيْلِي كُلَّمَا كَبُرَ سِنِّي كَثُرَتْ ذُنُوبِي، فَكَمْ أَتُوبُ وَكَمْ أَعُود، أَمَا آنَ لِي أَنْ أَسْتَحِيَ مِنْ رَبِّي».

«ذاتَ مرّة سَمعتْ أُمُّ سَلَمَة رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقولُ في دُعائه: وَلَا تَكِلْنِي إلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدَاً، فَبَكَتْ أُمُّ سَلَمَة، قال صلّى الله عليه وآله: مَا يُبكِيكِ؟ قالتْ: يا رسولَ الله، أنتَ تقولُ ذلك؟ قال صلّى اللّهُ عليه وآله: وَلِمَ لا؟ وَهَذا ابنُ مَتَّى

-النّبيّ يونس- وَكَلَه اللهُ إلى نفسِه طَرْفَةَ عَيْنٍ فَكَانَ مِن أمرِهِ مَا كَانَ».[1]

أيّ معادلة هذه التي نحن عليها: رسولُ الله ﷺ مُشْفِقٌ وَجِلٌ، ونحن مُطمئنّون، ونشعر أنّنا قُمنا بما علينا، في غَفْلَةٍ عمّا يَجب!

لِنفسي ولجميع الأعزّاء أقول: نحن مدعوّون إلى التّوبة الصّادقة النّصوح في شهر رمضان المبارك، وَلْنَثِق أنّ ربَّنا نِعْمَ الرّب، يبلغُ قبولُه التّوبةَ إلى حيث يبدِّلُ السيّئاتِ حَسَناتٍ، وَلَديه المَزيد، ورضوانٌ من اللهِ أكبر.

* بيعةُ الإمام الرّضا عليه السلام

قال الشيخ المفيد: «وفي السّادس منه أنزلَ اللهُ التوراةَ على موسى بنِ عمرانَ عليه السلام. وفيه من سنة إحدى ومئتَين للهجرة كانت البيعةُ لسيّدنا أبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام. وهو يومٌ شريفٌ يتجدّد فيه سرورُ المؤمنين، ويُستَحَبُّ فيه الصَّدَقةُ والمَبَرَّةُ للمساكين، والإكثارُ لشكرِ اللهِ عزَّ اسمُه على ما أظهرَ فيه من حقِّ آلِ محمَّدٍ عليهم السلام، وإرغامِ المنافقين».[2]

وقال السيّد ابن طاوس: «ورُوِيَ أنّه يصلّي يومَ السّادس من شهر رمضان ركعتَين، كلّ ركعة بـ (الحمد) مرّة، وبـ (سورة الإخلاص) خمساً وعشرين مرّة، لأجلِ ما ظهرَ من حقوق مولانا الرضا عليه السلام فيه. وذكرَ المفيد في (التواريخ الشرعيّة) أنّ اليوم السادس من شهر رمضان كانت مبايعةُ المأمون لمولانا الرضا عليه السلام فيه».[3]

دعاءُ اليوم السّادس

«أَللَّهُمَّ لا تَخْذُلْنِي فِيْهِ لِتَعَرُّضِ مَعْصِيَتِكَ، وَلا تَضْرِبْنِي بِسِياطِ نَقْمَتِكَ، وَزَحْزِحْنِي فِيْهِ مِنْ مُوجِباتِ سَخَطِكَ، بِمَنِّكَ وَأَيادِيكَ يا مُنْتَهى رَغْبَةِ الرَّاغِبِينَ».[4]

أرأيتَ إلى المحبِّ الذي أساءَ إلى حَبيبِه، ثمّ عادتِ الأمورُ بينَهما إلى مَجاريها، كيف يحرصُ على رضا الحَبيب، ويحاذرُ أن يُسيءَ إليه فيُعَكِّرَ صفوَ الوئام؟

إلهي، ثُبْتَ عليَّ، فَشَمِلْتَني ببُرد عفوِك ورأفتِك، فَأَتْمِمْ نعمتَك عليّ، وسدِّدني فلا أَعصي.

ما أقلَّ حيائي يا إلهي إنْ عصيتُك، وأنت تَتحبَّبُ إليّ!

١- المجلسي، البحار: ١٦/ ٢١٧، و١٤/ ٣٨٤، بتصرّف.
٢- الشيخ المفيد، مسارُ الشيعة: ص ٢٢.
٣- الإقبال: ٣/ ٢٦٤ - ٢٦٥.
٤- المحدّث القمّي، مفاتيح الجنان، أدعية أيّام شهر رمضان؛ وانظر: الكفعمي، البلد الأمين: ص ٢١٩ - ٢٢٠، واللّفظ للأوّل.

وأنّى لي بالطّاعة إلّا بالتّسديد. أللّهمّ فلا تَخْذلني، ولا تَكِلْني إلى نَفسي فَأَرْتَكِس في المعاصي. يا مُنتَهى رغبةِ الرّاغبين.

صلاة اللّيلة السّابعة

تقدّمتِ الإشارة إلى أنّي أُورد لكلّ ليلة ثلاث صلوات ليَختار الرّاغبُ أيّها أراد.

١- صلاة عشرين ركعة من أصل الألف، بـ (الحمد) مرّة، و(التّوحيد) مرّة، أو ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو عشراً. يُؤتَى بثماني رَكعات منها بعد المغرب، والباقي بعد العشاء.

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ومَن صلّى في اللّيلة السّابعة من شهر رمضان أربعَ ركعات، يقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة، و(إنّا أنزلناهُ في ليلة القدر) ثلاث عشرة مرّة، بَنَى اللهُ له في جنّةِ عَدْن قصرَي ذَهَب، وكان في أمانِ الله تعالى إلى شهرِ رمضان مثلِه».[١]

٣- قال الكفعمي: «ويُستَحبُّ أن يصلّي في كلّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ (الحمد) مرّة، و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو، سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقولُ التّسبيحاتِ الأربعة سبعاً، ثمّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ».[٢]

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٩؛ والكفعمي، البلد الأمين: ص ١٧٥، وفي الثاني: «بُني له قصرٌ من ذهب».

٢- الكفعمي، المصباح: ص ٥٦٣، الهامش.

٧
شهر رمضان

* دعاء اليوم السّابع
* صلاة اللّيلة الثّامنة

دعاءُ اليوم السّابع

«اَللّٰهُمَّ أَعِنِّي فِيْهِ عَلى صِيامِهِ وَقِيامِهِ، وَجَنِّبْنِي فِيْهِ مِنْ هَفَواتِهِ وَآثامِهِ، وَارْزُقْنِي فِيْهِ ذِكْرَكَ بِدَوامِهِ، بِتَوْفِيقِكَ يا هادِيَ المُضِلِّينَ».

يُلاحَظ أنّ الرّوايات تُحدِّثنا عن شخصيّة مستقلّة لشهر رمضان المبارك، ولكن يُفهَم من بعضها -كما في خطبة المصطفى ﷺ- التأكيدُ على شخصيّة مستقلّة لكلّ يومٍ من أيّام شهر رمضان، وكلّ ليلة من ليالي شهر رمضان، بل وكلّ ساعة من ساعات شهر رمضان.

وأدعيةُ أيّام شهر رمضان المبارك تؤكّد لنا على الشخصيّة المستقلّة لكلِّ يومٍ من أيّام هذا الشهر الكريم، ومن هنا نجدُ التركيز في دعاء كلّ يوم على خصوصيّاتٍ تُطلَب من الله عزّ وجلّ فيه.

وفي دعاء يومنا هذا نَجِدُ أنّنا مأمورون بالطّلب من الله تعالى أوّلاً أن يُعينَنا على صيامِه وقيامِه، وهذا أمرٌ ينبغي أن يستمرَّ طَلَبُه من الله تعالى طيلةَ الشّهر، كما أمرَنا المصطفى صلّى الله عليه وآله أن نطلبَه من الله تعالى قبلَ حلول الشّهر.

والأمرُ الثاني الذي وردَ التأكيدُ عليه في هذا الدعاء أن يجنِّبَنا اللهُ تعالى الهَفَواتِ والآثامَ في هذا اليوم.

والأمرُ الثالث أن يَمُنَّ علينا عزّ وجلّ بدوام الذِّكر، على قاعدة «خَيْرُ الأَعمالِ أَدْوَمُها وإنْ قَلَّ».

إنّ ذِكْرَ الله تعالى مهمٌّ، إلّا أنّ الأهمَّ هو دوامُ هذا الذِّكر، فيَبقى الإنسان متذكِّراً ربّه باستمرار.

والأمرُ الرابع التأكيد على غرار الأدعية المتقدّمة أنّ ذلك لا يكون إلّا بتوفيقِ الله عزّ وجلّ: «بِتَوفِيقِكَ يا هَادِيَ المُضِلِّيْنَ»، وكأنّ هذه العبارة الأخيرة تريدُ أن تقول أنّ مَن وصلَ في الضّلال إلى غايتِه فأصبحَ مُضِلًّا، فإنّ الله عزّ وجلّ أيضاً يَهديه، وهي بمَعنى: إلهي، سواء كنتُ ضالًّا فقط أو مُضِلًّا فأنتَ الآخذُ بيَدي، فأنت أرحمُ الرّاحمين.

صلاة اللّيلة الثّامنة

١- صلاة عشرين رَكعة، من الألف ركعة التي هي الأرجح عندَ الفقهاء بين روايات نوافل هذا الشّهر الكريم، كلّ ركعتَين بتسليمة، ثمان منها بين المغرب والعشاء، والباقي بعد العشاء، يقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة، و(التّوحيد) مرّة، أو ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو عشراً.

٢- عن رسول الله ﷺ «وَمَن صَلّى اللّيلةَ الثّامنةَ من شهر رمضان ركعتَين، يقرأُ في كلّ

ركعة (الحمد) مرّة، و(قل هو الله أحد) عشرَ مرّات، وَسَبَّحَ ألفَ تَسبيحة، فُتِحَت له أبوابُ الجِنان الثّمانية، يَدخُلُ من أيِّها شاء».[1]

٣- قال الكفعمي: «ويُستَحبُّ أن يصلِّي في كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ (الحمد) مرّة، و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو، سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقولُ التّسبيحاتِ الأربعة سبعاً، ثمَّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمَّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ».[2]

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٩؛ والكفعمي، البلد الأمين: ص ١٧٥.
٢- الكفعمي، المصباح: ص ٥٦٣، الهامش.

٨
شهر رمضان

* حُسْنُ الخُلُق
* الرّحمة هي المَدخل
* نظرة في النَّفْس، والبَيت
* دعاءُ اليوم الثّامن
* صلاةُ اللّيلة التّاسعة

في خطبةِ المصطفى الحبيب حولَ شهر رمضان المبارك وردَ قولُه ﷺ:
«مَن حَسَّنَ مِنكُم في هذا الشَّهْرِ خُلُقَهُ كانَ لَه جَوازٌ على الصِّراطِ يومَ تَزِلُّ فيه الأقدامُ..».

حُسن الخُلُق

لِحُسن الخُلُق مرتبتَان:

الأولى: أن لا يُستفَزَّ الإنسان في باطنِه، بل يكون له من الحِلم وسائر الأخلاق الحَسَنة ما يحول بينَه وبين ذلك.

الثانية: أن تعتملَ في باطنه عواملُ الاستثارة والاستفزاز، ولكنّه يسيطر عليها فلا يَدَعُها تتفجّر لتنعكسَ على ظاهره، فضلاً عن أن يتصرّف على أساسها، فيُعامل الطرفَ الآخر بما ينسجمُ معها.

وبديهيٌّ أنّ حُسنَ الخُلُق بالمعنى الأول: أن لا يُثار في باطنه، أصعب بكثير من حُسن الخُلُق بالمعنى الثاني: أن لا يعبّر عما في داخله، أو لا يتصرّف تصرّفاً سيّئاً مُستجيباً لما يدور في باطنه من جرّاء سوء الخُلُق الكامن.

إلّا أنّ مَن وصل إلى حُسن الخُلق بهذا المعنى الثاني، أي إلى مرحلة أنّه يُستثار لكنّه وإنْ أُثيرَ في داخلِه إلّا أنّه على مستوى الخارج لا يستجيبُ للإثارة، بل يتماسكُ ويتجلّدُ ويكظِمُ غيظَه، فهو في مرحلة متقدّمة جدّاً من **«حُسن الخُلُق»**، ومع أنّها أقلّ مرتبة من الأولى، إلّا أنّها الطريقُ الحصريُّ عادةً للوصول إلى الأولى.

ولا بدّ من التنبُّه إلى أنّ الهدف الذي ينبغي أن يكون نصبَ العين دائماً هو الأُولى، أي حسُن الخُلق بأعلى مراتبه، ولا يصحّ أن تكون صعوبتُه الشديدة مانعاً من الحُلُم بتحقّقه، لأمرَين:

١- أنّ الوصول إلى أيّ مرتبة من الخُلُق الحَسن، فرعُ الإصرار للوصول، والإلحاح في الطّلَب، ومَن رأى اللهَ تعالى صدقَه أعطاه، وما دام هذا الوصولُ ليس بحَولنا وقوّتنا بل بحوَل الله سبحانه وقوّته فلماذا لا نطلبُ ما نظنّه مستحيلاً؟

٢- أنّ مجرّد بقاء آثار سوء الخُلق في الداخل، يهدّد أيّ إنجاز، بمعنى أنّ مَن وصلَ إلى مرتبة أنّه يُستثار في داخله، ولكنّه يكظمُ غيظَه، فقد ينفجر هذا الغيظ بعض المرّات فيبدأ يَضرى في نفسه ويَقوى، ثمّ يغلبُه فيُصبح عاجزاً عن كَظْمِه.

كما لا بدّ من التنبُّه بعدَ ما سبقَ إلى أنّ الظاهر من حديث حُسن الخُلق عند كثيرٍ ممَّن تصدّوا له وبشكلٍ عامّ، هو المعنى الثاني، أي السيطرة على الخارج ومَنْع الجوارح من الانسياق أمامَ رغبة الباطن، إلّا أنّ من الوضوح بمكان أنّ النصوص، سواء الآيات أو الروايات، تطرحُ المعنيَين المتقدّمَين بشكلٍ تَراتُبيّ، فالثاني هدفٌ يتيحُ الوصولَ إلى الأوّل.

ويكفي لإثبات ذلك التأمّل في النصوص التي تتحدّث عن حُسن السريرة، وطهارة الباطن، وسلامةِ القلب، وقَلْع الشّرِّ من الصدر، وغيرها.

والفائدة العمليّة هي أن نحرصَ في التضرّع والتوسّل ليَمُنَّ الله تعالى علينا بأعلى مراتب حُسن الخُلُق، وما ذلكَ عليه بعزيز.

الرّحمة هي المَدخل

العلاقة بين الرحمة وحُسُن الخلق بحاجة إلى توضيح، فليسَ معنى ذلك أنّ كُلَّ مَن تصدرُ منه الرحمةُ فهو يَتحلّى بحُسُن الخُلُق، لأنّ ما نشاهدُه وجداناً أنّ من الناس مَن يرحمُ ويعطف، إلّا أنّه سيّءُ الخُلُق، يُستَثار ويستجيبُ للإثارة، ويتصرّف بما لا يليقُ ولا ينبغي. إلّا أنّ الفرقَ الجوهريّ بين مَن يمتلكُ الرحمةَ وتظهر في تصرّفاته، وبين مَن لا يمتلكُها، هو أنّه مؤهَّلٌ للتّحلّي بالخُلُقِ الحَسن، لأنّ الرّحمةَ تكشفُ عن درجةٍ مهمّةٍ من درجات حياة القلب، التي قد نعبّر عنها بأنّه صاحبُ ضميرٍ حَيّ.

إنّ وجود الرحمة في القلب بأيّ مرتبة كانت، يعني وجودَ مرتبة من لِين القلب والرِّقّة، وهي مؤشّر على إمكانيّة الوصول إلى مكارم الأخلاق، كما هي استجابةُ الجسد -الذي يحتمَل موتُه- لبعضِ الإسعافات الأوليّة مؤشِّرٌ على إمكانيّة الشفاء.

ومن المجالات التي يظهر فيها تأثير الرّحمة ورِقّة القلب في حُسن الخُلُق أنّ الإنسان الذي يمتلك مرتبة من مراتب الرحمة إذا صدر منه تصرّف غير سليم يكشف عن سُوء خُلُق، فإنّه يشعر بوَخز الضمير الذي يلاحقُه إلى أن يعتذر -وإنْ لم يفعل لأنّ رحمتَه لم تَصِل بعدُ إلى هذه المرتبة- فإنّ هذه المعاناة تشكّل على الأقلّ دافعاً يُعينه في المراحل التالية من حياته على الاقتراب من حُسن الخُلُق.

من هنا كانت الرحمة المدخلَ إلى التخلُّص من سوء الخُلُق والوصول إلى حُسن الخُلُق ومكارم الأخلاق المحمّديّة.

وبمقدار التنبّه إلى هذا الترابط بين ما في القلب من رحمة، واستثماره في مجال بناء النفس، تكون النتيجة أفضلَ وأسرع.

والترجمة العمليّة لذلك هي أن ينطلقَ كُلٌّ منّا من مخزون الرحمة الذي يكتشفُه في قلبِه للوصول إلى التّحلّي بمكارم الأخلاق، وذلك بالبيان التالي:

١- التأمّل في تعقيدات النّفس: «**إِلهِي أَشْكُو إِلَيْكَ نَفْساً بِالسُّوءِ أَمَّارَةً، وَإِلى الخَطِيئَةِ مُبادِرَةً، وَبِمَعاصِيكَ مُولَعَةً، وَلِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً، تَسْلُكُ بِي مَسالِكَ المَهالِكِ وَتَجْعَلُنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هالِكٍ، كَثِيرَةَ العِلَلِ، طَوِيلَةَ الأَمَلِ**».[١]

١- من مناجاة الشّاكين للإمام السجّاد عليه السلام.

٢- إدراك صعوبة التخلّص من الصّفات الرّاسخة في هذه النّفْس والتي هي الخُلُق، فالخُلُق هو الصفة الثابتة في النّفْس والراسخة فيها، فإذا أرادَ الإنسان أن يتخلّصَ من صفة سيّئة واحدة كَسُوء الظّنّ، أو حبّ السُّمعَة والجاه، أوالرياء، أو العُجب، أوالتكبُّر، فكَم يحتاجُ إلى بَذْلِ الجُهد؟

يُنقل في هذا المجال أنّ تلامذةَ السيّد بحر العلوم رضوان الله عليه رأَوه ذات يوم فرحاً مسروراً، وسألوه عن السبب فقال: «بعدَ جُهْدٍ استمرّ عشرين سنة، تمكّنتُ هذا اليوم أن أتخلّصَ من الرّياء».

إذا كانت خِصلة واحدة سيّئة تحتاج إلى كلّ هذا الجهاد الأكبر، فكيف يستطيع الإنسان أن يتخلّص من سائر الصفات السيّئة فيه ليصبحَ حسَن الخُلُق.

٣- هنا يأتي دور مخزون الرحمة الصغير أو الكبير الذي يجده أحدُنا في قلبه، فاستثمارُ هذه الرحمة هو الطريقُ الأقصر للوصول إلى حُسن الخُلُق، وذلك على قاعدة: مَن أراد أن يُرحَم فَلْيَرْحَم، مَن أرادَ أن يَتَحَنَّنَ اللهُ عليه، فَلْيَتَحَنّن.

٤- وهذا يستدعي ممّن يريدُ الوصولَ بالرحمةِ إلى حُسن الخُلق، أن يحمل همَّ تهذيب نفسه من مساوئ الأخلاق، ويبحث عن مواطن الرحمة ليَرحم فلعلّه يُرحَم، يبحث عن يتيم، أو فقير قد سحقَه الفقر بكَلْكَلِه وهو ممّن يحسبُهم الجاهل أغنياءَ من التعفّف، أو مريض لا سبيلَ له إلى العلاج، فيُسدي إليه يداً ويخدمُه بما يستطيع، ولو بالإصغاء إليه والتخفيف عنه بكلماتٍ هي فيضُ خزينِ الرّحمة في قلبه، ويكون هدفه أنّه يفعل ذلك لأنّه حقّ، ونوعٌ من حُسن الخُلق، وهو يرجو من كَرَم الله تعالى أن يخلّصَه من سُوء الخُلق ويُحلّي قلبَه بحُسنه.

٥- التأمّل دائماً في مخاطر سُوء الخُلُق ليعزّزَ في نفسه شدّة الحبّ للتخلُّص منها، وَلْيَظهر ذلك في مدى ما يستعدّ له من رحمة الآخرين، وَلْيَظهر أيضاً في حرارة التضرُّع إلى الله تعالى لِيَمُنّ عليه بهذه النقلة الكبيرة من مهاوي سُوء الخُلُق إلى قِمَمِ حُسن الخُلق.

٦- وفي الوقت الذي يتعامل المؤمن مع مفردات سوء الخُلق التي يريد الخلاص منها، فيذكر كُلًّا منها بخصوصه، ينبغي التركيز على الكلّيّات والعناوين العامّة من قبيل حبّ الدنيا، وغَلَبة الشّقوة والهَوى وغير ذلك، ولكلٍّ من الطريقتَين فوائدُ كبيرة كما لا يخفى. وهكذا نكون أمام منهجيّة استثمار الرحمة التي نكتشف بقاءَها في القلب رغم كلّ فَتْكِ الذنوب، لنتدرَّجَ بها ومعَها في مدارج الكمال.

أيّها العزيز: شهرُ الله تعالى مناخٌ لتَحسين الخُلق، فلا نجعله مناخاً لتجذير سوء الخُلُق.

إنّ الهمّ الكبير الذي ينبغي أن نحملَه طيلة هذا الشهر العظيم، هو كيف يُمكننا أن نتخلّص من الأخلاق السيّئة، وإذا لم نلتفت لذلك وأرخَينا لأنفسنا العنان فإنّنا تلقائيّاً، وبسبب هذه الغَفلة والصّوم والجوع، نُصبح نُستَثار بسرعة أكبر، فنغضب ونُكثر من التصرّفات المنافية، وستكون النتيجة أنّنا بدلَ أن نستثمر شهرَ الله تعالى، ونستفيد من الصيام لتَحسين الخُلُق، فإنّنا سنخرج من شهر رمضان وقد تجذَّر فينا سُوءُ الخُلُق، والعياذُ بالله تعالى.

لذلك ينبغي الانتباه والحذَر وأن نلتزم عمليّاً في شهر الله تعالى بتحسين أخلاقنا ولو بحدود متدنّية، فإنّ أصلَ الإصرار على ذلك يفتحُ البابَ أمام القلب على المراتب التالية.

أُشير هنا إلى أنّ المصطفى ﷺ يقول: «**مَن حَسَّنَ منكُم في هذا الشَّهْرِ خُلُقَه..**»، وهو يشملُ مَن لم يُصبح حسَنَ الخُلُق مطلقاً، أي أنّ مَن تحسّنت أخلاقُه نسبيّاً فهو أيضاً «**له جوازٌ على الصّراط**»، وهذا منتَهى الواقعيّة، بمعنى أنّ مَن لا يستطيع الوصول إلى حُسن الخُلُق التامّ، فَلْيُحاول على الأقلّ أن تصبحَ أخلاقُه أحسنَ ممّا هي عليه الآن.

نظرة في النّفْس، والبيت

ويتوقّف ذلك على إدراك أنّ من الأساسيّات في هذا الشهر العمل على تحسين الخُلق.

ومن المفيد لحمل النّفْس على ذلك، التفكير في مضارّ سُوء الخُلُق، من خلال طرح الأسئلة التالية على النّفْس:

أيُّ نُبلٍ في سُوء الخُلُق يا تُرى؟

لقد غضبتُ في كثيرٍ من الموارد فيما مضى، فماذا كانت النتيجة؟

ما أسوأَ موقف مَن يغضب فيُرغي ويُزبد ثمّ يتبيّن أنّه لم يكن على حقّ؟

أيّهما أفضل، أن يتكلّم الإنسان ما يريدُه بطريقة هادئة وهو مسيطر على أعصابه فيَشعر بالسعادة لأنّه تصرّف بعقل وحكمة، ويُلقّن الآخرين درساً في حُسن الخُلُق، أو أن يسمحَ للشّيطان بأنْ يستَفِزّه فإذا هو خفيفٌ لا قيمةَ له ولا وزن، ريشة في مهبِّ ريح الشيطان، وكرة يتقاذفُها؟

ولا يُمكن تصويبُ عمليّة التفكير هذه و ترشيدُها بمَعزلٍ عن الإكثار من التواصل مع الرّوايات، خصوصاً ما كان منها منصبّاً على مضارّ سُوء الخُلق، من قبيل:

١- «**مَن ساءَ خُلُقُه عذَّبَ نفسَه**».

٢- «**مَن ساءَ خُلُقُه مَلَّهُ أهلُه**».

٣- «**مَن ساءَ خُلُقُه أعوزَه الصّديقُ والرّفيق**».

٤- «سوءُ الخُلُق نَكَدُ العيشِ وعذابُ النَّفْس».

٥- «إنّ سوءَ الخُلُق لَيُفسِدُ العملَ كما يُفسدُ الخلُّ العَسَل».[١]

هل نحمل في شهر الله تعالى همَّ أن نصلَ إلى العيد وتوزيع الجوائز، وإذا من بين الجوائز التي حصلنا عليها جائزة مكارم الأخلاق، أو جائزة التخلّص من الرياء، أو من الغضب، أوالعُجب، أو جائزة أن يكون هذا البيت محمّديّاً.

إنّ سوء الخُلُق يُسمِّمُ جوَّ البيت، ويجعلُه جحيماً لا يُطاق، وقد يكون الأبُ وحدَه هو مصدر هذا الجحيم، وقد تكون الأم شريكةً، وربّما كان العكس.

ما ذنبُ الأولاد ليَعيشوا في جحيمٍ بسببِ سُوءِ أخلاق الأبوَين، وهل من حقّ الولد على الوالد أن يحسنَ تسميتَه وليس من حقّه عليه أن يُحسِنَ تربيتَه؟!

وأيّ سوءِ تربيةٍ يفوقُ أن يلقِّنَ الأبوان -وهما القدوة- سوءَ الخُلُق للوَلد؟

هل نفكّر أيّها الأعزّاء في شهر الله تعالى أن نُطلَّ على أولادنا بروحٍ جديدة؟

فَلْيُفَكّر كلٌّ منّا بما يعمرُ قلبَه من الحبّ العارم والحنان الطافح عندما يغيبُ عن أولادِه أو عندما يغيبُ عنه أولادُه، ليتصوّر نفسَه أنّه ماتَ وبَقِيَ أولادُه بعدَه؟

يساعدُنا على تحسين الخُلُق، أن نعَمِّقَ حبَّ أولادنا في نفوسنا ونعمّقَ فيها كذلك خطورةَ سُوء الخُلُق، خصوصاً في شهر الله تعالى.

يجبُ أن نَرْبَأَ ببيوتِنا عن أن تشعرَ المرأةُ في البيت بإهانة، خصوصاً في شهر رمضان، أو أن يشعرَ الأولاد بأنّ أباهم غاضبٌ لأنّه صائم.

ويجبُ على المرأة أن تحفظَ حُرمةَ الأب ومكانتَه في نفسِها وأمامَ أولادها.

ومَن اعتبر الصّومَ عذراً لسُوء خُلُقِه، فليَتنبَّه ببساطة إلى أنّ الآخرين أيضاً صائمون، وهذه التصرّفات لا تناسبُ المسلم.

هذا البيتُ المحمّديُّ المبارك ينبغي أن يُعطّر بحُسن الخُلُق المحمّديّ، لا سيّما في شهر الله تعالى، ومَن لم يستطع أن يكونَ حَسَن الخُلُق دائماً فَلْيُحاول في البدء أن ينشرَ شَذا هذه الروح المحمّديّة المباركة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم:٤، ولو لساعات، وهي كفيلةٌ بالأَخْذ بيدِه وبمَجامع القلب إلى أعتاب سيّد المرسلين، فإنّه صلّى الله عليه وآله: ﴿..عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة:١٢٨.

١- أنظر: الرّيشهري، ميزان الحكمة.

دعاءُ اليوم الثّامن

«أللّهُمَّ ارْزُقْنِي فِيهِ رَحْمَةَ الأيْتامِ، وَإِطْعامَ الطَّعامِ، وَإِفْشاءَ السَّلامِ، وَصُحْبَةَ الكِرامِ، بِطَوْلِكَ يا مَلْجَأَ الآمِنِينَ».

لماذا يبدأُ الدعاء بالتركيز على رحمةِ الأيتام؟

إنّ اليتيم منقَطِعٌ لا ملجأَ له من الناس، يقفُ وحيداً في مهبّ الأعاصير مكشوفاً، لا يُخدَم عادةً لهَدفٍ مَصلَحيّ، وإنّما قُربةً إلى الله تعالى، ومَن رُزِق رحمتَه فقد رُزِق إخلاصاً مَحضاً، وبهذه الرّحمة المُخلصة تتّصل نيّة مَن خدم اليتيمَ بسائر ينابيع الحبّ -وهل الدِّينُ إلّا الحُبّ- فيُطعِمُ الطّعامَ لوجهِ الله لا يريدُ جزاءً ولا شكوراً، ويُفشي السلام، وينشرُ المحبّةَ والأمنَ والإحساسَ بالطّمأنينة في بيتِه وبين جيرانه ومعارفِه، كذلك لوجهِ الله، فيَنتظم في سِرب الكرام البَررَة -شبيهُ الشّيء منجَذِبٌ إليه- ومَن رُزِق صحبةَ الكرام فقد أقامَ الجسرَ الذي يعبرُ به من سُوء الخُلق إلى ديار الفضائلِ ومكارم الأخلاق، الذي تهفو إليه نفسُه ويَهوى الفؤاد، فيُردِّد: إلهي، مُنَّ عليّ بذلك، فأنتَ ذو الطَّول الغنيُّ المتفضِّلُ بطَوْلِكَ يا ملجأَ الآمنينَ.

صلاةُ اللّيلة التّاسعة

١- صلاة عشرين ركعة، هي حصّة كلّ ليلة إلى اليوم العشرين، من الألْف ركعة، ثمان منها بين المغرب والعشاء، والباقي بعد العشاء، كلّ ركعتَين بتسليمة، يقرأ في كلّ ركعة (فاتحة الكتاب) مرّة، و(قل هو الله أحد) مرّة، أو ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو عشراً.

٢- عن رسول الله ﷺ: «ومَن صَلّى فِي اللّيلةِ التّاسعة من شَهر رمضان قبلَ العشاءَين ستّ رَكعات، يقرأُ في كلِّ ركعة (الحمد) و(آية الكرسيّ) سبعَ مرّات، وصَلَّى على النّبيّ خمسينَ مرّة، صَعدتِ الملائكةُ بعَملِه كعَملِ الصّدّيقين والشّهداء والصّالحين».[1]

٣- قال الكفعمي: «ويُستَحبُّ أن يصلّي في كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ (الحمد) مرّة، و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو، سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقولُ التّسبيحاتِ الأربعة سبعاً، ثمَّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمَّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ».[2]

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٨؛ والكفعمي، البلد الأمين: ص ١٧٥.

٢- الكفعمي، المصباح: ص ٥٦٣، الهامش.

٩

شهر رمضان

* آدابُ الإفطار
* سيرةُ المعصومين
* بَرمجةُ القلب
* تنبيهات هامّة
* دعاء اليوم التّاسع
* صلاة اللّيلة العاشرة

آدابُ الإفطار

المحورُ الذي تتفرّع عليه كلُّ مظاهر العناية بهذه المحطّة هو التالي:

صحيحٌ أنّ ضغطَ الجوع يجعل الصائم يبادر تلقائياً إلى الإفطار، ولا مانع من ذلك حتّى إذا قدّم الإنسانُ الإفطار على الصّلاة، خصوصاً إذا كان هناك مَن ينتظره، بل مَن يحبّ أن يكون معه على الإفطار ولو لم ينتَظره، ولكن ما المانع من الإتيان بدَعوات مختصرَة قبل الإفطار؟

أكثر من ذلك، ما المانع أن تكون هذه الدّعوات أحياناً غيرَ مختصَرة جدّاً، يختار لها من اللّيالي ما يساعدُه فيه ظرفُه بمختلَف جوانبه على تحمّل تأخير إفطاره عشر دقائق مثلاً.

من الضروريّ التّنبُّه إلى أنّ التغيير على صعيد القلب والنَّفْس هو عادةً أكبر بكثير من الزّمان الذي يستغرقُه التغيير في عالم الظّاهر ويتمّ فيه، على أنّ التّغيير في عالم الظّاهر قد يكون مدوّياً تتردّد أصداؤه عبر قرون، ولا يستغرق من الوقت إلّا دقائق وربّما لحظات، فلا يصحّ أن يكون قِصَرُ الوقت الذي يَستدعيه العملُ منطلَقاً للاستخفاف به، خاصّةً عندما يكون الحديثُ عن التغيير في عالَم النَّفْس.

إنّ لحظةَ التّوبة الصّادقة أكبر من عُمر صاحبِها، ولحظة تَضييعها عندما تُتاح هي أيضاً أكبر منه، لأنّ كلًّا منهما يتحكّم بالمصير ويحدّد نتائجَه بما يتطابق معه.

في هذا السياق ينبغي أن يوضَع الاهتمام بلحظات الإفطار.

سيرةُ المعصومين

١- حول إفطار النّبيّ صلّى الله عليه وآله وكيفَ كان يَدعو قبل أن يفطر، وردَ عن الإمام الصّادق عليه السلام أنَّ النّبيَّ صلّى الله عليه وآله كانَ إذا أفطرَ قال: «**أللَّهُمَّ لكَ صُمْنا وعلى رِزْقِكَ أفْطَرْنا، فتَقَبَّلْهُ، ذَهَبَ الظَّمَأُ، وابْتَلَّتِ العُروقُ، وبَقِيَ الأجْرُ**».[١]

٢- **ورُوي أيضاً عن رسول الله** صلى الله عليه وآله: «**إنَّ لِكُلِّ صائمٍ عند فِطْرِه دعوةً مُستجابةً، فإذا كانَ في أوّلِ لُقمة، فَقُل: بِسمِ الله، يا واسِعَ المغفرةِ، اِغفِرْ لي، فمَن قالَها عندَ إفطارِه، غُفِرَ له**».[٢]

٣- ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان إذا أفطرَ قال: «**بسمِ اللهِ، أللَّهُمَّ لكَ صُمْنا وعلى رِزْقِكَ أفْطَرْنا، فتَقَبَّلْ منّا إنَّك أنتَ السَّميعُ العليمُ**»[٣]

٤- و كان الإمام الصّادق عليه السلام يقول عند الإفطار في كلّ ليلة من شهر رمضان:

١- الكفعمي، البلد الأمين: ص ٢٣١.
٢- الكفعمي، البلد الأمين: ص ٢٣٢.
٣- الكفعمي، البلد الأمين: ص ٢٣١.

«أَلْحَمْدُ للهِ الّذِي أَعَانَنَا فَصُمْنَا، وَرَزَقَنَا فَأَفْطَرْنَا، أللّهُمّ تَقَبَّلْ مِنّا وَأَعِنّا عَلَيْهِ، وَسَلِّمْنَا فِيْهِ وَتَسَلَّمْهُ مِنّا فِي يُسْرٍ وَعَافِيَةٍ، أَلْحَمْدُ للهِ الّذي قَضَى عَنّا يَوْمَاً مِنْ شَهْرِ رَمَضَان».[1]

٥- في رواية عن النّبيّ ﷺ:

«مَا مِن عبدٍ يصومُ ويقولُ عند إفطارِه هذا الدُّعاءَ، إلّا خَرجَ من ذُنوبِه كَيومِ وَلَدَتْهُ أُمُّه، وهو: يَا عظيمُ يَا عظيمُ يَا عظيمُ، أنتَ اللهُ الّذي لا إلهَ إلّا أنتَ، اِغفِرْ لِيَ الذَّنبَ العظيم، إنَّه لا يَغفِرُ الذَّنبَ العظيمَ إلّا أنتَ يا عظيمُ».[2]

٦- عن الإمام الصّادق عليه السلام:

«مَن قرأ (القَدْر) عند سحورِه وعند إفطارِه كان بينَهما كالمُتشَحِّطِ بِدَمِه في سبيلِ اللهِ».[3]

وهكذا يُمكننا أن نفهمَ من اختلاف النّصوص رغمَ اتّفاقها في بعض المَضامين أنّه ليست هناك صيغة خاصّة ينبغي التقيّد بها، فيُمكن للصّائم أن يذكرَ الله تعالى بأيٍّ من هذه الأذكار قبل إفطارِه.

٧- كما وردَ الحديثُ عن دعاءٍ ليس مُطوَّلاً ولا هو باختصار ما تقدّم، وقد أوردتُه في أعمال اللّيلة الأولى، ومَن لم يستطع أن يقرأه كلّ ليلة، فيَنبغي أن لا يحرمَ نفسَه من بركاته، ولو أحياناً، فقد تضمَّنَت روايتُه من الثوابِ ما يكفي بعضُه لمزيدِ الاهتمامِ به، كما نجدُ في الرّواية التّالية.

عن النّبيّ ﷺ أنّه قال لعَلِيٍّ عليه السلام: «يا أبا الحَسن، هذا شهرُ رمضانَ قد أَقبَل، فاجعَلْ دُعاءَك قبلَ فطورِك، فإنَّ جبرئيلَ عليه السلام أَخبرَني عن اللهِ تعالى أنّه مَن دَعا هذا الدُّعاءَ في شهرِ رمضان قبلَ أنْ يُفطر، استجابَ اللهُ له دعاءَه، وقَبِلَ صَوْمَه وصلاتَه، واستجابَ له عشرَ دعوات، وغَفَر له ذَنْبَه، وفرَّجَ همَّه، ونفَّس كَرْبَه، وقَضى حوائجَه، وأَنجحَ طَلِبتَه، ورفعَ عملَه مع أعمال النّبيّين، وجاءَ يومَ القيامة وَوجهُه أَضوأُ من القمر ليلةَ البدر..».

وأوّلُ الدّعاء: «أللّهُمَّ ربَّ النُّورِ العَظيم، ورَبَّ الكُرسيِّ الرَّفيعِ، وربَّ البَحرِ المَسْجورِ..».

وهو غيرُ دعاء العَهد المعروف رغم أنّه يشتركُ معَه في بداياته.

١- الكفعمي، البلد الأمين: ص ٢٣١.
٢- الكفعمي، البلد الأمين: ص ٢٣١.
٣- الكفعمي، البلد الأمين: ص ٢٣١.

برمجة القلب

والنّتيجة التي نخرجُ بها من استعراض هذه الروايات التي تحثُّ على الدعاء قبل أن يفطرَ الصائم، أو قراءة (سورة القدر)، أنّ الصائم الذي أمضى نهارَه يعزِّزُ البُعدَ الروحي فيه، ويُضعِفُ البُعدَ الحيواني، فيُنمّي الرّوحَ على حساب الجَسد في الحدودِ المسموح بها بل المطلوبة، أصبحَ الآن عندما حلَّ وقتُ الإفطار أمامَ نمطَين من التصرّف، نمطٍ يكشفُ عن إدراكِه لأهميّة ما قامَ به، ونمطٍ يكشف عن ضعفِ هذا الإدراك كثيراً، أو يكشفُ عن عَدَمِه، ولِمَصلحةِ الصائم أن يُلفَتَ إلى رفع مستوى فهمِه لأهدافِ الصوم، كما يُلفَتُ المسرعُ إلى المائدة إلى ضرورة إلقاء التحيّة على الموجودين لِتَستقرّ في قلبِه بذرةُ الآداب الاجتماعيّة في مثل هذا الظرف وما يُشبهه، أو يزول الرّكام عن هذه البِذرة الموجودة أصلاً.

إنّ هذه اللّحظات القليلة التي تقعُ بين نيّة الإفطار وبين تناول الطعام، فترةٌ خصبةٌ يُمكِّن استثمارُها بذكرِ الله تعالى من برمجةِ القلب ليَنطلقَ في دروب الحياة في المَسار الصّحيح الذي يُشكِّلُ الأساسَ فيه والمناخَ والتّربة إدراكُ القِيَم والتعامل معها بما يعنيه ذلك من إدراكٍ لإنسانيّة الإنسان، وَوَعيٍ لأهميّتها، وأنّها أنبلُ من أن تطويها عَجَلَةُ ضَغْطِ الجوع أو العَطش، أو غلبةُ أيّ غريزةٍ أُخرى مهما كانت شديدةَ الوَطْأَة.

إنّ هذه اللحظات القليلة التي يُمضيها الصائم في الإقبال على الله عزّ وجلّ وفي التوجّه إليه سبحانه، تكشفُ عن مضمونٍ إنسانيّ راقٍ، وكأنّه يريد أن يقول: «إلهي أريدُ أن أحافظَ على حَصيلتي الروحيّة من الصيام، لا أريد أن أُقبل على الطعام بجَشع ناسياً لك ولذِكرِك، بل أقبلُ عليه ذاكراً، إلهي أعِنّي على نفسي، واغفرْ لي». ومهما كان الدّعاء مختصَراً، فإنّ آثارَه كبيرة، فيَنبغي العناية بهذا الحثّ على الدعاء قبل الإفطار والاهتمام به.

تنبيهات هامّة

١- في تَهيئة الطّعام

قال السيّد ابن طاوس عليه الرحمة: «إعلم أنّنا قد ذكَرنا في ما تقدّم من هذا الكتاب كيفيّة الاحتياط في الطعام والشراب، ونضيفُ إليه هنا أنّه ينبغي أن يكون الطعام والشراب الذي يُفطر عليه، مع طهارتِه من الحرام والشُّبُهات، قد تنزَّهَتْ طُرُق تهيئتِه لمَن يُفطر عليه، من أن يكون قد اشتغلَ به مَن هيّأَه عن عبادةٍ لله جلَّ جلالُه، وهي أهمُّ منه، فربّما يصير ذلك شُبهةً في الطّعام والشّراب، لكونه عُمِلَ في وقتٍ كان اللّهُ جلّ جلالُه كارهاً للعمل فيه، ومُعرضاً عنه. وَحَسْبُكَ في سُقمِ طعامٍ أو شرابٍ أن يكونَ صاحبُه -ربّ الأرباب- كارهاً لتَهيئتِه على تلك الوجوه والأسباب، فما يؤمن المستعملُ

له أن يكونَ سُقماً في القلوب والأجسام والألباب».[1]

والمثالُ الذي يوضِحُ ما أرادَه السيّد هو أن تنشغلَ المرأةُ مثلاً بالطّعام عن بعض عباداتها، كأنْ يصرفَها إعدادُ طعامِ الإفطار عن دعاءٍ له وقتٌ محدّد وأهميّة خاصّة، أو يحولَ إعدادُ طعامِ السّحور بينَها وبين صلاة اللّيل، وما شابه.

ولكن ما قاله رضوان الله تعالى عليه يفتحُ بابَ المراقبة لاجتنابِ كلّ طعامٍ تداخلَ مع إعدادِه أذى الآخرين، بحيث ينطبقُ عليه عنوانُ أنّ ربَّ الأرباب كارهٌ لتهيئتِه بهذه الوجوه والأسباب، أي بهذه الطريقة، فهو حينئذٍ مشتركٌ مع ما تقدّم في أنّه لا يؤمَنُ أن يكونَ مرضاً للظّاهر والباطن معاً.

ومن الواضح أنّ هذا الباب ليس خاصّاً بشهر الله تعالى، بل هو عامٌّ لكلّ الأوقات، إلّا أنّ خصوصيّة الشّهر ترفعُ من مستوى الحَذَر من أيّ تصرُّفٍ يُحمِّلُ الآخرين عبءَ تَرْكِ عبادةٍ ما لأجلِ الطعام، أوعبءَ إهانةٍ مّا، مخافةَ أن يتحوّل هذا العبءُ إلى مرضٍ يفتكُ بروح صاحبِه وجَسَدِه.

٢- في نيّة الإفطار

ليست النيّةُ العفويّة التي تصدر تلقائيّاً، إلّا ثمرة السلوك العامّ لصاحبِها، وليس السلوك العامّ إلّا نتيجة النوايا غير العفويّة، بل تلك التي يتمّ اتّخاذ القرار بها، والتصرّف على أساسها.

من هنا كان طبيعيّاً جدّاً أن يُولي النصّ المعصوم أهميّة قصوى لتصحيح النيّة عند الإفطار.

قال السيّد ابن طاوس عليه الرحمة: **«إعلم أنّ الافطار عملٌ يقومُ به ديوان العبادة، ومطلبٌ نتيجتُه السعادة، فلا بدّ له من قَصْدٍ يليقُ بذلك، ومن أهمّ ما يقصد الصائم بإفطارِه، ويختم به تلك العبادة مع العالِم بأسراره، هو امتثالُ أمرِ الله جلّ جلالُه بحفظِ حياته. وإذا لم يقصد بذلك حفظَها طاعةً لله تعالى، فكأنّه قد ضيّعَ الطعام وأتلفَه، وأتلفَ نفسَه، فتُصبحُ الطاعاتُ تصدرُ منه عن قوّةٍ لم يُحسن بالنيّة رعايتَها. وأيّ كُلفةٍ أو مشقّةٍ في ما ذكرناه من صلاح النيّة، ليُصرّ الصائم على اجتنابِها، ويلجأ إلى الإفطار بما تَقتضيه الغريزة، إلى غير ذلك من الأضرار».**[2]

٣- ذكرُ الله عندَ تناولِ الطّعام

وليست النيّةُ المدروسةُ والمستندةُ إلى قرار، إلّا نتيجةَ محاولاتٍ متكرّرةٍ في تصحيح

١- الإقبال: ١/ ٢٤١، بتصرّف.

٢- الإقبال: ١/ ٢٤٢، بتصرّف.

النيّة للوصول إلى حيث تَخلو النيّةُ من التكلُّف، وتصبح نيّةً حقيقيّةً خالصةً من شوائب الادّعاء، وليس جهادُ النَّفْس على عظيم منزلتِه إلّا هذه المحاولات المتكرّرة في تصحيح النّوايا.

من هذا المنطلق ينبغي التعامل مع الحثّ على أمورٍ نرى أنّنا نتكلّف كثيراً إذا حاولنا حمْلَ النّفْس عليها، من قبيل ما تقدّم من أن تكونَ نيّةُ تناولِ الإفطار التقويةَ على طاعة الله تعالى، أو من قبيل التنبّه إلى ذِكر الله تعالى أثناءَ الطعام، فَلِلْمُتَنَدّر أن يقول: «نريدُ أن نأكل، فَدَعوا مواعظَكم جانباً»! وهو كلامٌ طريف، لكنّه -غرائزيٌّ- غيرُ مسؤول.

قال السيّد ابن طاوس عليه الرحمة: «**كانَ رسولُ الله يَحْمَدُ بينَ كلِّ لُقمتَين**».

ثمّ أضاف السّيد: «**أقولُ أنا: أيّها المسلمُ المصدِّقُ بالقرآن، المُمتَثِلُ لأمرِ اللهِ جلّ جلالُه، إيّاكَ أن تخالفَ قولَه تعالى في رسولِه فَاتّبَعوه واتَّبَعوا النّورَ الذي أُنزل معَه** [من مضمون الآية ١٥٧ من سورة الأعراف]. **أُسلك سبيلَ هذه الآداب، فإنّها بُراقٌ وعَطايا تُفتَح لها أنوارُ سعادة الدّنيا ويوم الحساب**».[١]

وليست الأهميّة في ذكر الله تعالى -عند الطعام ومعه- لحركةِ اللّسان، بل لحركةِ القلب التي قد تستتبعُ حركةَ اللّسان، وقد تنفصلُ عنها، إلّا أنّ من شأن الذِّكرِ اللّسانيّ إيقاظَ القلب، وقد يكون الإيقاظُ مزعِجاً لكن المصلحة فيه لا تُفَوَّت، وكما تتحمّلُ الأمُّ ممانعةَ وَلَدِها الذي تُوقظه لأنّه قد حان وقتُ ذهابِه إلى المدرسة وما يرافق ذلك من نَكَدٍ لا يعتبَر مسوّغاً لِتَرْكِه يغطُّ في نومِه، فيَنبغي لنا أن نتحمّل مَضَضَ إيقاظِ القلب ليستجيبَ لنصيحةِ العقل، فيكون ذاكراً على كلّ حال.

وقد يكون هذا المَضَض خروجاً على المألوف الذي قد يثيرُ تنذُّرَ البعض.

ويتّضح ممّا تقدم أنّ المحور في الذّكر هو القلب، وليس الذّكر اللّساني إلّا المفتاح.

٤- عندَ الفراغ منه

ويلحقُ بذلك الذِّكرُ عند الفراغ من الطعام في شهر رمضان وغيره، إلّا أنّ خصوصيّته في ضيافة الرّحمن لا تَخفى. قال السيّد عليه الرحمة والرضوان:

«**عن الأئمّة عليهم السلام "..": وَتَقُولُ عندَ الفراغِ من الطّعام: أَلحمدُ للّهِ الذي أَطْعَمَني فَأَشْبَعَني، وَسَقَاني فَأَرْوَاني، وَصَانَني وَحَمَاني، ألحمدُ للّهِ الذي عرَّفَني البركةَ واليُمنَ بِمَا أَصَبْتُه وتركتُه منه..**».[٢]

١- الإقبال: ١/ ٢٤٦، بتصرّف.

٢- الإقبال: ١/ ٢٤٦، بتصرّف؛ وانظر: المجلسي، البحار: ٦٣/ ٣٨١، و٩٥/ ١٥؛ والطبرسي، مكارم الأخلاق: ص ١٤٤؛ والمحدّث النوري، مستدرك الوسائل: ١٦/ ٢٨٠، وقد ورد في الجميع بلفظٍ واحدٍ ومنه قوله: «تركتُه منه»، غير أنّ للذِّكر تتمّة، فليُلاحظ.

ويجبُ التأكيدُ على أنّ هذه المفردات وأمثالها في التشريع الإسلامي، إنّما هي جزءٌ من كُلّ، وحرفٌ من القصيدةِ العَصماء، وكما لا يصحُّ من الناحية المَنهجيّة دراسةُ كلِّ حرفٍ أو كلمةٍ، ولا شَطْرٍ ولا أبياتٍ وحدَها، لإصدارِ حُكْمٍ على القصيدة، لا يَصِحُّ منهجيّاً أَخْذُ بعضِ التشريعات والانطلاق منها لإصدار حُكْمٍ على الشريعة كلِّها.

وإنما أقفُ عند هذه الخصوصيّات لما تحمله لوثاتُ التغريب المنتشرة بيننَا من طريقة التعامل مع المستحبّات والمكروهات، في الوقت ذاته الذي يستبدلُها فيه هؤلاء بمستحبّاتٍ عندَهم ومكروهاتٍ لهم في «التَّعقيم» الموبوء، و«آداب المائدة»، ومنها ما يُذهب بالعقل، و«الحفل الرسميّ» القائمِ أصلاً على تَشييء الإنسان، وغير ذلك ممّا يصلُ عندَهم إلى حدّ القَداسة.

إنّ على كلّ مؤمنٍ أن يُصغيَ قلبُه إلى آداب الإسلام، ويُصِرَّ على الالتزام بها، فهي آدابُ الله تعالى لعبادِه، وما أمسَّ الحاجةَ إلى مغادرةِ تَحييدِ المستحبّات والمكروهات عن الواجهة ومحاصرتِها في قعرِ الاهتمام، وزوايا حركة الحياة والسلوك.

ويتوقّفُ الشفاء من هذا الفصام الثقافيّ، بالخروج من هذه اللّوثة القاتلة، بل الوباء الذّريع.

دعاءُ اليوم التّاسع

«أَللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِيْهِ نَصِيباً مِنْ رَحْمَتِكَ الوَاسِعَةِ، وَاهْدِنِي فِيْهِ لِبَرَاهِينِكَ السَّاطِعَةِ، وَخُذْ بِنَاصِيَتِي إِلى مَرْضَاتِكَ الجَامِعَةِ، بِمَحَبَّتِكَ يا أَمَلَ المُشْتَاقِينَ».

كأنّ الدّعاء يريدُ لكُلِّ منّا أن يقول: إلهي وَسِعَتْ رَحمتُكَ كلَّ شَيءٍ، وأنا شَيْءٌ فَارْحَمْنِي. اِجْعَلْ لي نَصيباً من رحمتِك، فإنّها لا يُنقِصُها شيءٌ، وَأَزِحْ عن بَصيرتي حُجُبَ الذّنوبِ وظلامَ المعاصي. أَرِنِي الأمورَ كما هي. إلهي، وإنْ نَازَعَتْني نفسي إلى مَعصيتِك، فكما يأخذُ الأبُ بِيَدِ ابنِه إلى الطّبيب رغماً عنه حبّاً له، فَخُذْ بناصيتي إلى مرضاتِك الجامعةِ بحبِّك لي يا أملَ المُشتاقين.

صلاةُ اللّيلة العاشرة

١- حصّةُ هذه اللّيلة من الألف ركعة، وهي عشرون رَكعة، كلّ ركعتَين بتسليمة، ثمان منها بعد المغرب، والباقي بعد العشاء، تقرأُ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة، و(التوحيد) مرّة، أو ثلاثاً، أو خَمساً، أو سبعاً، أو عشراً.

٢- عن رسول الله ﷺ:

«ومَن صَلّى اللّيلة العاشرة من شهرِ رمضان عشرينَ ركعة، يقرأُ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة، و(قل هو الله أحد) إحدى وثلاثينَ مرّة، وسَّعَ اللهُ عليه رزقَه، وكان من الفائزين».[١]

٣- قال الكفعمي: «ويُستَحبُّ أن يصلّي في كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ (الحمد) مرّة، و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو، سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقولُ التّسبيحاتِ الأربعة سبعاً، ثمَّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمَّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ».[٢]

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٨؛ والكفعمي، البلد الأمين: ص ١٧٥ - ١٧٦.

٢- الكفعمي، المصباح: ص ٥٦٣، الهامش.

١٠
شهر رمضان

* حُسن الظّنّ بالله
* في دعاء السَّحَر
* في الرّوايات
* دعاء اليوم العاشر
* صلاة اللّيلة الحادية عشر

حُسنُ الظّنِّ بالله عزّ وجلّ

قال تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ فصلت:٢٣.

إذاً، وبصريح القرآن الكريم هناك نوع من الظّن بالله يكون سبب الهلاك، وهو سوء الظّن بالله عزَّ وجلَّ، بدليل قوله تقدَّست أسماؤه:

﴿.. ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ الفتح:٦.

ما المُراد إجمالاً بحسن الظّن بالله تعالى؟

كلٌّ منّا يحمل في ذهنه عادةً، تصوُّراتٍ معيّنة عن النّاس الذين يتعامل معهم، فيقول هذا كريم يلبّي بسرعة، وهذا بخيل، وهذا بين وبين وهلمّ جرّاً.

فأيّ انطباعٍ وتصوّرٍ نحمله عن الله تعالى؟

هل نُحسن الظّن به عزَّ وجلَّ أم أنّنا لفرط معاصينا نعتبر أنّه لن يغفر لنا؟

هل نَشعرُ بنعمة؟ أم أنّنا لفرط غفلتنا نعتبر أنّ المال من فلان، والشّفاء من الطّبيب، والعلم من الأستاذ وهكذا، فنركض خلف الكثرة، وتعمينا حُجُبها فلا ندرك حقيقة التوحيد؟

هل نحسن الظّن به عزَّ وجلَّ وأنّه يعطينا إذا احتجنا ولا يتركنا؟

هل نحسن الظّن به عزَّ وجلّ أنّه يرحمنا إذا عصينا، ويغفر لنا ذنوبنا مهما كانت؟

هل نعتقد حقّاً بأنّ ذنوبنا مهما عظمت فإنّها دون عظمته، وأنّ طلباتنا مهما كثرت فإنّها قليلٌ من كثير، وأنّها عليه سهلٌ يسير؟

في دعاء السَّحَر

ورد في دعاء السَّحر:

١- بكَ عرفتُكَ وأنتَ دللتني عليك ودَعوْتَني إليكَ، ولولا أنتَ لمْ أدْرِ ما أنت، الحمدُ للهِ الذي أدعُوه فيُجيبني وإنْ كنتُ بطيئاً حين يَدعوني، الحمدُ للهِ الذي أسألُهُ فيُعطيني وإنْ كنتُ بخيلاً حين يَستقرضُني.

إلهي أعظمُ النّعم عليّ نعمة معرفتك، وأنا لم أصِل إلى معرفتك بنفسي، وإنّما أنت أوصلتني ولو أردْتَ هواني لم تَهدني، أنتَ دلّلتني عليك ولولا أنت لم أدرِ ما أنت، إلهي كلّما احتَجتُك أجِدك سريعاً في الإجابة، وكلّما أمرتَني تجِدني بطيئاً إلّا أنّك مع ذلك تظلُّ تغمرني بعطفك وحنانك؛ أسألُك فتعطيني، وتَستقرضُني حين تحثُّني على العطاء والإنفاق، أوالقرض، وحين تريدني أن أكون بارّاً متسامحاً أعفو وأصفح. تستقرضني لأعطي من المال ومن الخُلُق الحسن فيغلب عليّ البخل، إلّا أنّ ذلك لا يمنعك من مواصلة عطائي.

٣- والحمد للهِ الّذي أُناديه كلَّما شئتُ لحاجتي وأَخلو به حيثُ شئتُ لسرّي.

أرأيتَ ملكاً يستطيعُ الفقيرُ أن يناديه كلّما كانت له إليه حاجة، إنّ ملك الملوك عزَّ وجلَّ قريبٌ من عباده، كيف أنّ الأمَّ من فرطِ حبِّها لابنها تُجيبه كلّما ناداها ومهما كانت أعمالها، إنّ حنانَ الله عزَّ وجلَّ وحبَّه لنا أكبر من حبِّ الأم بكثير، بل إنَّ حبَّ الأمِّ تماوجٌ محدودٌ من فيضِ حبِّه عزَّ وجلَّ.

هذه المعاني وأمثالها في دعاء السَّحَر وفي دعاء الافتتاح، تريد أن تعزّز فينا حسن الظّنّ بالله عزَّ وجلَّ، حتّى لا نحمل في ذهننا تصوُّر أنّ الله تعالى بعيدٌ عنّا، لا يهتمّ بنا لا باستجابة أدعيتنا ولا بطلباتنا.

ليس مِن حُسن الظّنّ أن نحمل مثل هذه التّصوّرات، بل ينبغي أن نعيش بعمقٍ أنّه قريبٌ منّا، وأنّه تعالى أمل الآملين، وملاذ اللّائذين.

٤- وأنا يا سيِّدي عائذٌ بفضلكَ هاربٌ منكَ إليك متنجّزٌ ما وَعَدْتَ من الصّفح عمَّن أحسنَ بك ظناً.

إلهي مَن لي غيرك. جئتُكَ مستجيراً بك من النّار فأجرني، مستعيذاً بك فأعذني. إلهي لا أحمل إلّا حُسنَ ظني بك، لا أتّكل على عملي لأنّك أرحم الراحمين، أكرم الأكرمين، كلّ زادي هو حُسن ظنّي بك وسوءُ ظنّي بنفسي.

٥- أفَتُراك يا ربّي تُخلِف ظنوننا أو تخيّب آمالنا، كلّا يا كريم فليس هذا ظنّنا بك ولا هذا فيك طمعنا، يا ربّ إنّ لنا فيك أملاً طويلاً كثيراً، إنّ لنا فيكَ رجاءً عظيماً، عصيناكَ ونحن نرجو أنْ تستر علينا، ودعوْناك ونحن نرجو أن تستجيبَ لنا، فحقِّق رجاءَنا مولانا، فقد علِمنا ما نَستوجبُ بأعمالنا ولكنّ علمَك فينا وعلمنا بأنّك لا تَصرِفنا عنك وإنْ كنّا غير مُستوجِبين لِرحمتِك، فأنتَ أهلٌ أن تجودَ علينا وعلى المُذنبين بفضل سعتِكَ.

من الواضح أنّ حُسن الظّنّ بالله عزَّ وجلَّ هو المناخ الملائم لاستجابة الدّعاء، ومن الواضح أنّ سوء الظّنّ بالله عزَّ وجلَّ حجابٌ يجعل الإنسان غير قادر على الدّعاء بحقّ، يجعله لا يستطيع أن يطلب من الله عزَّ وجلَّ طلباً حقيقيّاً. إنّ طلبَ الإنسان السّيّئ الظّنّ بالله عزَّ وجلَّ، كالطّلب من شخصٍ تعْلم مسبقاً أنّه لن يُلبّي طلبَك، ممّا يجعل طلبك منه شكليّاً، فهو شبه طلب. إنّه طلبُ اليائس.

في الرّوايات

١- عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**والّذي لا إله إلّا هو لا يَحسُن ظنُّ عبدٍ بالله إلّا كان اللهُ عند حُسنِ ظنِّ عبده المؤمن، لأنّ اللهَ كريمٌ بيده الخيرات، يَستحي**

أن يكون المؤمنُ قد أحسنَ الظنّ به ثمّ يُخلِف ظنَّه ورجاهُ، فأحسنوا بالله الظّنّ وارغَبوا إليه»[١].

وهكذا نكون قد كوّنا فكرة مجملة عن خطورة سوء الظّنّ، وأهمّيّة حسن الظّنّ، فإذا أردنا أن نعرف ما هو حُسن الظّنّ بشكلٍ دقيقٍ، نجد ما يلي:

٢- عن الإمام الصّادق عليه السلام: «حسن الظّنّ بالله أن لا ترجو إلّا الله، ولا تخاف إلّا ذنبَك».

حُسن الظّنّ بالله عزّ وجلّ إذاً، أن ينحصرَ الرّجاءُ به، أي أن نوقنَ بأنّ كلّ شيءٍ هو منه سبحانه وتعالى.

بديهيٌّ أنّ مَن حسُن ظنّه بشخصٍ، فهو يلجأ إليه، وكلّما كان حُسن الظّنّ به أقوى، كان اللُّجوء إليه أكثر.

وعلى هذه القاعدة فلا ينبغي اللّجوء إلّا إلى الله تعالى، لكنّ ذلك يتوقّف على أن نُحسنَ الظّنّ به وحده دون سواه.

الجمعُ بين حُسن الظنّ وشدّة الخوف

ويقترنُ الحديثُ عن حُسن الظّنّ بالله في هذه الرّواية بالحديث عن مخافة الذنب، وهي مفصلٌ شديدُ الحساسية في باب حُسن الظّنّ وسوئه، والمراد أنّ من يُحسنُ الظّنّ بالله عزَّ وجلَّ، ويصل به ذلك إلى حدِّ عدم الخوف مطلقاً من ذنوبه، فهو أقرب إلى الأمن من عذاب الله عزَّ وجلَّ، بل والتّجرّؤ على الله تعالى، لأنّ حُسن الظّنّ المطلوب هو أن يخاف الإنسان من ذنوبه فيلجأ إلى الله عزَّ وجلَّ ويُحسن الظنَّ به، لا أن لا يخاف من ذنوبه نهائيّاً ويعتبر أنّه بمنأًى من العذاب وفي مأمنٍ منه.

ونجد توضيح ذلك في الرّواية التالية:

٣- عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنِ استطعتُم أنْ يشتدَّ خوفُكم من الله وأن يَحسُن ظنُّكم به فاجمَعوا بينهما، فإنَّ العبدَ إنّما يكونُ حسنُ ظنِّه بربِّه على قدر خوفه من ربِّه، وإنَّ أحسنَ النّاس ظنّاً بالله أشدُّهم خوفاً لله عزَّ وجلَّ».

بمقدار ما نخاف الله تعالى يكون حُسن الظّنّ به، أخافُ ربّي عندما أعيش حقيقة التّوحيد وأُدرك أنّه لا يحقّ لي أن أتجرّأ عليه عزَّ وجلَّ فأعيش بذلك خطورة المعصية، وأعيش من خلال ذلك عجزي وضعفي فأُدرك أنّه لا ملجأ من الله عزَّ وجلَّ إلّا إليه، وأُدرك رحمتَه الواسعة، عندها سيكون حُسن ظنّي بربّي سبحانه وتعالى كبيراً وبشكلٍ تلقائيٍّ.

١- انظر فيه وما بعده: الريشهري، ميزان الحكمة.

والنتيجة العمليّة أن يفكّر كلٌّ منّا في ظنّه بالله عزَّ وجلَّ، هل أنا حَسَن الظّنّ بربّي أم أنّي والعياذ بالله سيّئ الظّنّ؟ وأنْ يرفعَ كلٌّ منّا من مستوى حسن ظنّه به، فهو أرحمُ الراحمين، تمتدُّ رحمتُه يوم القيامة كما ورد في الروايات، لتتّسع لأصنافٍ من الخلائق كان إبليس يعتبرهم من جُنده، وعندئذٍ يطمع هو في أن تشمَلَه رحمةُ الله سبحانه وتعالى!

دعاء اليوم العاشر

«اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِيهِ مِنْ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ، وَاجْعَلْنِي فِيهِ مِنْ الفائِزِينَ لَدَيْكَ، وَاجْعَلْنِي فِيهِ مِنْ الْمُقَرَّبِينَ إِلَيْكَ، بِإِحْسانِكَ يا غايَةَ الطَّالِبِينَ».

أللّهمّ ارزُقني يقيناً ثمرته التوكّل عليك، وأتمم نعمتَك عليّ بتمام اليقين والتوكّل، وهما أساس كلّ عملٍ صالحٍ لأكون من الفائزين لديك المبادِرين المقرّبين إليك، وأنّى لي بذلك يا إلهي إلّا بإحسانك، أن تأخذ بيدي رغم أنّي لا أستحقّ، فأصل إلى حِماك وأكون في دِرعكَ الحصينة يا غاية الطّالبين.

صلاة الليلة الحادية عشر

١- مواصلة صلاة الألف ركعة

تُصلّي عشرين ركعة كلّ ركعتَين بتسليمة، ثماني ركعات بعد المغرب، والباقي بعد العشاء وتقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة، و(التوحيد) مرّة أو ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو عشراً.

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ومَن صلّى ليلة إحدى عشرة من شهر رمضان ركعتَين، يقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة و(إنّا أعطيناك الكوثر) عشرين مرّة، لم يتبعه في ذلك اليوم ذنبٌ وإنْ جهدَ الشّيطانُ جهدَه»[1].

٣- قال الكفعميّ: «ويُستحبُّ أن يصلّي في كلّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ(الحمد) "..." و(التوحيد) ثلاثاً، فإذا سلّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقول التّسبيحات الأربع سبعاً، ثمَّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمَّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ..»[2].

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٩٣؛ والكفعمي، البلد الأمين: ٦٧١.

٢- الكفعمي، المصباح: ٣٦٥. الهامش.

١١

شهر رمضان

* الاهتمام بمعرفة ليلة القدر
* طلبُ معرفة ليلة القدر
* صلاة لمعرفة ليلة القدر
* دعاء اليوم الحادي عشر
* صلاة اللّيلة الثّانية عشر

الاهتمام بمعرفة ليلة القدر

شهر رمضان المبارك شهر الثّورة في الذّات باتّجاه المصالحة مع الكون، والانسجام مع تسبيح الموجودات جميعها للهِ الواحد القهّار.

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ الإسراء:٤٤.

ويمكن لهذه المصالحة رغم صعوبتها أن تتمّ في لحظة من لحظات ليلة القدر.

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ القدر:٢.

ولست هنا بصدد الحديث عن عظمة هذه اللّيلة المباركة ولا عن خصوصيّاتها، فربّما يوفّق الله سبحانه وتعالى للحديث عن ذلك على أبواب ليالي القدر، وإنّما أنا هنا بصدد الحديث عن الاهتمام بمعرفة ليلة القدر.

**

عندما نتأمّل مضامين أدعية شهر رمضان المبارك، نجد تركيزاً على ليلة القدر يلحّ علينا بشكلٍ أو بآخر أن نتنبّه إلى أهميّة هذه اللّيلة المباركة.

وَرد في الأدعية المُلحقة بدعاء الافتتاح وليلة القدر: «**وحجَّ بيتِك الحرام وقتلاً في سبيلك فوفّق لنا**»، كما ورد في مختلف الأدعية الحديث عن ليلة القدر تارةً بلهجة الدّعاء والتوسّل للتّوفيق لها ولإدراكها، وتارةً بلهجة: «**واجعل في ما تقضي وتقدِّر من الأمر المحتوم وفي ما تفرقُ من الأمرِ الحكيمِ في ليلةِ القدر، مِن القضاء الذي لا يُرَدّ ولا يُبدَّل..**».

طلبُ معرفة ليلة القدر

ماذا تريد هذه المضامين المباركة للأدعية المباركة حول ليلة القدر أن تقول لنا؟

لدى الرّجوع إلى كلمات العلماء الأعلام في هذا المجال، نجد بوضوح أنّ من أمّهات المطالب التي ينبغي على الصّائم باستمرارٍ، من أوّل شهر رمضان، أن يركّز عليها هو أن يُوفَّق لليلة القدر.

ما المُراد بالتّوفيق لليلة القدر؟ هل المُراد أن يوفّق الإنسان للدّعاء فيها؟

هذا مطلوبٌ طبعاً، إلّا أنّ السّيّد ابن طاوس وكذلك آية الله التبريزي عليهما الرّحمة، يؤكّدان على أهمّية أن يدعو الصّائم باستمرار طيلة شهر رمضان المبارك أن يُعرّفه اللهُ تعالى ليلة القدر، فيُوفّق حينئذٍ لإحيائها والدّعاء فيها.

معرفةُ ليلة القدر إذاً، همٌّ ينبغي أن يحمله الصّائم طيلة أيّام شهر رمضان المبارك قبل ليالي القدر، فيكون هاجس القلب ووِرْدُ لسان الحال: إلهي عرّفني ليلة القدر، في أيّة ليلةٍ هي؟

قد يتصوَّر البعض أنّ هذا الطّلَب غريب.

عن هذه النّقطة بالذات يتحدّث السّيّد ابن طاوس عليه الرّحمة، فيُبيّن ضرورة أن يطلب الصّائم أن يُعرِّفه الله عزَّ وجلَّ ليلة القدر، ويقول:

«إنَّ طَلَبَ معرفة ليلة القدر من مُهمّات ذوي العبادات، حيث لمْ أجِد في المعقولات والمنقولات ما يَمنع مِن طلب معرفتها والظّفر بما فيها من السّعادات، ولقد قلتُ لبعض مَن حدَّثتُه من الأعيان: لماذا لا تطلبون من أوّل شهر رمضان بالدّعاء أنْ يعرّفكم اللهُ جلَّ جلالُه بليلة القدر، فإنّه تقدَّست أسماؤه قد جَعلَكم أهلاً لمعرفتِه ومعرفةِ رسولِه ومعرفةِ خاصّتِه، وليست ليلةُ القدر أعظم من ذلك، فلم نَجِد له عذراً إلّا اتّباع العادة في أنّهم ما وجدوا مَن يهتمّ بهذا المطلب الجليل، فقلّدوهم ومضَوْا على ذلك السبيل»[1].

حقّاً، لماذا لا ندعو اللهَ طيلة الأيّام واللّيالي المباركة من هذا الشّهر المبارك قبل ليالي القدر، أن يعرّفنا ليلة القدر؟

سيأتي في كلمات السّيّد ابن طاوس عليه الرّحمة وغيره من العلماء، أنّ هذا الأمر طبيعيٌّ، وأنّ من النّاس مَن يُعرّفهم اللهُ عزَّ وجلَّ ليلةَ القدر بِطُرقٍ مختلفة، فيعرف أحدهم أنّ ليلة القدر هي اللّيلة الفلانية فيوفَّق للدّعاء فيها ولإحيائها، ويكون موقِناً أنّها ليلةُ القدر.

فهل هذا الأمرُ عاديٌّ لا ينبغي الاهتمامُ به؟

يذكر السّيّد عليه الرّحمة أنّه أورد لِمَن خاطبه من أهل زمانه مثالاً، هو الآتي:

لو أنَّ شخصاً صادقاً يُقطع بِصحّة كلامه، أخبرَ شخصاً فقيراً مسحوقاً أنَّ في هذه الأرض مساحة ثلاثين ذراع، وفي ذراع من هذه الثّلاثين ذراع كنزٌ، إذا أمكن الوصول إليه فإنّه يغني كلّ فقيرٍ، وأنتَ ستخرج من الفقر بمجرّد أن تَحصل على هذا الكنز.

فكيف يَتصرّف هذا الفقير مع هذه المعلومة؟

ألَا يطوفُ البلدان ليَسأل أهل الخبرة؟ ألَا يبحث في هذا الثّلاثين ذراعاً بحثاً مُضنياً؟

إذاً لماذا لا نتعامل مع ليلة القدر كما يَتعامل هذا الفقير مع هذه الثّلاثين ذراعاً، ثلاثون ليلة، وليلةٌ منها هي ليلة القدر، ولا نهتمّ بمعرفتها!!

كيف نرضى أن يأتي شهرُ الله تعالى ويمضي ونحن لسنا مُستنفَرين لمعرفة هذه اللّيلة المباركة؟

أين حُسن الظّنّ بربِّنا عزَّ وجلَّ؟ لماذا لا نثق بأنّنا إذا كنّا صادقين في طلب معرفة هذه

١- السيد ابن طاوس، إقبال الأعمال: ج١/ ١٤٨

اللّيلة، فإنّه عزَّ وجلَّ أكرم الأكرمين، ولن يردّ سائلاً وَقفَ ببابه، وهو يريد أن يوفّق لدعائه وعبادته في ليلةٍ مباركةٍ هي خيرٌ من ألف شهر.

كيف يردّنا عزَّ وجلَّ؟

الواقع أنَّ غفلتنا كبيرة جداً، وجزى الله سيّد المراقبين السّيّد ابن طاوس عن المسلمين جميعاً خير الجزاء لتنبيهنا إلى هذه الحقيقة.

صلاة لإدراك ليلة القدر

إذا وَجَدنا في أنفسنا اهتماماً بمعرفة ليلة القدر، فهناك صلاة ذَكَرها السّيّد ابن طاوس عليه الرّحمة، وذَكرها كذلك آيةُ الله التّبريزي في (المراقبات) نقلاً عن السيّد، وهي كما يلي:

«رُوي عن عبد الله بن عبّاس أنّه قال: يا رسولَ الله طُوبى لِمَن رأى ليلة القدر، فقال له: **يا ابن عبّاس، ألا أُعلمّك صلاةً إذا صلّيتها رأيتَ بها ليلة القدر، كلَّ ليلةٍ عشرين مرّة وأفضل**، فقال: علّمني، صلّى الله عليك، فقال له:

تُصلّي أربع ركعات في تسليمةٍ واحدة، ويكون بعد العشاء الأولى، وتكون قبل الوتر:

*** في الرّكعة الأولى (فاتحة الكتاب) و(قُل يا أيّها الكافرون) ثلاث مرّات، و(قُل هو الله أحدٌ) ثلاث مرّات.**

*** وفي الثّانية (فاتحة الكتاب) و(قُل يا أيّها الكافرون) ثلاث مرّات، و(قُل هو الله أحدٌ) ثلاث مرّات.**

***وفي الثّالثة والرّابعة مثل ذلك، فإذا سلّمت تقول ثلاث عشر مرة: أستغفرُ الله.**

فَوَحقّ مَن بعثني بالحقّ نبيّاء مَن صلّى هذه الصّلاة وسبَّح في آخرها ثلاث عشر مرّة، واستغفرَ الله، فإنّه يرى ليلة القدر كلّما صلّى بهذه الصّلاة ويوم القيامة يُشفَّع في سبعمائة ألفٍ من أمّتي، وغفر اللهُ له ولوالديه إنْ شاء الله تعالى»[1].

الفقه التّخصصيّ: لا تشريع ولا تضييع

يؤكِّد الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر، وهو المرجع النّوعيّ البارز، أنّ العقلَ يحكمُ بترتيبِ الأثَر على الاحتمال الضّعيف، عندما يكون المُحتَمَلُ قويّاً، وهذا الأصل هو الّذي جَرَت عليه سيرةُ الفقهاء وما تزال، فعندما يجدون أنَّ روايةَ عمل ليلة الرّغائب مثلاً ضعيفة السّنَد، لا يُشرِّعون وحاشاهم- لكن لا يُضيِّعون المحتمل القويّ لضعف الاحتمال، فيُنبِّهون على الاهتمام بهذا المحتمَل «برجاء المطلوبيّة».

١- الإقبال: ١/ ١٥٣-١٥٤.

وتأمّل معي في ما علّق به عليها آية الله التبريزيّ حول «صلاة معرفة ليلة القدر»، حيث قال:

«وقد رَوَى لِدَرْك فضيلة ليلة القدر في (الإقبال) روايةً، وهي وإنْ لم يَثبت اعتبارُها، إلّا أنّها من أجْل عَظَمة أمرِها، ينبغي أن يُعمل بها رجاءً لصحّتها وثبوتها في الواقع».

ثمّ أورد الرّواية، وعقّبَ بقوله:

«أقول: لم يُعلم المُراد من الرّواية صريحاً، ويمكن أن يكون المُراد أنّه يحصل له من الثّواب ما يعادلُ أفضل من لذّة رؤية ليلة القدر عشرين مرّة..»[1].

• وأمّا السيّد عليه الرحمة فقد أكّد بعد ذكر هذه الرّواية أنّك إذا كنتَ تريد أن تصلّي هذه الصّلاة فصَلِّها، ولكن لا تقتصر عليها في طلب معرفة ليلة القدر، بل تضرّع وادعُ الله عزَّ وجلَّ ليعرفك إيّاها، ثمّ أكّد على طلب معرفتها وأن لا يحُول الاستبعاد دون ذلك، فقال:

«اِعلم أنَّ اللّهَ جلَّ جلالُه قادرٌ أن يُعرِّف بليلة القدر مَن يشاءُ، كما يشاءُ، وبما يشاءُ، فلا تَلزم هذه العلامة من التّعريف، واطلب زيادة الكشف من المالك الرّحيم الرّؤوف اللّطيف، فإنّني -يضيف السّيّد- عرفتُ وتحقّقتُ من بعض مَن أدركتُه أنّه كان يعرف ليلة القدر كلّ سنةٍ على اليقين ".." وهي رحمةٌ أدركتْه من ربِّ العالمين، وليست بأعظم من رحمةِ الله جلَّ جلالُه بمعرفة ذاته المقدّسة وصفاتِه المُنزّهة، ومعرفة سيّد المرسلين وخواصّ عترته الطّاهرين، وإيّاك أن تُكذِّب بما لم تُحِط به علماً من فضل الله جلَّ جلالُه العظيم، فتكون كما قال الله جلَّ جلالُه: ﴿..وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ الأحقاف:١١، فكلّ المعلومات لم تَكن محيطاً بها ثمّ علمْتَ بعد الاستبعاد له. ولو قال لكَ قائلٌ: إنَّه رأى تراباً يمشي على الأرض باختياره، ويُحيط بعلومٍ كثيرةٍ في أسراره، ويغلب مَن هو أقوى منه مثل السّبع والفيل، والأمور الّتي يتمكّن منها ابنُ آدم في اقتِداره، كنتَ قد استبعَدْتَ هذا القول من قائله، وتطلّعت إلى تحقيقه ودلائِله، فإذا قال لك: هذا التُّراب الّذي أشرتُ إليه هو أنتَ على اليقين، فإنّك تعلم أنّك مِن ترابٍ وتعود الى ترابٍ، وإنّما صرْتَ كما أنتَ بقدرة ربّ العالمين، فذلك الّذي أقدرك مع استبعاداتك هو الّذي يُقدِر غيرك على ما لم تُحِط به علماً بفطنتك»[2].

يريد رضوان الله تعالى عليه التّأكيد على أمرين:

١- المراقبات: ١٣٧ (م.م).
٢- الإقبال: ١٥٤.

الأوّل: أنَّ معرفتك بليلة القدر هي دون معرفتِك بالله سبحانه وتعالى، والله عزَّ وجلَّ قد سمح لك بمعرفته، فلماذا لا يمُنُّ عليك بتعريفك ليلة القدر؟

الثّاني: أنّ الاستبعاد الّذي هو الاستغراب، لا يصلح دليلاً تَستند إليه، فتَنفي ما تستبعده، فلا تَستند إلى استبعادِ أن تعرف ليلة القدر فتَحرم نفسَك من بركاتها.

أللّهمَّ وفقنا لمعرفة ليلة القدر بالزّهراء وأبيها وبعلها وبنيها والسّرّ المستودَع فيها.

* رؤية ليلة القدر

ما تقدّم كان الهدف منه معرفة ليلة القدر على وجه التّحديد، وهناك عنوانٌ آخَر يُتداول على الألسن، وربّما لا يعرف الكثيرون أنّه يمكن أن يحصل وهو: «**رؤية ليلة القدر**».

تحدّث عنه آية الله المَلَكي التّبريزي، الّذي طرح السّؤال عن إمكانيّة رؤية ليلة القدر، وأجاب عليه فقال:

«**فإن قلتَ: ما معنى رؤية ليلة القدر؟**

قلتُ: رؤيةُ ليلة القدر كما أشرنا إليه سابقاً، عبارة عن كَشفِ ما يقعُ فيها من نزولِ الأمرِ إلى الأرضِ، كما يُكشفُ لإمامِ العصر عليه السلام في «تلك» اللّيلة.

أضاف آية الله المَلَكي: وإنْ أردْتَ لهذا الإجمال توضيحاً، فاعلم أنَّ للهِ تعالى بين عالمَي الأرواح والأجسام عالَماً يُسمَّى عالم المثال والبرزخ، وهو عالَمٌ بين العالمَيْن، ليس مُضيَّقاً مظلماً مثل عالم الأجسام، ولا واسعاً نَيِّراً مثل عالم الأرواح، لأنَّ عالمَ الأرواح مجرّدٌ عن كَدَر المادّة وضِيق الصّورة والمقدار. وعالمُ الأجسام مقيّدٌ بالمادّة والصّورة. وعالَمُ المثال مجرّدٌ عن المادّة ومقيّدٌ بالصّورة والمقدار، وهو مشتملٌ على عوالم كثيرة. وكلُّ موجودٍ في عالم الأجسام فلَهُ في هذه العوالم المثاليّة صوَرٌ مختلفة غيرُ هذه الصّورة الّتي (هي له) في عالم الأجسام. وكلُّ ما في هذا العالم إنّما يوجد بعد وجودِه في العالمَيْن الأوّلَين بنحوِ وجودٍ يليق بهما، بل كلُّ موجودٍ في العالم إنّما يَنزلُ إليه من خزائن الله الّتي أُشيرَ في القرآن إليها بقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ.. ﴾ الحجر:٢١. وكلُّ جسمٍ وجسمانيٍّ في هذا العالَم، إنّما ينزل عليه من عالمِ المِثال بتوسُّط ملائكة الله تعالى.

والذي يدلُّ عليه الأخبارُ أنّ أحكام كلِّ سَنةٍ من تقديرِ أرزاقِ موجودات هذا العالَم وآجالها، ينزلُ إلى الأرض في ليلة القدر، وينكشفُ ذلك لمَن هو خليفةُ الله في الأرض في هذه اللّيلة، ويسمّى انكشافُ نزول الأمر-بتوسّط الملائكة له عليه السّلام- رؤية ليلة القدر، ولذّةُ هذا الكشف ومشاهدةُ نزول الأمر والملائكة إنّما يعرفُهما أهلُهما، ولعلّ ذلك من قبيل ما أُرِيَ لإبراهيم الخليل من مَلَكوت السّماوات والأرض.

أضافَ آية الله المَلكي: ولكلّ إنسانٍ نصيبٌ كاملٌ من هذه العوالم مخصوصٌ به، وأغلبُ النّاس غافلون عن عوالِمهم المثاليّة، وغافلون عن غفلتِهم أيضاً، وكذلك عن عوالِمهم الرّوحانيّة إلّا مَن منَّ اللهُ عليه بمعرفة النّفس، ومعرفةِ عالَم المثال في طريق معرفة النّفس، لأنّ حقيقة النّفس من عالم الأرواح، فمَن كُشف له حجابُ المادّة عن وجه روحِه ونفْسِه، ورأى نفسَه مجرّدةً عنها في عالَم المثال يسهلُ له الانتقالُ إلى حقيقة روحِه المجرّدة عن الصّورة أيضاً، وهذه المعرفة للنّفس هي المرادُ من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**مَن عرفَ نفسَه فقد عرفَ ربَّه**»، ووَجهُ ارتباط معرفة النّفس بمعرفة الرّبّ لا يعرفُه إلّا مَن وُفِّقَ لهذه المعرفة، وهذا المقدارُ من البيان كافٍ في ما نحن بصددِه من تعريف ما يزولُ به الإنكارُ والاستبعاد، لدَركِ حقيقة ليلة القدر للعاملين العابدين، لأجل تحصيل الشّوق اللّازم للوصول»[1].

ومن الواضح لدى التّأمّل في كلامه رضوان الله تعالى عليه، أنّ ما ينكشف لِصاحب الأمر عليه صلوات الرّحمن، هو التّجلّي الأتمّ الخاصّ به، إلّا أنّ لكلّ مَن وَصلَ إلى مرتبة إمكانيّة ذلك الانكشاف له، مرتبةً تناسبه من «رؤية ليلة القدر»، الأمر الّذي يعني بوضوح أنّ باستطاعة المؤمن أنْ يرى ليلةَ القدر بِحَسبِه، وهذا هو السّبب في تطرُّق آية الله الملكي إلى هذا الموضوع، كما صرّح به في آخر كلامه المتقدّم.

دعاء اليوم الحادي عشر

«أللّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ فِيْهِ الإحْسانَ، وَكَرِّهْ إِلَيَّ فِيْهِ الفُسُوقَ وَالعِصْيانَ، وَحَرِّمْ عَلَيَّ فِيْهِ السَّخَطَ وَالنّيرانَ، بِعَوْنِكَ يا غِياثَ المُسْتَغِيثِيْنَ».

الإحسانُ جعْلُ الشّيء حسناً، ومَن أصابَ يُقال له أحسَنْت لأنّه جعل ما فعلَه حَسَناً، وأوْضح مصاديق الصّواب، الانسجام مع الحقّ وطاعة الله تعالى وقد ورد: «**الإحسانُ أنْ تعبدَ اللهَ كأنّك تراه، فإنْ لم تكُن تراه فإنّه يَراك**».

فالمُحسن بهذا المعنى لا يُخطئ، لأنّه عُصِم من الذّنوب بِحسبه.

أللّهمّ حبِّب إليّ في يومي هذا الإحسانَ، وكرّه إليّ فيه التّمرُّد عليك، فما رأيتُ منك إلّا جميلاً وما رأيتَ مني جميلاً، تتحبّبُ إليّ فأتبغّض إليك.

خُذ بيدي يا دليلَ المتحيِّرين، وجنّبني أن أفعلَ ما أستحقُّ به سخطَكَ والنّيران، إلهي هل تَمُنّ على هذا الغريق فتنتشله من لُجَج البُعد ومرارته، إلى أُنْس القُرب وحلاوته، تكرُّماً منك بعونك. أغِثني، يا غِياثَ المُستغيثين.

١- المراقبات: ١٣٧-١٣٩ بتصرّفٍ يسير.

صلاة اللّيلة الثانية عشرة

١- مواصلة صلاة الألف ركعة

تُصلّي عشرين ركعة كلّ ركعتّين بتسليمةٍ، ثماني ركعات بعد المغرب، والباقي بعد العشاء، وتقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة و(قل هو الله أحد) مرّة، أو ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو عشراً.

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ومَن صلّى ليلة اثنتي عشرة من شهر رمضان ثماني ركعات، يقرأُ في كلِّ ركعة (الحمد) مرّة، و(إنّا أنزلناه) ثلاثين مرّة، أعطاهُ اللهُ ثوابَ الشّاكرين وكان يوم القيامة من الفائزين»[1].

٣- قال الكفعميّ: «ويُستحبُّ أن يصلِّي في كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ(الحمد) «..» و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقول التّسبيحات الأربع سبعاً، ثمَّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمَّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ..»[2].

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٩؛ والكفعمي، البلد الأمين: ١٧٦.

٢- الكفعمي، المصباح: ٥٦٣. الهامش.

١٢

شهر رمضان

* وحجّ بيتك الحرام
* حقيقة الحجّ
* الضّيافة الأخصّ
* دعاء اليوم الثّاني عشر
* صلاة اللّيلة الثّالثة عشر
* صلاة اللّيالي البِيض

وحجّ بيتك الحرام

من المضامين الّتي تتكرّر في أدعية شهر رمضان المبارك طلب التّوفيق لحجّ بيت الله الحرام.

وهذه بعض النّماذج:

١- نجد مثلاً في دعاءٍ ملحق بدعاء الافتتاح: «أللّهمَّ إنِّي أسألُكَ أن تجعلَ في ما تَقضي وتُقدّر من الأمرِ المحتومِ في الأمرِ الحكيمِ من القضاءِ الّذي لا يُردّ ولا يُبدَّل أن تكتُبَني من حجَّاجِ بيتكَ الحرام المَبرورِ حجُّهم، المشكورِ سعيُهم، المغفورِ ذنوبُهم، المكفَّر عنهم سيّئاتهم».

٢- ونجد في دعاءٍ آخر: «أللّهُمَّ إنِّي بِكَ ومِنْكَ أطْلُبُ حَاجَتِي، أللّهُمَّ مَنْ طَلَبَ حَاجَتَهُ إلَى أحَدٍ مِنَ المَخْلُوقِينَ، فَإنِّي لا أطْلُبُ حَاجَتِي إلّا مِنْكَ، أسْأَلُكَ بِفَضْلِكَ ورِضْوانِكَ أنْ تُصَلِّيَ على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأنْ تَجْعَلَ لِي في عَامِي هَذا إلى بَيْتِكَ الحَرامِ سَبِيلاً، حِجَّةً مَبْرُورَةً مُتَقَبَّلَةً زاكِيَةً خَالِصَةً لَكَ، تَقَرُّ بِها عَيْنِي، وتَرْفَعُ بِها دَرَجَتِي».

٣- كذلك نجد في دعاءٍ آخر: «أللّهُمَّ ارْزُقْنِي حَجَّ بَيْتِكَ الحَرامِ في عَامِي هَذا وفِي كُلِّ عَامٍ ما أبْقَيْتَنِي في يُسْرٍ وعَافِيةٍ وَسَعَةِ رِزْقٍ، وَلا تُخْلِنِي مِنْ تِلْكَ المَوَاقِفِ الكَرِيمةِ والمَشَاهِدِ الشَّرِيفَةِ» إلى آخر ما في الدعاء وفيه مزيد من التّأكيد على حجّ بيت الله الحرام.

٤- ويُضاف إلى ما تقدّم جميع ما ورد في الرّوايات من أنّ وفدَ الله عزّ وجلّ يُكتب في ليلة القدر، أي تتحدّد أسماء الذين يفدون على بيت الله عزَّ وجلَّ، في ليلة القدر.

حقيقة الحجّ

وتكشف هذه المضامين جميعها عن أهمّيّة خاصّةٍ للحجّ، وأنّ موقعه من منظومة الرّؤية التّوحيديّة للكون في البُعدَين النّظري والعملي أكبر بكثير ممّا هو السّائد بيننا، وهو ما يلحّ بوقفةٍ على أعتابِ الحجّ بهدف إعادة النّظر وتصويب النّظرة والتّعامل.

يمثّل الحجّ في الحقيقة دورة تدريبيّة في المجالات التّالية:

١- تجذير التّوحيد وتعزيزه في نفس الحاجّ. وتصبُّ في هذا الهدف كلّ مناسك الحجّ، ومنها ما يأتي ذكره، لتكون النّتيجة أنّ الهدف المركزيّ للحجّ هو هذا الهدف بالذّات.

٢- الارتباط برسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام من خلال زيارة قبر المصطفى الحبيب ﷺ وتجديد البَيعة معه، وإعلان اتّباعه كما أمَرَ من خلال طاعة أهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم.

٣- كذلك نجد أنّ العلاقة بين الحجّ والمعاد حاضرة بقوّة، فمنظر الحجّاج بثياب الإحرام يُذكّر تلقائيّاً بتلك الصّورة الّتي يختزنُها المسلمُ في ذهنه عن يوم المَحشر، وكما ينفصل الرّاحل إلى المعاد عن كلّ شيء، يترك الحاجّ الدّنيا وما فيها ويتوجّه إلى الله عزَّ وجلَّ،

وكما هي أرض المَحشَر ساحة الطّاعة بلا معصية، فإنّ الحاجّ يلتزم بأوامر الله تعالى دون أيِّ تردّد. يُؤمَر فيُطِيع. هنا ينبغي أن تُحرِم وهنا تُلبِّي. لا يجوز أن تَستظِلّ. هنا جاء دور الطّواف، وهنا السّعي. وهكذا.

يَرى نفسَه ممتثلاً لأوامر الرّحمن وقد ترك كلّ ما يربطه بالدّنيا، حتّى ثيابه الّتي اعتاد عليها، وهو يقول لَبّيكَ اللّهُمَّ لَبّيكَ، ولعلّ القلب يردِّد:

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ طه:١٠٨

٤- والحجّ دورة تدريبيّة على الوَلاءِ للهِ عزَّ وجلَّ، ورفض الشّرك وازدواجيّة الوَلاء، فهو تعبيرٌ عن رفضِ الشّيطان ومُعسكر الشّيطان، ومغادرة اتّباع خطواتِ الشّيطان إلى حدِّ رَجْمه، والخضوع المُطلَق للرّحمن.

ولعلّ ممّا يُسهم كثيراً في رسم ملامح الصّورة السّائدة بيننا للحجّ، والّتي تتناقض مع هذه المعاني العظيمة والواضحة، هو أنّنا في الغالب على الأقلّ نحجّ ولا تَظهر فينا آثارُ إدراك هذه الحقائق والتّفاعل معها، فنُكوِّن عن الحجّ تصوُّراً لا ينسجم معه من قريبٍ ولا بعيدٍ.

والفرقُ كبيرٌ جدّاً بين الحجِّ المقبول وغير المقبول، والحجُّ القيمة المهمّة والأساسيّة، هو الحجّ المقبول. لذلك نجد التّأكيد واضحاً في الأدعية على حقيقة «**أَنْ تَكْتُبَنِي مِنْ حُجَّاجِ بَيْتِكَ الحَرامِ، المَبْرُورِ حَجُّهُمْ، المَشْكُورِ سَعْيُهُمْ، المَغْفُورِ ذُنُوبُهُم، المُكَفَّرِ عَنْهُم سَيِّئاتُهُمْ**».

وطيلة شهر رمضان المبارك يرافقنا الدُّعاء الدّائم الحضور ليُوفِّقنا اللهُ تعالى لنكون من الوافدين عليه المقبولين لديه، وفي ليلة القدر يبرزُ الدُّعاء إلى الله تعالى ليَكتبنا في هذه اللّيلة في عدادِ الوافدين عليه المبرور حجُّهم.

الضّيافة الأخصّ

ويَطرحُ ذلك سؤالاً وجيهاً عن مدى كَوْن شهر رمضان موسم إعدادٍ لِموسم الحجّ، وضيافة خاصّة يتمّ من خلالها توجيه الدّعوة إلى ضيافةٍ أخصّ.

إنَّ الرّوايات الّتي تتحدّث عن أنَّ وفدَ الله عزَّ وجلَّ يُحدَّد، وتُكتب أسماءُ أعضاء هذا الوفد في ليلة القدر، تدلّنا بوضوحٍ على ما تقدّم.

وليس معنى هذا أنّ كلّ مَن يذهب إلى مكة في موسم الحجّ يُقبَل عملُه، فإنَّ تحديد المقبولين يتمّ في نفس الوقت الّذي تُسجَّل فيه الأسماء بما لا يُنافي العدل، واستِناداً إلى علمِ مَن هو بكلِّ شيءٍ عليم، ولذلك فقد يُكتَب في عدادِ وَفدِ الحجّ مَن يَخرجُ من الشّهر دون فائدةٍ تُذكَر، ثمّ يتوب توبةً صادقةً فترفعه حركةُ قلبِه إلى طلائع الوافدين.

ثمّ إنّ مَن يَحجّ ولا يُقبَل حجُّه، قد يكون ذلك المرحلة الأولى الضّروريّة له ليُقبَل في

موسمِ حجٍّ آخَر.

والفائدة العمليّة الجوهريّة ممّا سَبق هي أنْ يُدركَ القلبُ من أوّل ليلةٍ من رجب أنّنا أمام تهيئةٍ للضّيافة الإلهيّة الأخصّ في الحرم الإلهيّ ومركزِه: البيت الحرام، وأنَّ أعمالَ رجب وشعبان وشهر رمضان خطواتٌ جادّة في هذا الطّريق.

***

كُلُّ صائمٍ، بل وكُلُّ مسلمٍ مدعوٌّ إلى أنْ يطلبَ من اللهِ تعالى أنْ يوفّقه لِحجِّ بيته الحرام، ويتأكَّد هذا المعنى عندما نتأمّل الرّوايات ونجد الفضل الكبير والثّواب الجزيل للحجّاج، إلّا أنّ هناك لِبعض الأعزّاء خصوصيّة في هذا المجال، ولِأجلهم كان هذا الحديث في الواقع، وأقصد الأخوة والأخوات الّذين استَطاعوا الحجَّ فوَجَب عليهم إلّا أنّهم لم يحجّوا، وكثيرٌ من هؤلاء الأعزّاء يَصومون ويُصلّون ويَخافون الله عزَّ وجلَّ، إلّا أنّهم يقعون في التّسويف والمماطلة في موضوع الحجّ.

أختمُ بروايةٍ مُخيفةٍ تدلّ بوضوحٍ أنّ مَن استطاع أنْ يحجّ ولم يحجّ لا يموت مسلماً.

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَن ماتَ ولم يَحجّ حجَّةَ الإسلام، ولمْ يَمنعهُ مِن ذلكَ حاجةٌ تُجحِفُ به، أو مرضٌ لا يُطيق الحجَّ من أجلِه، أو سلطانٌ يمنعهُ، فلْيَمُت إنْ شاء يهودياً وإنْ شاءَ نصرانيّاً**».[1]

أيّها الأعزّاء، مَن استطاعَ الحجّ ولم يحجّ، فيجب أن يحرص على أداء الحجّ في هذه السّنة.

* يوم المؤاخاة

قال الشّيخ المفيد: «وفي اليوم الثّاني عشر نزل الإنجيلُ على عيسى بن مريم عليه السلام. ويومُ المؤاخاة الّذي آخى فيه النّبيّ صلى الله عليه وآله بين صَحْبِه، وآخى بينه وبين عليٍّ صلوات الله عليهما»[2].

دعاء اليوم الثّاني عشر

أللّهُمَّ زَيِّنْ لي فِيْهِ السِّتْرَ وَالعَفاف، وَاسْتُرْنِي فِيْهِ بِلِباسِ القُنُوعِ وَالكَفافِ، وَحلِّنِي فِيهِ بحليِّ الفضلِ والإنصافِ، بِعِصْمَتِكَ يا عِصْمَةَ الخائِفِينَ.

١- المصدر. وانظر: الأحسائي، عوالي اللآلي ٣/ ١٥٠؛ والحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة: ٢/ ١٧٥، وليس فيهما: «إن شاء»؛ والمجلسي، البحار: ٩٦/ ٢٠، واللفظ له.

٢- الشيخ المفيد، مسارّ الشيعة: ص ٢٢.

إلهي مَن زيّنتَ له السّترَ والعفافَ لمْ يعصِكَ، ومَن سَترتَه بلباسِ القناعة فأخرَجْتَ حبَّ الدُنيا من قلبه لم يُفتَضَح، ومَن حلّيْتَه بحلي الفضل والإنصاف سَمَا ولم يَجِد منك بَدلاً، واستحقَّ أن يكون في عصمتكَ، فاعصِمْني فإنِّي خائفٌ، وحُقَّ لِمَن طالَ إحسانُك إليه وتمرُّده، ونِعَمك ونُكرانه، وإمهالك واغتراره، أن يخاف، أستعيذُ بك يا إلهي فأَعذني، وأستجيرُ بك من النّار فأجِرني يا عِصمةَ الخائفين.

صلاة اللّيلة الثّالثة عشرة

١- حصّة هذه الليلة من الألف ركعة الموزَّعة على عشرين، هي عشرون ركعة تقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة و(قل هو الله أحد) مرّة، أو ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو عشراً، بالتّرتيب المتقدِّم.

ولا تنسَ الدُّعاء بعد كلِّ ركعتين ولو بالدُّعاء المختصَر، وقد سبق بيان ذلك بالتّفصيل في عمل أوّل ليلةٍ، ضمن أعمال اليوم الأوّل.

٢- عن رسول الله ﷺ:

«ومَن صلّى ليلة ثلاث عشرة من شهر رمضان أربع ركعات يقرأ في كل ركعة (فاتحة الكتاب) مرة وخمساً وعشرين مرة (قل هو الله أحد)، جاء يوم القيامة على الصِّراط كالبرق الخاطف»[1].

٣- قال الكفعميّ: **«ويُستحبُّ أن يصلِّي في كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ(الحمد) ".." و(التوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقول التّسبيحات الأربع سبعاً، ثمَّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمَّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ..»**[2].

صلاة اللّيالي البِيض

هذه اللّيلة القادمة هي الثّالثة عشر من شهر رمضان المبارك، فهي أوّل اللّيالي البِيض. ومن الواضح أنَّ للأيّام البِيض واللّيالي البيض أهمّيّة خاصّة.

والأعمال الخاصّة باللّيلة الثّالثة عشر كما يلي:

أولاً: الغسل وهو مستحبٌّ في كلّ ليلة مفردة من شهر رمضان المبارك.

ثانياً: صلاة أربع ركعات كلّ ركعتَين بتسليمة، نقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة و(قل هو

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٣٩/٨؛ والكفعمي، البلد الأمين: ١٧٦.
٢- الكفعمي، المصباح: ٥٦٣. الهامش.

الله أحد) خمساً وعشرين مرّة. إذاً الأمر الثّاني المُستحبّ في هذه اللّيلة بعد الغسل هو صلاة أربع ركعات نقرأ فيها (الحمد) مرّة و(قل هو الله أحد) خمساً وعشرين مرّة.

ثالثاً: صلاة تقدَّم الحديثُ عنها في اللّيالي البِيض من شهر رجب، وفي اللّيالي البيض من شهر شعبان، وهي مرويّة عن الإمام الصّادق عليه السلام، وخلاصة الرّواية- وقد تقدَّم ذكرُها- **أنّ الله عزَّ وجلَّ أعطى هذه الأمّة ثلاثة أشهر لم يُعطِ أمّةً من الأُمم مثلها هي رجب وشعبان وشهر رمضان المبارك، وأعطى هذه الأمّة ثلاث ليالي لم يعطِ أمّةً من الأُمم مثلها وهي اللّيالي البِيض من هذه الأشهر، وأعطى الله عزَّ وجلَّ هذه الأمّة ثلاث سُوَر لم يعطِ أمّة من الأمم مثلها هي سورة (يس) وسورة (تبارك) وسورة (قل هو الله أحد).**

يقول الإمام الصّادق عليه السلام: **فمَن جمع بين هذه الثّلاثة، فقد جُمع له خيرٌ كثير.** وعندما سُئل عليه السّلام: كيف يُجمع بين هذه الثّلاثات أوضح في الجواب: **تُصلّي كلّ ليلة من هذه اللّيالي البيض، في كلّ شهر من هذه الأشهر، صلاةً تقرأ فيها هذه السُّوَر الثلاث،** ثمّ بَيَّن ما حاصله:

تصلّي ليلة الثّالث عشر ركعتَين، وليلة الرابع عشر أربع ركعات، وليلة الخامس عشر ستّ ركعات، وتأتي الإشارة إلى هاتين الصّلاتين في اللّيلتين القادمتّين إن شاء الله تعالى.

صلاة هذه الليلة إذاً، عبارة عن ركعتين تقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة، وسورة (يس) وسورة (تبارك) وسورة (قل هو الله أحد)، كلّ سورة منها مرّة.

١٣

شهر رمضان

* وقتلاً في سبيلك
* فوق كلّ بِرّ
* الفصل الدّخيل
* هل الشّهادة أمنيتنا
* أذى المجاهدين!
* دعاء اليوم الثّالث عشر
* دعاء المُجير
* صلاة اللّيلة الرابعة عشر
* صلاة اللّيالي البِيض

وقتلاً في سبيلك

من المحاور التي وَرد التّأكيد عليها في مضامين أدعية شهر رمضان المبارك، محوَر القتل في سبيل الله عزَّ وجلَّ، أي أن يتمنّى المؤمنُ الشّهادة في سبيل الله، ويدعو الله سبحانه وتعالى طيلة هذا الشّهر المبارك أن يمنّ عليه بالشّهادة في سبيله.

يردّد الصّائم في كلّ ليلة عادةً «**وقتلاً في سبيلِك فوفِّق لنا**» باختلاف الصِّيَغ: «**وقتلاً في سبيلك مع وليك فوفِّق لنا**»، أو «**تحت رايةِ نبيِّك**» كما سيأتي في نصٍّ آخر.

وفي الدّعاء عن الإمام السّجّاد عليه السلام حول شهر رمضان المبارك «**وأن تَجعل اسمي في السّعداء، ورُوحي مع الشّهداء، وإحساني في علّيّين**».

وفي دعاءٍ مرويٍّ عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**وأسألُك أن تجعلَ وفاتي قتلاً في سبيلك تحتَ رايةِ نبيِّك مع أوليائك، وأسألُك أن تقتلَ بي أعداءَك وأعداءَ رسولِك**».

فوق كلِّ بِرّ

ونرجع إلى التّصوص حول الشّهادة والجهاد، فنجد أنّ موقع القتل في سبيل الله يحتلّ القمّة: «**فوق كلِّ برٍّ برّ حتّى يُقتَل المرءُ في سبيل الله، فإذا قُتل في سبيل الله عزَّ وجلَّ فليس فوقه برّ**» كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وتُظهر سيرة المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله بوضوح أنّ الذين تربُّوا على يديه والذين أصبحوا مَضربَ المثل في العبادة، والزُّهد، والوَرع، والتقوى، كان كلٌّ منهم يحنُّ إلى الشّهادة، ويعتبر أنّه لم يحصل على ما يريد لأنّه لم يُستشهد بعد.

تأمّل في حديث حارثة، الصّحابيّ الشّاب الذي كان بعد صلاة الصّبح يغفو ويفيق، وما دار بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وقوله فيه: «**هذا رجلٌ نوَّر اللهُ في قلبِه اليقين، يا حارثة الزَم ما أنت عليه**».

وماذا قال حارثة؟ ماذا طلبَ من المصطفى، وقد واتَتْهُ الفرصة؟ قال: «يا رسول الله، أُدعُ اللهَ تعالى لي بالشّهادة»!

وفعلاً بعد مدّة كانت غزوة، وخرج حارثة في مَن خَرج، وكان أحد الشّهداء رضوان الله تعالى عليه وعليهم.

لم يكتفِ حارثة بشهادة المصطفى صلى الله عليه وآله بأنّه من أهل اليقين، وإنّما أراد أن يتوِّج ما وصل إليه بتاج الشّهادة: القتل في سبيل الله تعالى، بل لأجل ذلك كانت شهادة المصطفى له.

الفصل الدّخيل

تُرى كيف تبدّلَت المفاهيم فإذا بنا أمام فهمٍ يفصل بين التّديُّن والشّهادة؟

كيف تبدّلَت المفاهيم فإذا بأتباع المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله، الّذي أمضى حياتَه الطّاهرة

ينتقل من خندقٍ إلى خندقٍ، ومن موقعٍ إلى موقعٍ، يتصوَّر الكثير منهم -من أتباعه- أنَّ بالإمكان أن يكون الشّخص مؤمناً دون أن يحمل هَمّ الجهاد، ودون أن يعيش بعمق حلم الشّهادة.

كيف أصبحنا أمام إسلامٍ منزوع الفتيل، لا يفكّر صاحبه بجهادٍ بل وأحياناً -والعياذ بالله- يُحارِب المجاهدين؟!

من أين جاءنا ذلك؟

إذا كنّا في أدعيتنا في شهر الله تعالى نؤكّد على طلب الشهادة «**وقتلاً في سبيلك فوفِّق لنا**»، فهل يمكن أن نتصوَّر عبادةً، وبناءً للنفس، أو ورعاً، وزهداً، بدون الحرص على قمّة الإيمان وتاج الإيمان أي الشّهادة؟

هل الشّهادة أمنِيَتنا

ما أحوَجنا إلى هذه الرّوح، روح طلب الشّهادة وحبّ الاستشهاد، رُوح «**وقتلاً في سبيلك**».

ما أحوَجنا إلى ذلك باستمرار، وما أحوَجنا إليه بشكلٍ خاصٍّ الآن، في هذه المرحلة بالذّات حيث يصرّ الشّيطان الأكبر على الهيمنة، وهو يتصرّف مع جميع الشّعوب على طريقة الأشقياء و«القبضايات» الّذين يفرضون «الخوّات» في هذا الموقف للسّيارات، أو في هذا الشّارع، أو ذاك.

أيّها الأعزّاء، إنّ محمّديّاً واحداً يحمل رُوح الجهاد والشّهادة، قادرٌ بعون الله تعالى على أن يذلّ أمريكا ويذلّ الكيان الصّهيونيّ.

المهمّ أن تبقى جذوة الجهاد فينا متّقِدة.

ما دمنا نحمل هذه الرّوح البدريّة الكربلائيّة، فإنّ المستقبل يحمل لنا كلّ خيرٍ، ولن يرى الأعداء منّا إلّا ما يسوؤهم بإذن الله.

بمقدار ما نحبّ الشّهادة في سبيله سبحانه وتقدّست أسماؤه، بمقدار ما يكون قربُنا منه، ونكون في درعه الحصينة الّتي يجعل فيها من يشاء.

أذى المجاهدين!

أيّها الأعزّاء، إنْ كنّا لا نجاهد في سبيل الله تعالى، فلنحذر أن نؤذي المجاهدين.

عن رسول الله ﷺ: «**من اغتاب غازياً أو آذاه أو خلفه بأهله بخلافة سوءٍ، نُصِب له يوم القيامة عَلَمٌ فيستفرغ بحسناته** (أي تُستوفى كلّ حسناته حتى لا تبقى له حسنة واحدة) **ويُركس في النّار**»[1].

١- أنظر: الكليني، الكافي: ٨/٥؛ المحدث النوري، مستدرك الوسائل: ٣٣/١١؛ والقطب الراوندي، النوادر: ١٤١-١٤٢. والمجلسي، البحار: ٥٠/٩٧ باختلاف في «فيستفرغ» وفي كثير منها «فيستغرق».

وعنه صلّى الله عليه وآله: «اِتّقوا أذى المجاهدين في سبيل الله، فإنَّ اللهَ يغضب لهم كما يغضب للرُّسل، ويستجيبُ لهم كما يستجيب لهم».

دعاء اليوم الثّالث عشر

أللّهمّ طهِّرني فيه من الدَّنس والأقذار، وصبِّرني فيه على كائنات الأقدار، ووَفِّقني فيه للتُّقى وصحبَةِ الأبرار، بِعونك يا قرّة عينِ المساكين.

إلهي خلَقتَني بشراً سويّاً طاهراً من الدَّنس، وحبّبتَ إليَّ الصراط المستقيم، ركّزْتَ في فطرتي حبّ أحسن تقويم، وهدَيتني إلى حبِّك وحبِّ الطاهرين محمّدٍ المصطفى وآله، فلم أقابل الحبَّ بالحبِّ، والنّعمةَ بالشّكرِ، وطالَت على الخطايا الإقامة، فشوّهتُ فطرتي ودنّستُ نفسي، وها أنا عبدُك الآبق أعود إليك منكسراً مستقيلاً، أحملُ أوزاري على ظهري فطهّرني يا إلهي من دنسها والأقذار، ومُنّ عليّ بصبرٍ من عندك أواجه به الشّدائد حتى لا يَستزلّني بها الشّيطان فأعود إلى التّمرُّد والعصيان، وأتْمِم نعمتك عليّ بتوفيقي للاستقامة وصحبة أوليائك الأبرار، مسكينٌ أنا يا إلهي بِما جَنَتْه يداي، فتصدّق على هذا المسكين بِعَونِك لتقرَّ عينُه. يا قرّة عين المساكين.

دعاء المُجير

يستحبُّ قراءة هذا الدّعاء في الأيّام البيض من شهر رمضان، وقد وَرد أنّ ثوابه عظيم، وأنّه لقضاء الحوائج، وظاهر النّصّ حوله أن يُقرأ في الأيّام البِيض الثلاثة، ولو مرّة واحدة، وبديهيّ أنّ مَن زاد فقد ربح، لا سيَّما من كانت له حاجة يُلحّ في قضائها.

قال المحدِّث القمّيّ عليه الرّحمة والرّضوان:

«وهو دعاءٌ رفيعُ الشأن مرويّ عن النّبيّ ﷺ، نزل به جبرئيل على النّبيّ ﷺ، وهو يصلّي في مقام إبراهيم، ذَكر الكفعمي هذا الدّعاء في كتابَيه (البلد الأمين)، و(المصباح)، وأشار في الهامش إلى ما لهُ من الفضل، ومن جملتها أنَّ مَن دعا به في الأيّام البيض من شهر رمضان، غُفرت ذنوبُه ولو كانت عدد قطر المطر، وورق الشّجر، ورمل البرّ، ويُجدي في شفاء المريض، وقضاء الدَّين، والغِنى من الفقر، ويفرِّج الغمّ، ويكشف الكرب، وهو هذا الدّعاء[1]: **سبحانك يا الله، تعاليتَ يا رحمن، أجِرْنا من النار يا مُجير..**»، وأَوْرد الدّعاء بتمامه.

وقد اقتصر الشّيخ الكفعمي في (البلد الأمين) على إيراد الدّعاء بعد أن قال: دعاء المجير وهو مرويٌّ عن النّبيّ ﷺ[2].

١- المحدّث القمي، مفاتيح الجنان: الدعاء الرابع بعد دعاء كميل.

٢- الكفعمي، البلد الأمين: ٣٦٢-٣٦٤.

أمّا في (المصباح) فقال:

هذا الدّعاء يُسمّى دعاء المجير، رفيع الشّأن عظيم المنزلة، وله نُسخٌ كثيرة أَكْمَلُها ما رقَمناه، ثمّ أورد ما نقله عنه المحدِّث ملخّصاً، إلى أن قال: وهو مكتوبٌ على حُجرات الجنّة، ومن حافظ على قراءته أمِن من كلّ آفة، وكان رفيقك (يا رسول الله. المتحدِّث جبرئيل عليه السلام) في الجنّة، وحُشر ووجهه كالقمر ليلة البدر. ومن صام ثلاثاً وقرأ[ه] سبعاً ونام على ظهره رآك في نومه، إلى قوله: وثواب قاريه لا يُحصى ".." ثمّ ذكر بعض آثاره وهي التي نقلها عنه المحدّث القمّي، إلى قوله: ومن ضاع له شيء، أو سُرِق فليصلِّ أربع ركعات يقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرة و(التوحيد) إحدى عشر مرّة، ثمّ يقرأ الدعاء ويضعه تحت رأسه فإنّه تعالى يردُّ عليه ما ذهب له، ولو قُرئ بإخلاص على ميِّت لعاش..»[١].

صلاة اللّيلة الرابعة عشرة

١- حصّة هذه اللّيلة من الصّلاة الأهمّ، الألف ركعة، هي عبارة عن عشرين ركعة، ثمانٍ منها بعد المغرب، واثنا عشرة ركعة بعد العشاء، تقرأ في كل ركعة (الحمد) مرة، و(التّوحيد) مرّة أو ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو عشراً.

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ومَن صلّى ليلة أربع عشرة من شهر رمضان ستّ ركعات يقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة و(إذا زلزلت) ثلاثين مرّة هوَّن اللهُ عليه سكرات الموت ومنكراً ونكيراً»[٢].

٣- قال الكفعميّ: «ويُستحبُّ أن يصلّي في كلّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ(الحمد) ".." و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: **سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو.** ثمّ يقول التّسبيحات الأربع سبعاً، ثمَّ يقول: **سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم.** ثمَّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ..»[٣].

صلاة اللّيالي البيض

لهذه اللّيلة صلاة خاصّة باعتبارها من اللّيالي البِيض، وهي عبارة عن أربع ركعات كلّ اثنتين بتسليمة، تقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة، وسورة (ياسين) مرّة، وسورة (تبارك) مرة، وسورة (قل هو الله أحد) مرّة.

١- الكفعمي، المصباح: ٢٦٨-٢٦٩، الهامش.
٢- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٩؛ والكفعمي، البلد الأمين: ١٧٦.
٣- الكفعمي، المصباح: ٥٦٣، الهامش.

١٤

شهر رمضان

* ولادة الإمام الحسن عليه السلام
* عشيّة استشهاد الأمير عليه السلام
* حراجة الظَّرف
* تجرُّع الغُصص
* ملامح من سيرته عليه السلام
* أجواء الشّهـادة
* دعاء اليوم الرّابع عشر
* أعمال اللّيلة الخامسة عشر

ولادة الإمام الحسن عليه السّلام

واسطةُ العقد من شهر رمضان المبارك ذكرى ولادة الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه، فإلى المولى صاحب العصر والزّمان أرواحنا فداه، نرفع آيات التّهاني.

والكريمُ المُستجارُ المُلتجا غيرُ محتاجٍ إلى بَسْطِ السُّؤال[1]

وحبُّ المولى أبي محمّد الإمام الحسن عليه السلام من الأمور الّتي أجمع عليها المسلمون، شأنُه في ذلك شأنُ أبيه وأمّه وأخيه، وأهل البيت جميعاً عليهم السلام، وقد صرّح بذلك القرآن الكريم ﴿..قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى..﴾ الشورى:٢٣.

كما طال تأكيدُ المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله على ذلك، بحيث إنّا عندما نستعرض سيرةَ رسول الله صلى الله عليه وآله، نجد أنّه كان قد وَضع ضمن أولويّاته التّأكيد على طاعة أهل البيت عليهم السلام، ووجوب حبّهم واتّباعهم والاقتداء بهم.

نجد في هذا المضمار تأكيداً مركّزاً جداً على أمير المؤمنين عليه السلام بخصوصه، وعلى الزّهراء عليها السلام بخصوصها، وعلى الحسنَين معاً وعلى كلٍّ منهما على حدة، إلى جانب التّأكيد على أهل البيت عامّةً ودون تحديد.

وبالإضافة إلى التّأكيد بالقول الّذي كان يصدر عنه صلى الله عليه وآله باستمرار، فطالما رأى المسلمون أعمالَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله التي تدلُّ على تكريم أهل البيت، والرّوايات كثيرةٌ جدّاً ومستفيضةٌ لدى المسلمين جميعاً حول تكريم رسول الله صلى الله عليه وآله للحسنين وحُنوِّه عليهما، بالإضافة إلى الوصيّة بهما والتّأكيد على عظيم منزلتهما عند الله تعالى.

من هنا كان من الطبيعيّ أن يُجمع المسلمون على أنَّ الإمام الحسن عليه السلام كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ، حتّى الّذين قد يبدو منهم تأييدٌ مَّا لمعاوية، فإنّهم لا يخالفون إجماعَ المسلمين حول شرعيّة خلافة الإمام الحسن المُجتبى عليه السلام، كما أنّ من الدِّين عند الجميع أن تكون علاقةُ المسلمين بالإمام الحسن عليه السلام علاقة حبٍّ ومودّة.

وُلد عليه السّلام في ليلة الخامس عشر من شهر رمضان في السّنة الثالثة للهجرة، وهناك رأي في أنّ ولادتَه كانت في السّنة الثّانية.

أمضى الإمامُ الحسن عليه السلام مع جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله حوالي سبع سنوات، ومع أمّه الزّهراء عليها السلام حوالي سبع سنوات وأشهر، وبَقِي بعد أمير المؤمنين عليه السلام في حدود عشر سنوات.

---

١ – من قصيدة للشيخ البهائي في مدح الإمام المهدي عليه السلام.

عشيّة استشهاد الأمير عليه السلام

تولّى الإمام الحسن عليه السلام خلافةَ رسول الله صلى الله عليه وآله في ظروفٍ بالغة التّعقيد، كانت المعركةُ الّتي دارت بين أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية قد حُسِمت لصالح معاوية منذ أن وَضعت حربُ صفّين أوزارَها، وكان الضّعفُ في معسكر أمير المؤمنين عليه السلام قد حَسَم المعركة سلفاً، ورغم أنّ المخلصين من جيش أبي الحسن عليه السلام كادوا يقتلون معاوية، ولكن في اللحّظات الأخيرة الحاسمة تدخّل الأشعث بن قيس وأضرابه من شيوخ العشائر في الكوفة، الّذين كانوا في الواقع من المنافقين إلى جانب أعدادٍ كبيرة من القرّاء الّذين صاروا هم الخوارج فيما بعد. تدخّل هؤلاء ليحسموا نتيجة المعركة بالطّريقة التي نعرف.

وَضعت الحربُ أوزارَها وكانت مسألة التّحكيم، ثمّ كان من خداع عمرو بن العاص والأشعث ما كان، وفيما كان أمير المؤمنين عليه السلام يستعدُّ لمعاودة الكرّة والقضاء على محاولات التّحريف للإسلام ومصدرها، تحرَّكت فتنة الخوارج ثمّ استُشهد أمير المؤمنين عليه السلام.

وبويع الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة في هذه الظُّروف المعقّدة.

وإذا أردنا أن نعرف الظُّروف السّياسيّة التي عاشها الإمام المجتبى عليه السلام، فيجب أن نَستحضر المحاولات الّتي كان يبذلها أمير المؤمنين عليه السلام لإصلاح الوضع داخل الكوفة، ثمّ اضطراره إلى السّكوت، والجهود المُضنية الّتي كان يضطرّ لبذلها عندما كان يريد استنفار أهل الكوفة للحرب.

من الواضحات الّتي أصبحت معروفة لدى الجميع، أنَّ الإمام عليّاً عليه السلام كان يصعد المنبر فيُحرِّض على الجهاد وبتحريضٍ من نوع (نهج البلاغة)، أو يكتب الخطبة فيلقيها أحدٌ عنه كما هو الحال في خطبة الجهاد التي ألقاها الشّهيد الكربلائيّ سعد مولى أمير المؤمنين عليه السلام، وبمجرّد أن ينزل عن المنبر، أو ينتهي الخطيبُ مما كَتب الأمير عليه السلام، يجدهم قد جلسوا حلقاتٍ حلقاتٍ، وكأنّهم لم يسمعوا الحثّ على الجهاد.

إذا استَنفرَهم عليه السّلام في الصّيف تذرّعوا بالحرّ، وإذا استَنفرَهم في الشّتاء تعلّلوا بالبرد، كما هو معروف.

لأهل الكوفة قال عليه السّلام: «**ملأتُم قلبي قَيحاً**»، ولأهل الكوفة قال عليه السّلام: «**أما والّذي نفسي بيدِه ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنّهم أوْلى بالحقّ منكم، ولكن لإسراعِهم إلى باطلِ صاحبهم وإبطائِكُم عن حقّي. ولقد أصبَحتِ الأممُ تخاف ظلمَ رُعاتِها، وأصبحتُ أخاف ظُلمَ رعيّتي. استنفرتُكم للجهاد فلم تَنفروا. وأسمعْتُكُم فلم تَسمعوا، ودعوتُكُم سرّاً وجهراً فلم تَستجيبوا، ونصحتُ لكم فلم تَقبلوا. أَشهودٌ كغُيّاب وعبيدٌ كأرباب؟ أتلو عليكم الحِكَم فتنفرون منها.**

وأعِظُكم بالموعظة البالغة فتتفرَّقون عنها. وأحثُّكُم على جهاد أهل البَغي فما آتي على آخر القول حتى أراكم متفرِّقين أيادي سبأ، ترجعون إلى مجالسكم وتتخادَعون عن مواعظكم. أُقَوِّمُكم غدوة وترجعون إليّ عشية كظهر «الحنية» عجز المقوِّم وأعضل المقوَّم، أيّها الشّاهدة أبدانهم، الغائبة عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم. صاحبُكم يطيع الله وأنتُم تعصونه. وصاحب أهل الشّام يعصي اللّهَ وهم يُطيعونه. لَودِدْتُ والله أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدّينار بالدّرهم، فأخذ منّي عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم. يا أهلَ الكوفة، مُنيتُ بكم بثلاثٍ واثنتين: صمٌّ ذوو أسماع، وبُكْمٌ ذوو كلام، وعُميٌ ذوو أبصار. لا أحرار صدقٍ عند اللّقاء، ولا إخوان ثقةٍ عند البلاء. تَرِبَتْ أيديكم. يا أشباه الإبل غاب عنها رُعاتهُا كلّما جمعت من جانب تفرّقت من جانبٍ آخر»[1].

طالما تمنّى عليه السّلام فراقَهم، موضحاً أنّه لولا حبّه للشّهادة لمضى عنهم وما طلبهم ما اختلف جنوب وشمال.[2]

كان أهل الكوفة قد ركنوا إلى الدّنيا وأصبح لا يحرّكهم إلّا المال، وقد عرف معاوية كيف يضرب على هذا الوتر، وكان أبو الحسن عليه السلام يعرف ذلك إلّا أنّه كان المخطّط المبدئي الّذي يحمل لواء التشريع الذي أرسى دعائمه رسولُ الله صلى الله عليه وآله.

وفي صفّين يقول الإمام عليه السّلام: **وقد دَخل في هذا المُعسكر طمع من معاوية**[3]، وكان هذا الطّمع موجوداً حتّى عندما كانوا في الكوفة، فكانت أموال معاوية مَهوى أفئدتهم، وقد ذكر عليه السّلام أسماءَ عددٍ ممّن وَصَفهم بأنّهم باعوا الآخرة بالدّنيا[4]، وكان داخل الكوفة عددٌ كبيرٌ من المُتظاهرين بالإسلام، إلّا أنّهم كانوا طليعةَ المنافقين، وفي الرّعيل الأوّل من هؤلاء يأتي الأشعث بن قيس الّذي عُرف عنه أنّه لا يرى شرّاً إلّا ويدخل فيه، كما وَصَفه أبو بكر بعد أن زوَّجه أخته أمّ فروة، وقد كان دور الأشعث بن قيس في صفّين مفصليّاً باتّجاه إفراغ الحرب من محتواها، وإتاحة الفرصة لمعاوية للقيام بمناورة ما عُرِفَ بالتّحكيم.

ذات مرّة أراد أميرُ المؤمنين عليه السلام أن يعزل الأشعث بن قيس من رئاسة «كِنْدة»، ونصّب بدلاً منه «حسّان بن مخدوج»، إلّا أنّ «كِنْدة» لم تطع الإمام واضطُرّ عليه السّلام أن يُعيد الأمر إلى ما كان[5].

١- الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة: ١/ ١٨٩. (عبده.ط: دار المعرفة، بيروت)
٢- المصدر: ١/ ٢٣٣.
٣- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ١/ ١٣٤ (تحقيق الشيري).
٤- المصدر.
٥- نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين: ص ١٣٧.

ما أريد بيانَه هو أنّ وضعَ الكوفة السّياسيّ كان في زمن أمير المؤمنين ﷺ غايةً في التّعقيد، وكانت شخصيّة الإمام عليّ ﷺ هي التي تفرض مساراً معيّناً يؤجّل إعلان الإنهيار.

فماذا سيواجه الإمام الحسن ﷺ بمجرّد تولّيه الخلافة؟

أليسَ من الطبيعيّ أنّ كلّ مراكز الثّقل السّياسيّ التي كان معاوية قد اشتراها، والّتي كانت قد ضاقت ذَرعاً بمبدئيّة عليٍّ أمير المؤمنين ﷺ، الّتي هي استمرارٌ لمبدئيّة المصطفى ﷺ -أليس من الطّبيعيّ- أن تتحرّك مراكز الثّقل السّياسيّ هذه لتثبيط النّاس عن الإمام الحسن ﷺ؟

من هنا قلتُ إنّ المعركة كانت قد حُسِمت في صفّين عند رفع المصاحف، وكانت شخصيّة أمير المؤمنين ﷺ تمنع من إعلان الإنهيار الكبير الّذي كاد أن يقع في صِفّين، حيث كادت النّتيجة تبلغ أن يرجع أمير المؤمنين ﷺ ومعه –ربّما- عددٌ قليل من النّاس يشكّلون مجموعة صغيرة، وفي المقابل «الأمّة» المُجمعة على الباطل أو معاوية، لا فرق.

أصبح غاية همّ الإمام أبي الحسن ﷺ أن يَحولَ دون ذلك ويُبقي خطّين ولو في الظّاهر. وكان صلوات الله عليه يَتحيَّن الفرصة لتغيير المعادلة، إلّا أنّه استُشهد قبل ذلك وتولّى الإمامُ الحسن ﷺ الخلافة.

ولا يمكن إطلاقاً فصلُ الأحداث بعد بَيْعة الإمام الحسن ﷺ عن مسارِها في زمن الأمير ﷺ، ومن المفيد جدّاً التّأمّل في النّصوص الّتي تتحدّث عن عشيّة استشهاد أبي الحسن صلوات الله عليهما، وسأكتفي هنا بأحَدِها.

أورَدَ الشّيخ الطّوسيّ في (أماليه)، الآتي:

«لمّا وجّه معاوية بن أبي سفيان، سفيان بن عوف الغامدي إلى الأنبار للغارة ".." استَنفر أميرُ المؤمنين ﷺ النّاسَ وقد كانوا تقاعدوا عنه، واجتمَعوا على خذلانه، وأمَر مُناديه في النّاس فاجتمعوا، فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسول الله ﷺ، ثمّ قال:

أمّا بعد، أيّها النّاس، فوالله لَأهلُ مصركم في الأمصار أكثر في العرب من الأنصار، وما كانوا يوم عاهدوا رسول الله ﷺ، أن يمنعوه ومَن معه من المهاجرين حتى يبلّغ رسالات الله إلّا قبيلتين صغيرٌ مولدهما، ما هما بأقدم العرب ميلاداً، ولا بأكثره عدداً، فلمّا آوَوْا رسول الله ﷺ، وأصحابَه، ونصروا الله ودينه، رَمَتهم العرب عن قوس واحدة، وتحالفت عليهم اليهودُ، وغزتهم القبائلُ قبيلة بعد قبيلة، فتجرّدوا للدّين، وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبائِل، وما بينهم وبين اليهود من العُهود، ونَصبوا لأهل نَجد وتهامة وأهل مكّة واليمامة وأهل الحَرَن وأهل السّهل قناة الدّين والصّبر تحت حماس

الجِلاد، حتّى دانت لرسول الله ﷺ العرب، فرأى فيهم قرّة العين قبل أن يقبضه اللهُ إليه، فأنتُم في النّاس أكثر من أولئك في أهل ذلك الزّمان من العرب. فقام إليه رجلٌ آدم طوال فقال: ما أنت كمحمّدٍ، ولا نحن كأولئك الّذين ذَكَرت، فلا تُكلِّفنا ما لا طاقة لنا به. **فقال أمير المؤمنين** عليه السلام: **أحسِنْ مسمعاً تُحسن إجابة، ثكلتكُم الثّواكلُ ما تزيدونني إلّا غمّاً، هل أخبرتُكم أنّي مثل محمّد ﷺ، وأنكم مثل أنصاره، وإنّما ضربتُ لكم مثلاً، وأنا أرجو أن تَأَسَّوْا بهم.** ثمّ قام رجل آخر فقال: ما أحوَج أمير المؤمنين ومَن معهُ إلى أصحابِ النّهروان! ثم تكلّم النّاس من كلّ ناحية ولَغطوا، فقام رجلٌ فقال بأعلى صوته: استَبان فقْدُ الأشتر على أهل العراق، لو كان حيّاً لقَلَّ اللّغط، ولَعَلِمَ كُلُّ امرئٍ ما يقول: **فقال لهم أمير المؤمنين صلوت الله عليه: هَبَلتكُم الهوابل، لأنا أوْجبُ عليكم حقّاً من الأشتر، وهل للأشتر عليكم من الحقّ إلّا حقّ المسلم على المسلم؟ وغضب، فنزل.** فقام حُجر بن عَدِيّ وسَعد بن قيس، فقالا: لا يسوؤك الله يا أمير المؤمنين، مُرْنا بأمرك نتّبعه، فوالله العظيم ما يعظُمُ جَزَعُنا على أموالنا أنْ تفرّق، ولا على عشائرنا أن تُقتل في طاعتك، **فقال لهم: تجهّزوا للسَّير إلى عدوّنا. ثمّ دخل منزله عليه السّلام، ودخل عليه وجوهُ أصحابه، فقال لهم: أشيروا عليّ برجل صليبٍ ناصح يَحشر النّاس من السّواد. فقال سعد بن قيس: عليك يا أمير المؤمنين بالنّاصح الأَريب الشُّجاع الصّليب معقل بن قيس التميمي، قال: نعم، ثمّ دعاه فوجَّهه وسار، ولم يَعُد حتّى أصيب أمير المؤمنين عليه السلام»**[1].

حراجةُ الظّرف

وإذا أردنا أن نجري قراءةً في الوضع السّياسيّ بعد شهادة الأمير، وحتّى لو صرفنا النّظر عن عصمة الإمام الحسن عليه السلام، لإثبات أنّ التّحليل الموضوعيّ يقودنا إلى فرادة موقفه عليه صلوات الرّحمن، فسنجد التّالي:

كانت الأعباء الّتي واجهت الإمام المجتبى عليه السلام بمستوى استحالة أن يتمّ انتزاع موقفٍ من «الأمّة» أفضل ممّا كان، ويسلّط ما تقدم الضّوء على بعض ملامح ذلك.

لم يكن من السّهل أبداً أن يستنفر الإمام الحسن عليه السلام جيشاً من الكوفة، الّتي كان يصعب جداً على أمير المؤمنين عليه السلام أن يستنفر جيشاً منها، من هنا فإنّ الإمام الحسن عليه السلام قد بذل جهداً جبّاراً وأثبت كفاءةً منقطعة النّظير، فلم يسمح بانهيار الوضع في الكوفة بمجرّد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، ومنع مراكز الثّقل السّياسيّ وهي فاعلة أن تفرض موقفها وتوجّه مسارَ الأمور في الكوفة، وإنّما واجه ذلك كلّه ووظّف

١- الشيخ الطوسي، الأمالي: ١٧٤-١٧٥.

أجواء التّعاطف مع شهادة المولى أبي الحسن عليه السلام، وسار باتّجاه المواجهة مع باطل معاوية وبقي مصرّاً على هذا الطّريق، رغم كلّ الإحباط الّذي رآه من حوله.

كان يرسل جيشاً بقيادة مَن يختاره من بين أفضل الموجودين، وبعد أيّامٍ يأتيه الخبر أنّه لحق بمعاوية، ويرسل الثّاني ويأتيه الخبر كذلك، ويرسل ابن عمّ أبيه عبيدالله بن العباس فيشتريه معاوية رغم أنّ أحد جلاوزة معاوية كان قد ذَبحَ طفلَي عبيدالله بن العباس الصّغيرين، وقد جرت بعض المحاولات لاغتياله عليه السلام، ويبدو –والله العالم– أنّ سوء العاقبة قد تسلّل إلى الدّائرة الخاصّة الّتي يفترض فيها أنّها عصيّة على معاوية.

هذه الظّروف هي الّتي ينبغي أن تُدرس جيداً عند مقاربة ما سُمّي صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، فلقد بقي عليه السلام مُصِرّاً على مواجهة الباطل إلى أن لم يَعُد ممكناً أن يواجَه هذا الباطل إلّا بالشّروط الّتي اشترطها سلام الله عليه على معاوية، لتحقيق أمرَين:

الأوّل: عدم إعطائه أيّ شائبة شرعيّة، ولو تلك النّاشئة من عدم وجود من يشترط عليه شيئاً.

الثّاني: تسجيل موقفٍ واضحٍ أمام النّاس في عصره والأجيال القادمة أنّ وصول معاوية إلى موقع الحاكم حالةٌ استثنائيّة فرضها تخاذل النّاس، وليس لمعاوية أن يعهد بالأمر إلى أحدٍ من بعده.

والحقيقة الصّراح هي أنّ الإمام الحسن عليه السلام لم يُصالِح معاوية، وإنّما كشَفَ استباحة حبّ الدّنيا للأمّة بقيادة الشّيطان ومعاوية.

والّذي سوَّغ له عدم اعتماد الخيار الاستشهاديّ، هو أنّ غمرات موجة الباطل كانت من الضّراوة إلى الحدّ الّذي تذهب فيه شهادة الإمام ومَن يَقف معه هدراً، دون أن تقوى على إحداثِ تغييرٍ في وجدان الأمّة المريض، والمندفع بضراوة في متاهات الانحراف.

وبكلمة: لقد سوَّغ له ذلك ما سوَّغ لأبيه –مِن قبلُ– أن يصبر، فيقول: «**فصبرْتُ وفي العينِ قذًى، وفي الحلق شجًى، أرى تراثي نهباً..**».

تجرُّع الغُصَص

سُئل الإمام الحسن عليه السلام ذات مرّة: «ما العقل؟ فقال عليه السّلام: **تجرُّع الغُصَص، ومداراة الرجال**»[1].

كانت كلّ الفترة الّتي أمضاها مع أبيه وبعده بالخصوص، مرحلة تجرُّع الغُصص، ولقد جرّبنا وتذوّقنا شيئاً من هذه الغُصص إثر القرار ٥٩٨ الصّادر عن الأمم المتحدة بإعلان وقف الحرب بين العراق وإيران، والّذي وصفه الإمام الخمينيّ بأنّه أشدّ من

١- الشيخ الصدوق، معاني الأخبار: ٣٦١.

تجرّع السّمّ -ولا قياس- ومن هنا يمكننا أن نقدّر أيّ غصصٍ تَجرّعها المولى الحبيب الإمام المُجتبى عليه السلام.

وتجدر الإشارة إلى أنّه وَرد في بعض الرّوايات أنّ سيرة الإمام الحسن عليه السلام رحمةٌ للأمّة، كما أنّ سيرة الإمام الحسين رحمة للأمّة، فالأمّة بحاجة إلى النّهج المحمّديّ الّذي يفرض الاقتداء حيناً بسيرة الإمام الحسن عليه السلام وحيناً آخر بسيرة الإمام الحسين عليه السلام، وتقع سيرتهما معاً عليهما صلوات الرّحمن في منهجٍ واحد، ولذلك صالح الإمامُ الحسين عندما صالح أخوه وسيِّدُه وإمامُه الإمام الحسن عليه السلام. وعندما طلب أهل الكوفة من الإمام الحسين عليه السلام في زمن معاوية أنْ يثور على معاوية رفَضَ عليه السلام، ولو أنّ الإمام الحسن عليه السلام كان موجوداً حين بويع يزيد، لَكان موقفه بالتّأكيد نفس موقف أبي عبد الله الإمام الحسين عليه السلام، إنّهما مشكاةٌ واحدة.

إنّ صلحَ الإمام الحسن عليه السلام كَجهادِ الإمام الحسين عليه السلام، وكربلاء الإمام الحسين عليه السلام كَصُلح الإمام الحسن من حيث الالتزام بما هو مصلحة الإسلام والمسيرة المؤمنة، ولعلّ الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، والّتي تقرن بين الحسنَين تريدنا أن نفهم ذلك بعمق **«ابنايَ هذان إمامان قاما أو قَعدا»**.

ملامح من سيرته عليه السلام

١- «ما بلغ أحدٌ من الشّرف بعد رسول الله ما بلغ الحسن، ولقد رأيتُه في طريق مكّة ماشياً فما مِن خَلْقِ الله أحدٌ رآه إلّا نزل ومشى، حتّى رأيتُ سعد بن أبي وقاص يمشي»[١].

٢- عُرف عنه عليه السّلام أنّه كان كثير المشي إلى بيت الله تعالى. **قال عليه السلام: «إنّي لأستحي من ربِّي أنْ ألقاه ولم أمْشِ إلى بيته»**، فمشى عشرين مرّة من المدينة إلى بيت الله، وفي روايةٍ أخرى: «ولقد حجّ الحسنُ بن علي خمسةً وعشرين حجة ماشياً وإنَّ النّجائب تُقاد معه»[٢].

٣- كان عليه السّلام إذا توضّأ ارتعدت مفاصله واصفرّ لونه، فقيل له في ذلك فقال: «حقٌّ على مَن وَقف بين يدي ربّ العرش أن يصفرّ لونُه وترتعد مفاصلُه»[٣].

٤- وكان عليه السّلام إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه وقال: **«إلهي ضَيْفك ببابِك. يا مُحسنُ قد أتاك المُسيء، فتجاوز عن قبيح ما عندي بِجَميلِ ما عندك يا كريم»**[٤].

٥- عن الإمام الصّادق عليه السلام: **«إنّ الحسن بن عليّ عليه السلام كان أعبد النّاس في زمانِه، وكان**

١- إبن شهراشوب، المناقب: ٤/ ٧.
٢- الإربلي، كشف الغمة: ٢/ ١٧٨.
٣- ابن شهراشوب، المناقب: ٣/ ١٨٠.
٤- المصدر؛ والنمازي، مستدرك سفينة البحار: ٢/ ٣٠٤.

إذا حجَّ حجَّ ماشياً وربّما مشى حافياً، وكان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث أو النّشور أو الممرّ على الصّراط بكى، ".." وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصُه بين يدي ربِّه عزَّ وجلَّ، وكان إذا ذَكرَ الجنّة أو النّار اضطربَ اضطرابَ السّليم، وسأل اللّهَ الجنّة، وتعوّذ به من النّار»[1].

٦- وإذا قَرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا﴾ قال: «لبَّيْكَ اللَّهُمَّ لبَّيْكَ»[2].

أجواء الشّهـادة

١- دخل عليه جُنادة ابن أبي أميّة في مرض شهادته فقال له: «يا ابن رسول الله عِظني: فقال عليه السّلام: «..استعدّ لِسفرك، وحصِّل زادك قبل حلول أجلِك، واعلم أنّك تطلب الدّنيا والموتُ يطلبك، ولا تحملْ همَّ يومك الّذي لم يأتِ على يومِك الّذي أنتَ فيه، واعلم أنّك لا تَكسب من المال شيئاً فوق قوْتك إلّا كنتَ فيه خازناً لغيرك. واعلم أنّ في حلالِها حساباً، وفي حرامِها عقاباً، وفي الشّبهات عتاباً، فأَنزِل الدّنيا بمنزلة المِيتة، خُذ منها ما يكفيك، فإنْ كان ذلك حلالاً كنتَ قد زهدْتَ فيها، وإنْ كان حراماً لم يكن فيه وِزر فأخذت كما أخذت من المِيتة، وإن كان العتاب فإنّ العتابَ يسيرٌ. واعمَل لِدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتِك كأنّك تموت غداً، وإذا أردْتَ عزّاً بلا عشيرة، وهَيبةً بلا سلطان، فاخرُج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عزَّ وجلَّ، وإذا نازعَتْكَ إلى صحبةِ الرّجال حاجةٌ فاصْحَب من إذا صَحبْتَه زانكَ، وإذا خدمْتَه صانك، وإذا أردْتَ منه معونةً أعانك، وإنْ قلتَ صدّق قولك، وإن صلْتَ شدَّ صَولك، وإن مددْتَ يدَك بفضلٍ مدَّها، وإن بدت عنك ثَلْمَةٌ سدّها، وإن رأى منك حَسنةً عدّها، وإن سألتْهُ أعطاك، وإن سكتّ عنه ابتداك، وإن نَزلت إحدى الملمَّات به ساءك[3]. مَن لا تأتيكَ منه البَوائق، ولا يَختلفُ عليك منه الطّرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسِماً آثَرَك. قال: ثمّ انقطع نفَسه واصفرّ لونه، حتّى خشيتُ عليه، ودخل الحسين عليه السلام والأسود بن أبي الأسود فانكبّ عليه حتى قبّل رأسه وبين عينيه، ثمّ قعد عنده فتسارّا جميعاً، فقال أبو الأسود: إنّا لله، إنّ الحسن قد نُعِيت إليه نفسُه. وقد أوْصى إلى الحسين عليه السلام وتوفّي يوم الخميس في آخر صفر سنة خمسين من الهجرة، وله سبعة وأربعون سنة ودُفن بالبقيع»[4].

١- أنظر: المجلسي، البحار: ٤٣/ ٣٣١؛ وابن فهد الحلي، عدة الداعي: ١٣٩.
٢- المجلسي، البحار: ٤٣/ ٣٣١.
٣- يمكن توجيه ما ذكر كما هو، ويحتمل كونه: وإن نزلت إحدى الملمات بك واساك.
٤- المجلسي، بحار الأنوار: ٤٤/ ١٤٠.

٢- وكان سبب مفارقة أبي محمّد الحسن عليه السلام دار الدُّنيا وانتقاله إلى دار الكرامة على ما وَرَدت به الأخبار، أنَّ معاوية بَذل لِجعدة بنت محمّد بن الأشعث زوجة أبي محمّد عليه السلام عشرة آلاف دينار وإقطاعاتٍ كثيرة من «شِعب سورا»، وسواد الكوفة، وحمل إليها سُمّاً فجَعلتْه في طعامٍ، فلمّا وَضَعَتْه بين يدَيه قال: إنّا للهِ وإنّا إليه راجعون، والحمدُ للهِ على لقاء محمَّد سيِّد المرسلين، وأبي سيِّد الوصيِّين، وأمّي سيّدة نساء العالمين، وعمّي جعفر الطّيّار في الجنّة، وحمزة سيّد الشّهداء صلوات الله عليهم أجمعين[1].

٣- ودخل عليه أخوه الحسين صلوات الله عليهما، فقال: كيف تَجِدُ نفسك؟ قال: أنا في آخِرِ يومٍ من الدّنيا وأوّل يوم من الآخرة، على كُرهٍ منّي لفراقك وفراق إخوتي. ثمّ قال: أستغفرُ الله، على محبّة منّي للقاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة وجعفر وحمزة عليهم السّلام. ثمّ أوصى إليه وسلّم إليه الاسم الأعظم، ومواريث الأنبياء عليهم السّلام التي كان أمير المؤمنين عليه السّلام سَلّمها إليه، ثمّ قال: يا أخي إذا [أنا] متّ فغسّلني وحنّطني وكفّني واحملني إلى جدّي صلّى الله عليه وآله حتّى تُلحدني إلى جانبه، فإنْ مُنِعْتَ من ذلك، فبِحَقِّ جدّك رسول الله، وأبيك أمير المؤمنين، وأمّك فاطمة الزّهراء، عليهم السّلام أن لا تخاصم أحداً، وارْدُدْ جنازتي من فَوْرِك إلى البقيع. ".." فلمّا فَرغ من شأنِه وحمَلَه ليَدفنهُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله، رَكب مروان بن الحكم طريدُ رسول الله صلى الله عليه وآله بَغلةً وأتى عائشة فقال لها: يا أمّ المؤمنين، إنّ الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن مع رسولِ الله صلى الله عليه وآله، والله إنْ دُفِن معه لَيَذهبنّ فخرُ أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة. قالت: فما أصنع يا مروان؟ قال: الحقي به وامنَعيه من أنْ يُدفَن معه. قالت: وكيف ألحقُه؟ قال: اركَبي بغلتي هذه. فنزل عن بغلتِه وركِبَتْها، وكانت تَؤزُّ النّاسَ وبني أميّة على الحسين عليه السلام وتُحَرّضهم على مَنعِه ممّا هَمَّ به. فلمّا قَربَت من قبرِ رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت قد وَصَلت جنازةُ الحسن، فرَمَت بنفسها عن البغلة، وقالت: والله لا يُدفَن الحسنُ ههنا أبدا أو تُجَرّ هذه -وأوْمَت بيدِها إلى شعرِها- فأراد بنو هاشم المجادلة فقال الحسين عليه السلام: أللهَ اللهَ لا تُضيِّعوا وصيّة أخي، واعدلوا به إلى البقيع، فإنّه أقسم عليّ إنْ أنا مُنِعتُ من دفنِه مع جدّه صلّى الله عليه وآله أن لا أخاصِم فيه أحداً وأنْ أدفنه بالبقيع ".." فعَدَلوا به ودَفَنوه بالبقيع ".." . فقام ابن عبّاس رضي الله عنه، وقال: يا حُمَيراء ليس يومنا منك بواحدٍ، يومٌ على الجمل ويومٌ على البغلة، أمَا كفاكِ أن يُقال «يوم الجمل» حتّى يُقال «يوم البغل» يومٌ على هذا ويومٌ على هذا، بارزة عن حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله تُريدين إطفاءَ نورِ الله، واللهُ متمٌّ نورَه ولو كَرِهَ المشركون، إنّا لله وإنّا

١- المصدر: ١٤٠.

إليه راجعون فقالت له: إليك عنّي وأُفٍّ لك ولِقَومك[1].

دعاء اليوم الرّابع عشر

أللّهُمَّ لا تؤاخِذْنِي فِيْهِ بِالعَثَراتِ، وَأَقِلْنِي فِيْهِ مِنَ الخَطايا وَالهَفَواتِ، وَلا تَجْعَلْنِي فِيْهِ غَرَضاً لِلْبَلايا وَالآفاتِ، بِعِزَّتِكَ يا عِزَّ المُسْلِمِينَ.

إلهي طالما تبْتُ إليك وأَنَبْتُ، وعُدْتُ في معصيتك وتَوَثّبْت، فلست أدري أقبِلْتَ توبتي لأُهنّأ، أم رَدَدْتَها عليّ لِجرأتي لأُعزّى.

وعزَّتِك وجلالِك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتَك، ولا عصيْتُك إذ عصيْتُك وأنا بِربو بيتِك جاحدٌ، وإنّما غَلَبَتني شقْوَتي، فلا تؤاخذني بعثراتي فإنِّي عبدُك الضّعيف، وأَقِلني من الهَفَوات، وأعِنّي على نفسي فلا أكون للبلاء غرضاً، فأسقط أمام سَوْرة الغريزة وصَوْلة النّفس الأمّارة بالسّوء، وسَطْوة الشّيطان. خُذ بيدي يا إلهي، واهدِني الصّراط المستقيم، صراط الطّاعة والعزّة، فللّهِ العزّةُ ولِرسوله والمؤمنين، اجعَلني منهم يا عزَّ المسلمين.

أعمال اللّيلة الخامسة عشرة

مستحبّات ليلة النّصف من شهر رمضان المبارك، كما يلي:

الأوّل: الغسل.

قال الشّيخ المفيد: «وفي ليلة النّصف منه يُستحبّ الغسل»[2].

قال الشّيخ الطّوسي: «وإن اغتَسَل ليالي الأفراد كلّها وخاصّة ليلة النّصف، كان له فيه فضلٌ كثير»[3].

وهو صريحٌ في خصوصيّة للغسل في هذه الليلة هي غير استحباب الغسل في ليالي الإفراد.

الثّاني: زيارة الإمام الحسين عليه السّلام.

قال السّيّد ابن طاوس: «**زيارة الحسين عليه السّلام في أوّل ليلةٍ من شهر رمضان، وليلة النّصف منه، وآخر ليلةٍ منه**»[4].

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «زُوروه صلّى الله عليه في كلِّ وقتٍ وفي كلِّ حينٍ، فإنَّ زيارته عليه السّلام خيرُ موضوعٍ، فمَن أكثَر منها فقد استَكْثَر من الخير، ومن قلَّل قُلِّل له، وتحرُّوا بزيارتكم الأوقات الشّريفة، فإنَّ الأعمال الصّالحة فيها مُضاعفةٌ، وهي أوقات

١- المصدر: ١٤٠-١٤١.
٢- الشيخ المفيد، مسار الشيعة: ٢٣.
٣- الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد٦٣٦.
٤- المصدر.

مَهبط الملائكة لزيارته. قال: فسئل عن زيارته في شهر رمضان؟ **فقال: مَن جاءَهُ عليه السّلام خاشعاً مُحتسباً مُستقيلاً مُستغفراً، فشهد قبره في إحدى ثلاث ليال من شهر رمضان: أوّل ليلةٍ من الشّهر، أو ليلة النّصف، أو آخِر ليلةٍ منه، تَساقَطَت عنه ذنوبُه وخطاياه الّتي اجتَرَحها، كما يَتساقط هشيمُ الورق بالرّيح العاصِف، حتّى أنّه يكون من ذنوبه كهيئةِ يوم ولَدَتْه أمُّه، وكان له مع ذلك من الأجر مثل أجر مَن حجَّ في عامه ذلك واعتمَر، ويُناديه مَلَكان يَسمعُ نداءهما كلُّ ذي رُوح إلّا الثّقلين من الجنِّ والإنسِ، يقول أحدُهما: يا عبدَ الله طَهُرْتَ فاستَأنِف العمل، ويقول الآخَر: يا عبد الله أحسنْت فأَبْشِرْ بمغفرةٍ من الله وفضلٍ»**[1].

ويُستحبُّ لِمَن زاره عليه السّلام ليلة النّصف من شهر رمضان أن يصلّي عشر ركعات ورد الحثُّ عليها، تُضاف إلى أعمال ليلة النّصف لِمَن كان في كربلاء.

«عن الإمام الصّادق عليه السّلام أنّه قيل له: فما تَرى لِمَن حَضَر قبرَه -يعني الحسين عليه السّلام- ليلة النّصف من شهر رمضان؟ فقال: بخٍ بخٍ، مَن صلّى عند قبره ليلة النّصف من شهر رمضان عشر ركعات مِن بعد العشاء مِن غيرِ صلاة اللّيل، يَقرأ في كلّ ركعة بـ(فاتحة الكتاب) و(قل هو الله أحد) عشر مرّات، واستَجار بالله من النّار، كَتَبه اللهُ عتيقاً من النّار، ولمْ يَمُت حتّى يرى في منامِه ملائكةً يبشّرونه بالجنّة وملائكةً يؤمِنونه من النّار»[2].

ومن الواضح أنّ مصبَّ الحديث هو الزّيارة من قُرب، ولكن لا يَصحّ أبداً تركُ الزّيارة من بُعد، كما تقدّم في أعمال أوّل ليلةٍ من شهر رمضان.

وأمّا زيارة الحسين في ليلة مَولد المجتبى، فهُم جميعاً عليهم السلام نورٌ واحد. وزيارة الأمير عليه السلام يوم المَبعث، أو زيارة الإمام الحسين ليلة مولد الإمام الحسن عليه السلام، لا تعني تفضيلاً، بل تعني خصوصيّة ترتبطُ باستمرار نورِ التّوحيد، واعتبار ولاية عليٍّ عليه السلام المحوَر في هذا الاستمرار، وكذلك هي شهادة سيِّد الشّهداء، الّذي أكّد إمامُ زمانه المُجتبى عليه السلام على تعلُّق القلوب بها، ويكفي قولُه عليه السّلام: **«..لا يومَ كيومِك يا أبا عبد الله..»**[3].

الثّالث: صلاة اللّيالي البيض، وهي في هذه اللّيلة، ستّ ركعاتٍ بـ(الحمد) و(يس) و(تبارك) و(التّوحيد)، كلّ ركعتَين بتسليمة، تقرأ في كلِّ ركعةٍ (الحمد) مرّة، و(يس) و(تبارك) و(التّوحيد) مرّة.

الرّابع: صلاة مائة ركعة هي غير الألف ركعة، وقد تقدّم الحديثُ عنها في عملِ

١- الإقبال: ٣/ ٤٦.

٢- الإقبال: ١/ ٢٩٤.

٣- الشيخ الصدوق، الأمالي: ١٧٧؛ وابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٣٨؛ والبحار: ٤٥/ ٢١٨.

أوّل ليلةٍ لدى التّفصيل في نوافل شهر رمضان. كلّ ركعتين بتسليمة، تقرأ في كلّ ركعة بعد الفاتحة التّوحيد عشر مرّات.

قال الشّيخ المفيد: «ويُستحبُّ أن يصلّي الإنسانُ في ليلة النّصف من شهر رمضان مائة ركعة زيادةً على الألف، **فقد رُوِيَ عن الصّادق عليه السّلام أنّه قال: قال مَن صلّى ليلة النّصف من شهر رمضان مائة ركعة، يقرأ في كلّ ركعة منها (فاتحة) الكتاب و(قل هو الله أحد) عشر مرّات، أهبطَ اللّهُ إليه من الملائكة عشرة، يَدْرَؤون عنه أعداءه من الجنّ والإنس، وأهبطَ إليه عند موتِه ثلاثين ملَكاً يؤمّنونه من النّار**»[1].

الخامس: صلاة أربع ركعات. عن أمير المؤمنين عليه السلام في الرّواية التي تضمّنت صلوات ليالي شهر رمضان، صلاة هذه المائة ركعة في ليلة النّصف، ثمّ تضيف إليها صلاة أربع ركعات، كما يلي:

«ومَن صلّى ليلة النّصف منه مائة ركعة، يقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة، وعشر مرّات (قُل هو الله أحد)، وصلّى أيضاً أربع ركعات يقرأ في الأُولتين مائة مرّة (قل هو الله أحد) والثّنتَين الأخيرتَين خمسين مرّة (قل هو الله أحد)، غَفَرَ اللّهُ له ذنوبَه ولو كانت مثل زبد البحر ورمل عالج»[2].

السّادس: حصّة هذه اللّيلة من الألف ركعة، وهي عشرون ركعة، ثمانٍ منها بعد المغرب، والباقي بعد العشاء، بالتّرتيب الّذي عَرَفت.

السّابع: الصّلاة الّتي يُؤتى بها كلّ ليلة وقد تقدّم أنّ سبب إيرادها -في عمل كلّ ليلة في هذا الكتاب- أن لا يُحرم مِن النّافلة مَن لا يساعده ظرفُه على أداء حصّة اللّيلة من الألف ركعة.

قال الكفعميّ: «**ويُستحبُّ أن يصلّي في كلّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ(الحمد) مرّة، و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقول التّسبيحات الأربع سبعاً، ثمّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللّهُ له سبعين ألف ذنبٍ**»[3].

* وأذكّر هنا بدعاء المجير، وقد تقدّمت الإشارةُ إلى أنّه يُستحبّ قراءته في الأيّام البِيض من شهر رمضان، وأنّ مَن قرأه في هذه الأيّام غُفِرت ذنوبُه مهما كانت، وأنّه نافعٌ لشفاءِ المريض، وقضاءِ الدّين والغنى، وتفريج الهمّ وكَشف الكرب.

١- المصدر: ١٧١.

٢- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٩؛ والكفعمي، البلد الأمين: ١٧٦.

٣- الكفعمي،المصباح: ٥٦٣. الهامش.

١٥

شهر رمضان

* شهر الإسلام
* معرفة حُرْمة الشّهر
* الصَّوم الحقيقيّ
*العمل الصّالح بإخلاص
* دعاء اليوم الخامس عشر
* دعاء المُجير
* صلاة اللّيلة السّادسة عشرة

شهر الإسلام

«الحمدُ للهِ الّذي هدانا لِحمدِه وجَعَلنا من أهله لنكون لإحسانه من الشّاكرين، ولِيَجزينا على ذلك جزاءَ المُحسنين، والحمدُ لله الّذي حَبانا بِدِينِه واختَصّنا بملّته وسبَّلنا في سُبُلِ إحسانه لنَسلكها بمنِّه ورضوانه، حمداً يَتقبَّله منَّا ويَرضى به عنّا».

للإمام السّجّاد عليه السلام عدّة أدعيةٍ حول شهر رمضان المبارك، اثنان منها مذكوران في الصّحيفة السّجاديّة تحت الرّقم الرابع والأربعين والخامس والأربعين، الأوّل منهما في استقبال الشّهر، والثّاني في وداعه، والفقرات الّتي تقدمت هي افتتاح الدّعاء الرابع والأربعين.

بعد هذه الفقرات يُبيّن الإمام السّجّاد عليه السلام أهمّيّة هذا الشّهر المبارك فيقول: «والحمدُ لله الّذي جعلَ من تلك السُّبُل شهره شهر رمضان، شهر الصّيام، وشهر الإسلام، وشهر الطّهور، وشهر التّمحيص، وشهر القيام الذي أُنزل فيه القرآن هدىً للنّاس وبيِّناتٍ من الهُدى والفُرقان».

ترى أين تكمن فضيلة شهر رمضان المبارك، هل السبب في فضيلته وأهميته الصوم فيه؟ أم أن عظمته تنبع من شيء آخر والصيام فيه من أجل تلك الفضيلة؟

يقول عليه السلام: «فأبان فضيلته على سائر الشُّهور بما جعل له من الحُرمات المفروضة والفضائل المشهورة، فحرّم فيه ما أحلّ في غيره إعظاماً، وحَجر فيه المَطاعمَ والمشاربَ إكراماً».

فالصّيامُ ليس إذاً سبب فضيلة هذا الشّهر المبارك، وإنّما كان الصّيام فيه لمكانته قبل الصّيام، وهذه المكانة سببُها نزول القرآن الكريم في هذا الشّهر المبارك كما صرّح بذلك بعض العلماء، وكما يُفهَم من اختيار الله تعالى لهذا الوَصف لِشَهره حيث قال عزّ اسمُه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ..﴾ البقرة:١٨٥.

وهكذا نفهم استطراداً -ولو في حدودنا- ما معنى أنّ شهر رمضان ربيعُ القرآن، ونفهم أهمّيّة الحثّ على تلاوة القرآن في هذا الشّهر فإنّه شهر القرآن الكريم، وليس عَجَباً أن يكون ثواب الآية الواحدة فيه ثواب ختمة من كتاب الله تعالى.

ما هي واجباتُنا في شهر الله تعالى كما يحدِّدها الإمام السّجّاد عليه السلام في هذا الدّعاء؟

معرفة حُرْمة الشّهر

الأوّل: يحثُّنا عليه صلوات الرّحمن على أنْ نعرف حُرمة شهر رمضان المبارك، وليس المُراد بذلك طبعاً هذه المعرفة العاديّة الّتي تُتاح لكلٍّ منّا، وإنّما المطلوب أن نعرف أهمّيّة هذا الشّهر وعظمته معرفةً لا تنفكّ عن الاهتمام به، وعن الحرص على استثمار كلّ أوقاته المباركة.

يقول عليه السلام: «أللّهمّ صلّ على محمّدٍ وآلِه وألهِمْنا معرفة فضلِه، وإجلال حُرْمتِه، والتّحفّظ ممّا حَظَرْت فيه».

إنّ مجرّد المعرفة لا يكفي، بل المطلوب أن تقود هذه المعرفة إلى العمل الّذي ينشأ بدوره من إجلال هذا الشّهر، ويتمثّل بالتّحفّظ فيه ممّا حَظَر اللهُ عزَّ وجلَّ علينا، ومَنَعنا منه.

ينبغي أن نشعر بوضوحٍ أنّ المعصية في هذا الشّهر أشدُّ خطورة من غيره من الشّهور، فلسنا في ضيافة الرّحمن تقدّست أسماؤه في وقتٍ كغيره، وليس الفارق بينه وبين غيره عادياً **«وجَعل له وقتاً بيِّناً لا يُجيز -جلَّ وعزَّ- أن يقدّم قبله، ولا يُقبل أن يؤخّر عنه، ثمّ فضَّل ليلةً واحدةً من لياليه على ليالي ألف شهر، وسمّاها ليلة القدر، تنزَّل الملائكةُ والرّوح فيها بإذن ربِّهم من كلِّ أمرٍ، سلامٌ دائمُ البركة إلى طلوع الفجر، على مَن يشاء مِن عباده بما أَحكَم من قضائه».**

أيُّها العزيز: لِنلقَنْ أنفسنا دائماً أهمّية هذا الشّهر، حتّى لا تُخرجنا العادةُ والإلفةُ من أجواء الاهتمام به.

في اليوم الأوّل والثّاني ربّما نشعر بدرجةٍ عاليةٍ من الاهتمام بشهر رمضان، إلّا أنّنا بتكرُّر أيّامه ولياليه ربّما نصبح نتعاطى معه باعتباره وقتاً من الوقت، وزمناً من الزّمن، شأنُه في ذلك شأنُ غيره من الشّهور.

وها نحن في اليوم الخامس عشر منه، فهل ما زلنا نَستشعر هَيْبته، ونرعى حُرْمته؟ إنَّ أمامنا مُتّسعاً للتّعويض، أو للاستزادة.

الصَّوم الحقيقيّ

يؤكّد الإمام السّجاد عليه السلام على أن يكون صَومنا صوماً حقيقيّاً:

«وأعنّا على صيامِه بِكفّ الجوارح عن معاصيك واستعمالِها فيه بما يُرضيك».

والكفُّ عن المعاصي مطلوبٌ وهو شرطٌ لقبولِ الصّوم، فمَن صام وعَصى الله تعالى وامتنع عن المفطرات واغتاب أو كذب، فإنّ صومَه في أفضل الحالات ليس من الدّرجة الأولى، وإن كان يُسقِط عنه واجبَ الصّوم، وفي رأيٍ وجيهٍ أنّه لا يُثاب على هذا الصّوم، وهو ما يُعبَّر عنه بعدم القبول.

فالمطلوبُ قبل كلِّ شيء، الكفّ عن المعاصي، إلّا أنّ ذلك ليس نهاية المطاف، بل المطلوب أيضاً أن ننتقل من الكفّ السّلبيّ إلى استعمال الجوارح إيجاباً بِما يُرضي الله تعالى.

من هنا لم يقتصر الإمام السّجاد عليه السلام على قوله: **وأعنّا على صَومه بكفِّ الجوارح عن معاصيك**، وإنّما أضاف: **واستعمالها فيه بِما يُرضيك.**

وكيف يتحقَّق ذلك؟

يُبيّن لنا عليه السّلام في الجواب على هذا السُّؤال ستّة واجباتٍ، ثمّ يحدّد لنا عنواناً عامّاً شاملاً لأبواب البِرّ.

أمّا الواجبات الستّة فهي:

١- حقّ لا نُصغي بأسماعنا إلى لَغْوٍ.

واللّغو كلّ ما فيه ضَرر أو ليس فيه نفع. فلا نُصغي بأسماعِنا إلى شيءٍ فيه ضررٌ، أو لا نفع فيه فيكون لغواً.

٢- ولا نُسرع بأبصارنا إلى لَهْوٍ.

والمُراد أن لا نَنظر إلى شيءٍ عبثيٍّ سواءً كان حراماً أو حلالاً، فإنّ لشهرِ الله تعالى حُرمته الّتي تَفرض صَرْف الوقت في ما ينفع كما سيأتي.

٣- وحقّ لا نبسط أيدينا إلى محظورٍ.

أي إلى ما نُهينا عنه.

٤- ولا نَخطو بأقدامنا إلى مَحجورٍ.

أي إلى ما مَنَعنا اللهُ عزَّ وجلَّ منه، وحَجَره علينا.

٥- وحقّ لا تَعِيَ بطونُنا إلّا ما أَحْلَلْتَ.

وهو تأكيدٌ على الدّقة خصوصاً في المأكل والمشرب، وقد تقدّم الحديث عن أهميّة البحث والتّدقيق في حلّيّة كلّ ما نتقلّب فيه في شهر رمضان المبارك.

٦- ولا تَنطق ألسنتُنا إلّا بما مثَّلتَ.

أي لا نقول إلّا الحقّ.

هكذا نجد أنفسنا أمام أمورٍ أساسيّة ينبغي أن يطولَ اهتمامُنا بها في شهر الله تعالى.

لا يمكن للصّائم أن يُطلقَ العنان لجوارحه فإنّ ذلك ينافي نيّة الصُّوم، بل ينافي الهدف منه ﴿**لعلّكم تتقون**﴾، بل بما أنّ النّيّة التي يلتزم الصّائم بمراعاتها لا ينبغي أن تنفصل في الحقيقة عن هذا الهدف، فهُما وجهان لحقيقةٍ واحدة.

والتّقوى وإن كان مصبُّها القلب «**تقوى القلوب**»، إلّا أنّ الجوارح تعبِّر عمّا في القلب وتَحكيه بأفصح لغةٍ، فتُثبت صحّة النّيّة أو عدمها.

لا بدَّ أن يصومَ السّمعُ في شهر الله تعالى، وصوم الأُذُن في عدم إصغائها للحرام، وأكثر من ذلك في عدم إصغائها للهو.

وصوم العين في اهتمامها بما يُقرِّب من الله عزَّ وجلَّ، فضلاً عن الاهتمام بترك النّظرة الحرام.

واللّسان، وما أدراك! وجراحاته أشدّ خطراً من جراحات السّنان.

ينبغي أن يكون الصائم حذِراً فلا يحرّك لسانه في ما يُسخط اللهَ عزَّ وجلَّ، بل أكثر من ذلك ينبغي أن يكون حَذِراً فلا يحرّكه إلّا بما يُدنيه من الله ويقرّبه منه تقدّست أسماؤه.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الفقرة مرويّة بصيغتَين: «**بما قلت**» و«**بما مثّلت**».

وبناءً على الأولى يكون المراد إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وقوله الحقّ**﴾.
وقد رُوي عن الإمام الحسين عليه السلام: **إنّا أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله والحقُّ فينا، وبالحقِّ تَنطق ألسنتُنا.**[1]
أمّا بناءً على الثّاني، فإنَّ حصرَ الإمام الحديث بما مثّل الله تعالى، يلتقي مع ما ورد الحثُّ عليه في الرّوايات من حَصْرِ الكلام بما يَعنينا، إذ يبدو أنّ مُراده عليه السلام، أن تكون الأمثال الواردة في القرآن الكريم محاور الحديث. ولكلٍّ من الصّيغتَين مُرجِّحاتها، والنّتيجة واحدة وهي تشكّل أساساً تربويّاً شديد الأهمّية، هو اجتناب تحريك اللّسان بالباطل، وتعويده على النّطق بالحقِّ، وما يعود على الإنسان بالنّفع في دنياه وآخرته.
ومن الواضح أنّ ذلك ثمرة عقيدةٍ صحيحةٍ، تُنتِج ثقافةً ومسلكيّةً سليمتَين.
ولليَدِ حصّتها من الصَّوم، فينبغي أن لا تمتدّ بأذًى، ولا بسائر ما يُسخط اللهَ عزَّ وجلَّ.
والقَدم كذلك له نصيبه من الصّوم، فكيف يكون الشخص صائماً ويمشي إلى مجلس حرام.
واللّقمة التي نأكل وتُمِدّ الجوارح بالقوّة، ألا يجب أن نهتمّ بمعرفة أنّها حلال، حتّى لا تَعي بطوننا إلّا ما أحلّ اللهُ عزَّ وجلَّ.
وقد تقدّم الحديث عن الصَّوم الحقيقيّ في بداية هذه الأعمال، فراجِع.
صحيحٌ أنّ هذه الأمور ينبغي الاهتمام بها في شهر الله تعالى وفي غيره من الشّهور، إلّا أنّها في هذا الشّهر العظيم، أشدُّ تأكيداً، لأنّنا في ضيافة الله تعالى بمعنى أنّه عزَّ وجلَّ رفَع درجة العناية بنا والرّعاية لنا، فجعلَ نومَنا عبادة، وأنفاسَنا تسبيحاً، وعملَنا مقبولاً، ودعاءَنا مستجاباً، فإذا واجهنا ذلك بقلّة الحياء منه والجرأة عليه تقدّست أسماؤه، فنحن كَمَن يأخذُ مالاً من أبيه ويعطيه أمامه لعدوِّه.
نعم إنّ استعمالَ جوارحنا -وهي نِعَمٌ منّ اللهُ علينا بها- في معصية الله تعالى، يعني وضْعها في تصرُّف الشّيطان في محضرِ الله عزَّ وجلَّ وضيافتِه، وفي ذلك من التّجرُّؤ عليه تقدّست أسماؤه ما لا يحتاج إلى بيان.

العمل الصّالح بإخلاص

وأمّا العنوان العامّ الّذي يحدِّده لنا الإمام السّجاد عليه السلام، فهو ما عبّر عنه بقوله:
«**ولا نتكلَّف إلّا ما يُدني من ثوابك، ولا نتعاطى إلّا الّذي يقي من عقابك، ثمّ خلِّص ذلك كلّه من رياء المرائين وسمعة المسمعين، لا نشرك فيه أحداً دونك، ولا نبتغي فيه مراداً سواك**».
إنّه عليه صلوات الرّحمن يُنبّهنا إلى أن نحصر كلّ عملٍ نعمله في شهر رمضان بالعمل

١ - - الريشهري (محمّد محمّدي)، أهل البيت في الكتاب والسنّة: ١٦٤.

الصّالح الّذي يقرّبنا من الله تعالى، وحيث إنّ النيّة السّيّئة تُفسد العمل الصّالح وتجعله عملاً سيئاً، فلا بدّ من التّنبّه إلى أنْ لا يغزو الرّياء قلوبَنا، فتفسد نوايانا ونقع في أسرِ حبّ السُّمعة، ونخرج بذلك من عبادة الحقّ تعالى إلى عبادة الناس.

إنّنا لدى استقبال هذا الشهر المبارك أمام ثلاثين يوماً «**أيّاماً معدودات**»، ونحن نعلم أنّها فرصةٌ إلهيّةٌ فريدةٌ ينتظرها أهلُها العارفون بأهمّيتها، المدركون لعظمتها، طيلة أحد عشر شهراً ويَحزنون لفراقها، فهل يصحّ لنا أن نبحث عن الوسيلة المسلّية الّتي نستعين بها على تمضية ساعات هذه الفرصة التي لا تفوَّت، فننشغل في شهر الله تعالى في مجالس السَّمر أو الألعاب العبثيّة؟

أوَليست هذه الأمور شراكاً يصطادنا بها عدوُّنا المبين، ليَحُول بيننا وبين خير الزّاد في خير الشّهور؟

إنَّ أمامَنا بعد شهر الله تعالى مُتّسعاً كبيراً لهذه الأمور إذا كانت حلالاً ولم يشُبْها الحرام، فلماذا نصرّ على تركِ ما لا يُعوَّض واستبداله بما هو أدنى، وبالإمكان تعويضه؟

إنَّ العاقل المصدِّق بما أخبر به الحبيب المصطفى ﷺ، هو من يفرّغ أيام شهر الله تعالى ولياليه لِما يُدني من ثواب الله تعالى عزَّ وجلَّ، ويؤجِّل كلَّ عملٍ يمكن تأجيلُه إلى ما بعد هذا الشّهر المبارك، لأنَّ له من الانشغال بِما يَقي من عقاب الله تعالى ما يَصرفه عن كلِّ شاغلٍ سواه.

نعم، إنَّ العاقل هو مَن يضع خطبة رسول الله ﷺ -وهذا الدعاء الرابع والأربعون من الصّحيفة السّجادية، هو كالشّرح لتلك الخطبة- أمام عينَي القلب، وفي واجهة الاهتمام، ويلتزم بها منهجاً عمليّاً فيُكثر من تلاوة كتاب الله تعالى، والصّلاة على النّبيّ وآله، والاستغفار، وطول السّجود، وإكرام اليتيم، وصلة الأرحام، وغير ذلك ممّا ورد الحثُّ عليه في الخطبة النّبويّة الشّريفة، يبتغي بذلك ما يُطهّره من الهفوات والآثام ويُقرِّبه من الله تعالى.

دعاء اليوم الخامس عشر

أَللَّهُمَّ ارْزُقْنِي فِيهِ طاعَةَ الخاشِعِينَ، وَاشْرَحْ فِيهِ صَدْرِي بِإِنابَةِ المُخْبِتِينَ، بِأَمانِكَ يا أَمانَ الخائِفِينَ.

يريد الدّعاء لكلٍّ منّا أن يقول: إلهي أذِقني حلاوةَ حبّك، هَب ليَ الخشوع لك، أزِل عن قلبي الأقفال، واشرحْ صدري لأتوجَّه بفطرتي إليك، أَعرف نفسي فأتواضع لك. وَيْحي إذا نظرتُ إلى الملائكة صفوفاً والأنبياء وقوفاً، فمِن عذابك غداً مَن يُخلِّصني، ومن أيدي الخُصماء من يَستنقِذني، عصيْتُ مَن ليس بأهلٍ أن يُعصى، عاهدتُ ربِّي مرّةً

بعد أخرى، فلم يَجِد عندي صدقاً ولا وفاءً، مَن غيرك يَجبر كَسري، ويُسكّن رَوْعتي، أدخلني في أمانك فقد فزِعتُ إليك من نفسي، يا أمان الخائفين.

دعاء المُجير

أذكّر هنا بدعاء المُجير الّذي تقدّمت الإشارةُ إلى استحباب قراءته في الأيّام البيض من شهر رمضان المبارك، وهو دعاءٌ مهمٌّ جداً لقضاء الحوائج.

صلاة اللّيلة السّادسة عشرة

١- حصّة هذه اللّيلة من الألف ركعة، هي عشرون، ثمان منها بين المغرب والعشاء، والباقي بعد العشاء بالتّرتيب المذكور في اللّيالي السّابقة.

٢- عن رسول الله ﷺ: «ومن صلّى ليلة ستّ عشرة من شهر رمضان اثنتَي عشرة ركعة، يقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة و(ألهاكم التكاثر) اثنتَي عشرة مرّة، خَرج من قبره وهو ريّان يُنادي بشهادة أن لا إله إلّا الله، حتّى يردَ القيامة فيُؤمر به إلى الجنّة بغير حساب»[١].

٣- قال الكفعميّ: «ويُستحبُّ أن يصلّي في كلّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ(الحمد) مرّة، و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقول التّسبيحات الأربع سبعاً، ثمّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ»[٢].

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٩؛ والكفعمي، البلد الأمين: ١٧٦. وفيه: «وهو ينادي بالشهادتين».

٢- الكفعمي، المصباح: ٥٦٣. الهامش.

١٦
شهر رمضان

* معركة بدر، يوم الفُرقان
* مِن صوَر الجهاد البدريّ
* بعضُ وفاءٍ لحمزة عمّ الرّسول ﷺ
*دعاء اليوم السّادس عشر
* صلاة اللّيلة السّابعة عشرة

معركة بدر، يوم الفرقان

هذه اللّيلة القادمة هي ذكرى وقعة بدر، أوّلِ معركة فاصلة بين الإسلام والكُفر، ويومها يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان كما في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وكلّ انتصارات الإسلام بعدها تتفرَّعُ عليها، وتستمدّ منها العزيمة الصّادقة، وتَستضيءُ بنورها.

كانت وقعةُ بدر في السّنة الثّانية للهجرة، وقد سُمّيت باسم المنطقة الّتي حَصَلت المواجهةُ فيها بين المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ، وبين قريش بكلِّ خُيَلائها وجَبَروتها، وهي منطقة تقع على بعد حوالي مائة وسبعين كيلو متراً عن المدينة باتّجاه مكّة، وتَبعد عن مكّة حوالي مائتين وثلاثين كيلو متراً.

وكانت هذه المنطقة في طريق قوافل قريش الّتي كانت تسيَّر بانتظام بين مكّة والشام، وهو ما يعني أنّها كانت ممرّاً حيويّاً بل واستراتيجيّاً لتجارة قريش، الّتي تشكّل عَصَب حياتها الاقتصاديّة، وبالتّالي السّياسيّة.

طيلة ثلاثة عشر عاماً من بعثة المصطفى ﷺ، بَذَل عُتاةُ مكّة كلّ ما أمكنهم لإطفاء نور الله تعالى، فلم يزدد الإسلامُ إلّا توهُّجاً.

صبر المسلمون على الأذى، وصَمدوا أمام التّحدّيات الّتي تُوِّجت بحصارِ الشّعب، والذي استمرّ أكثر من ثلاث سنوات.

ومن الواضح أنّ قريشاً كانت ماضية قُدماً في تصعيد خطواتها ضدّ الإسلام لِمنع انتشاره، بل وأوْغَلت في تنفيذ ذلك إلى حدِّ المحاولات المتكرِّرة لقتل رسول الله ﷺ، الأمر الّذي أدَّى إلى هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة، والثّانية إلى المدينة في ظروفٍ حتَّمت هجرةَ المصطفى ﷺ.

وقد واصلت قريش عدوانَها على الرّسول ﷺ والرّسالة حتّى بعد الهجرة، محاولة استغلال نفوذها وهيمنتها على العرب وعلاقاتها باليهود في المدينة، بالإضافة إلى محاولات الاغتيال المتكرِّرة التي خُطِّط لها في مكّة، واستهدفت رسول الله ﷺ، وهو في المدينة المنوَّرة.

لقد احتضنت المدينةُ الإسلامَ في ظروفٍ سياسيّةٍ بالغةِ التّعقيد، تتشابك في رَسمه عناصر أربعة: الصّراع القبليّ الحادّ بين الأوْس والخزرج، والحضور اليهوديّ الفاعل، وضغوط قريش على أهل المدينة بهدف مَنعِهم من التّحالف مع رسول الله ﷺ، وسرعان ما بَرَزت محاولاتُ التّصارى لاختراق الجبهة الدّاخليّة للمدينة، عبر أبي عامر الرّاهب، ومسجد الضّرار.

وقد حرصَت قريش على زرعِ العقبات في طريق بناء نواة الكيان السّياسيّ الإسلاميّ، من خلال توظيف ثقلها السّياسيّ في المدينة لِتَأليب الأطراف على رسول الله ﷺ.

كان ذلك يعني أنَّ المعركة مستمرّة بين الإسلام وقريش، ولو بصيغة «الحرب الباردة»،

وكان استمرار قريش في الإفادة من ممرِّها الحيويّ على مقربة من المدينة المنوَّرة، يتيحُ لها مواصلة تآمرها من موقع المُتمكِّن من زمام الأمور في شبه الجزيرة، كما كان حرمانُها من هذا الممرّ الحيويّ الآمن يُشكِّل أوَّل ردٍّ جذريٍّ على مسيرتها العدوانيّة الحافلة، والتي أخذَت منحًى تصاعديّاً منذ إعلان الدّعوة، ولم تكن المدينة بِمَنطقِ موازين القوى عقبةً أمام جبروت قريش، الأمر الّذي يعني بجلاء أنّ غَزو المدينة كان الخيار المُتعيِّن في حال فشل الأساليب الأخرى السّياسيّة والأمنيّة.

في هذا السّياق جاء تصدِّي المسلمين بقيادة المصطفى لجبروت قريش، عبر استهداف قافلتها الّتي كانت قادمة من الشّام بقيادة أبي سفيان، ردّاً على هذا العدوان المستمرّ بما يُسهم في إضعافه ويفرض معادلة جديدة تُمكِّن الدّعوة من شقِّ طريقها بالكلمة والموعظة الحسنة، والتّأسيس لحماية ذلك بالقوّة حين تدعو الحاجة.

وقد تطوَّر الموقفُ بسرعة متوقَّعة لأنّ «أمّ القرى»، مركز الثّقل السّياسيّ والعسكريّ في الجزيرة العربية آنذاك، لم تكن تتحمّل قيام كيانٍ سياسيٍّ بقيادة «محمّد والصُّباة معه».

قرَأَت قريش الموقفَ بأبعاده، واستنفَرَت كلَّ طاقتها الهجوميّة –دون حلفائها– وخَرَج كلُّ عُتاتِها، ماعدا أبا لهب الّذي مات بالطّاعون بعد بدر بفترة وجيزة، لشنِّ هجومٍ أرادته حاسماً ونهائيّاً.

وفي المقابل لم يخرج رسول الله ﷺ بكلِّ ثقله العسكريّ. كأنَّ الله تعالى أراد استدراجَ كلّ قريش ليقتلها بصفوةٍ مختارةٍ، هي مَن شَهد المعركة وكَشفَت مواقفُه يقينَه، وشارك فيها. وكأنّ الله تعالى أراد أن تكون المعركة الأولى بين الإسلام والكفر غير متكافئة ماديّاً.

من صوَر الجهاد البدريّ

أذكر هنا بعض الصُّوَر من جهاد المسلمين في بدر:

١- جاء في (تاريخ الخميس): «ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ وهو يَثِب في الدّرع، وهو يقول: **سيُهزم الجمعُ ويولّون الأدبار**، فحرّضهم وقال: **والّذي نفسُ محمّدٍ بيدِه، لا يُقاتلهم اليوم رجلٌ فيُقتل صابراً محتسباً مُقبِلاً غير مدبرٍ إلّا أدخلَه اللهُ الجنّة**، فقال أحدُ المسلمين وهو عمير بن الحمام، وكان في يده تمرات يأكلهم قال: بخٍ بخٍ (أي هنيئاً هنيئاً) فما بيني وبين أنْ أدخلَ الجنّة إلّا أنْ يقتلني هؤلاء، فقَذَف التّمرات من يدِه، وأخذَ سيفَه وأقبلَ يقاتل القوم وهو يقول:

ركضـاً إلى اللهِ بغير زادِ ... إلّا التُّقـى وعمل المعاد
والصّبر في الله على الجهاد ... وكلّ زادٍ عُرضة النّفـاد
غير التّقى والبِرّ والرّشادِ[1]

١- لم يحضرني تاريخ الخميس عند تدوين الهوامش. انظر: السيوطي، تنوير الحوالك: ٣٩٨؛ وابن الأثير، أسد الغابة: ١٤٣/٤.

٢- **قال رسول الله** ﷺ: **قوموا إلى جنّةٍ عرضها السّماوات والأرض**، فقال عون بن الحارث: يا رسول الله ماذا يُضحك الرّبّ مِن عبدِه؟ (ما الّذي يفرح الرَّبّ مِن عبدِه) قال المصطفى الحبيب ﷺ: **غمسُهُ يده في العدوّ حاسراً** (أي بدون درع) فنزع درعاً كانت عليه فقذفها، ثمّ أخذ سيفه فقاتل القومَ حتّى قُتِل.

٣- «**أخذ صلّى الله عليه وآله حفنةً من الحصاء فاستقبل بها قريش، ثمّ قال**: **شاهتِ الوجوه، ثمّ نَفَحَهُم بها، ثمّ أمر أصحابَه فقال**: **شدّوا، فكانت الهزيمة**، وجعل اللهُ تلك الحصاء عظيمٌ شأنها، لم تترك من المشركين رجلاً إلّا ملأت عينَيه، واستولى عليهم المسلمون ومعهم الله والملائكة يقتلونَهم ويأسرونَهم»[١].

٤- سمع بعض المسلمين صوتاً يقول: «أُشْدُدْ حَيْزوم». وكان القائل من الملائكة. وقيل إنّ «حَيْزوم» اسم فرس جبرئيل عليه السلام.

وكان المسلمون يعرفون قتلى الملائكة من الضّرب فوق الأعناق ومن ضرب الأصابع، وكانت ضربات الملائكة تترك آثاراً سُوداً[٢].

٥- رأى بلال الحبشيّ هذا العبد المستضعف بالأمس في مكّة، أحدَ عُتاة قريش «أمية بن خلف» فحمل عليه بلال وقال: رأسُ الكفر لا نجوتُ إن نجا، ثمّ صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر، أميّة بن خلَف، لا نجوتُ إنْ نجا، وهجم المسلمون عليه وعلى ابنه، يقول التّصّ: وهَبروهما بأسيافهم[٣].

وكما في كلِّ وقعةٍ من وقعات صدر الإسلام، كان للمولى الحبيب أبي الحسن عليه السلام دورُه البارز في الالتزام بأوامر المصطفى ﷺ والدّفاع عن الرّسالة، ولقد قَتَل من المشركين النّصف، وقتَل الملائكةُ والمسلمون النّصف الآخر، وأقلّ عدد لِمَن قَتَلهم عليه السلام هو الثُّلث على رأيٍ، ولَئن أُتيح له عليه السلام أنْ يشارك في حروب كثيرة بعد ذلك، إلّا أنّه لم يُتَح لحمزة أسدُ الله وأسدُ رسوله أن يعيش طويلاً.

بعضُ وفاءٍ لحمزة عمّ الرسول ﷺ

من هنا، فإنّ من الضّروريّ أن نتأمّل في الدّور الجهاديّ الذي خاضه المولى الجليل حمزة رضوان الله تعالى عليه.

وممّا وَرَد حوله رضوان الله تعالى عليه: «..كان حمزة عليه السلام قد رضع مع رسول الله ﷺ، أرضعتهما امرأةٌ من مكّة (يقال لها: ثويبة)، وهاجر حمزة مع رسول الله ﷺ إلى المدينة وشهد بدراً. ولمّا أن توافقوا للقتال يومئذٍ، بَرز من المشركين عُتبة وشيبة ابنا ربيعة،

١- الشيخ المفيد، الإرشاد: ١/ ١٦؛ والمجلسي، البحار: ١٨/ ٧٢.
٢- المجلسي، البحار: ١٩/ ٢٥٦ - ٢٦٤ - ٣٤٣.
٣- ابن هشام، السيرة النبوية: ٢/ ٤٦١.

والوليد بن عتبة، ودَعوا للمبارزة، فبرَز إليهم عليٌ ﷺ، وحمزة عمّ رسول الله ﷺ، وعُبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب، وقد كان يومئذٍ شيخاً مُسنّاً، خرج إلى المبارزة يتوكّأ على عصاه، ولمّا أن تبارزا يومئذٍ أنزل اللهُ عزَّ وجلَّ فيهم ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ..﴾ الحج:١٩. فبارز عليٌ ﷺ الوليد بن عتبة فقَتَله، وبارز حمزة شيبة فقَتَله.

وبارَز عُبيدة بن الحارث عُتبة، فاختلف بينهما ضربتان أثبت كُلُّ واحدٍ منهما صاحبَه، فعطف حمزة ﷺ وعليٌ ﷺ على عتبة، فقتلاه، واستَنقذا عُبيدة بن الحارث، وقد قَطع عُتبة رِجلَه، فماتَ من ذلك بعد منصرفِهم إلى المدينة بالصّفراء. وقَتل حمزةُ يومئذٍ طعيمة بن عديّ، وسبأ الخزاعيّ، وجماعة من المُشركين، وكان حمزة يُدعى أسدُ الله وأسدُ رسوله، لِنجدتِه وشجاعتِه وإقدامِه، وشَهد يومَ أُحُد، فأبلى من المشركين بلاءً شديداً، وقَتَل منهم عدداً كثيراً، وقَتَلَ يومئذٍ عثمان بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين. وكان إذا هَجم يومئذٍ انفرجوا، ولم يَقُم أحدٌ منهم له»[1].

أللّهمّ وفّقنا لنكونَ بدريّين، ونستمرّ في خطّ مواجهة أعدائِك وأعداءِ رسولك، أعداء الإنسانيّة جميعاً.

دعاء اليوم السّادس عشر

أَللَّهُمَّ وَفِّقْنِي فِيهِ لِمُوافَقَةِ الأَبْرارِ، وَجَنِّبْنِي فِيهِ مُرافَقَةَ الأَشْرارِ، وَآوِنِي فِيهِ بِرَحْمَتِكَ إِلى دارِ القَرارِ، بِإِلٰهِيَّتِكَ يا إِلٰهَ العالَمِينَ.

يا إلهي، طالما وافَقَت سيرتي سيرةَ الأشرار، وإن كان ظاهري ظاهرَ الأبرار، فهل إلى مغادرة هذا النّفاق من سبيل؟!

يا قديمَ الإحسان، مننتَ عليّ فعرّفتني أنّ العِبرةَ بالسّرائر، فهل تتمّ نعمتَك عليَّ فتأخذ بيدي ليُطابق باطني باطنَ الأبرار، فأجانب زُمرة الأشرار؟!

أنا يا إلهي الهائمُ على وجهه، الهاربُ من نفسه، ومَن لي غيرُك أسألُه كشفَ ضرّي والنّظر في أمري، هَبني لابتداءِ كرمِك وسالفِ برّك بي، بإلهيّتك يا إلهَ العالمين.

* استحبابُ الغسل

تقدّم أنّ الغسل مُستحبّ في كلّ ليلةٍ فرد، ولكنّ للغسل في اللّيلة السّابعة عشر خصوصيّة يدلُّ عليها ذكرُ استحبابه بشكلٍ خاصٍّ على غرار اللّيلة الخامسة عشر.

قال الشّيخ الطوسي: «وقد بيّنا ليالي الغسل وهي أربع ليال : ليلة سبع عشرة (ثمّ ذَكر ليالي القدر، إلى أن قال): وإن اغتسل ليالي الأفراد كلّها وخاصّة ليلة النّصف، كان له فيه فضل كثير»[2].

١- القاضي النعمان، شرح الأخبار: ٣/ ٢٢٧.

٢- الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد: ٦٣٦.

وقال الشّيخ المفيد: «وفي ليلة سبعة عشر منه كانت ليلة بدر، وهي ليلة الفرقان، ليلة مَسَرَّة لأهل الإسلام. ويستحبُّ فيها الغسل كما ذكرنا في أوّل ليلةٍ من شهر رمضان»[١].

صلاة اللّيلة السّابعة عشرة

١- حصّة هذه اللّيلة من الألف ركعة، وهي عبارة عن عشرين ركعة، ثمان منها بعد المغرب والباقي بعد العشاء، تقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة و(قل هو الله أحد) مرّة، أو ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو عشراً.

٢- عن رسول الله ﷺ: **ومَن صلّى ليلة سبع عشرة منه ركعتَين، يقرأ في الأولى ما تيسّر بعد (فاتحة الكتاب)، وفي الثّانية مائة مرّة (قل هو الله أحد)، وقال: (لا إلٰه إلّا الله) مائة مرّة، أعطاه الله ثواب ألف حجَّة، وألف عمرة، وألف غزوة.**

٣- قال الكفعميّ: «**ويُستحبُّ أن يصلّي في كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ(الحمد) مرّة، و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقول التّسبيحات الأربع سبعاً، ثمَّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمَّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ**»[٢].

١- الشيخ المفيد، مسارّ الشيعة: ٢٤.

٢- الكفعمي، المصباح: ٥٦٣. الهامش.

١٧

شهر رمضان

* الصّلاة أوّل وقتها
* آداب الصّلاة
* صلة الرّحم
* الجيران
* تخليص المال من التّبعات
* تطهير القلب من العداوات
* موقع العبادة في حركة الحياة
* دعاء اليوم السّابع عشر
* صلاة اللّيلة الثامنة عشرة

الصّلاة أوّل وقتها

قبل الحديث عن ليلة بدر، تقدّم الحديثُ حول جانبٍ من الدّعاء الرّابع والأربعين من الصّحيفة السّجاديّة، هذا الدّعاء هو كما تقدّمت الإشارة أحد أدعية الإمام السّجاد عليه السلام حول شهر رمضان المبارك، إلّا أنّ هذا الدّعاء يمتاز بأنّه رديف لخطبة المصطفى صلى الله عليه وآله حول هذا الشّهر الكريم.

يقول عليه صلوات الرّحمن:

أللّهُمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآله وقِفْنا فيه على مواقيت الصّلوات الخمس بحدودها التي حدّدْتَ، وفروضِها الّتي فرضْتَ، ووظائفها التي وظّفتَ، وأوقاتها التي وقّتَّ، وأنزِلْنا فيها منزلة المُصيبين لِمنازِلِها الحافِظين لأركانِها، المؤدّين لها في أوقاتها على ما سَنَّه عبدُك ورسولُك صلواتك عليه وآله في ركوعِها وسُجودِها وجميع فواضلها، على أتمَّ الطّهور وأسبغه، وأبْيَن الخُشوع وأبلغه.

وقد سبقت الوقفة عند فقرةٍ من خطبة المصطفى صلى الله عليه وآله حول شهر رمضان، يؤكّد فيها على أهميّة أوقات الصّلاة في هذا الشّهر الكريم، وأنّها خير الأوقات.

وتمسُّ الحاجةُ إلى تذكير النّفس بذلك كثيراً خلال الشّهر العظيم، فربّما تُخرِجنا العادة من التّعامل الخاصّ مع شهر رمضان المبارك في بداية الصّوم.

في بداية الصّوم يشعرُ الصّائمُ بهَيبةٍ خاصّةٍ لشهر رمضان بل وبرَهبة، فيُولي أوّل أوقات الصّلاة أهميّةً ملحوظة، ويَحرص على التّعقيب والدّعاء عموماً وقراءة القرآن، إلّا أنّه قد ينسى ويتراجع إلى حيث لا ينبغي.

من هنا كان مفيداً لنا أن نتذكّر دائماً أنّنا ما زلنا في شهرٍ عظيمٍ وهو خيرُ الشُّهور.

من الضّروري أن نتذكّر أنّ المحافظة على الصّلاة في أوّل وقتها في شهر رمضان المبارك قد تكون مفتاحاً إلهيّاً للمحافظة على الصّلاة في أوّل وقتها باستمرار، ومعنى ذلك أنّ هذه المحافظة قد تكون المفتاح لإعادةِ بناءِ الشّخصيّة بما ينسجمُ مع الدّين، حيث أنّ الصّلاة عموده.

ومن بين كلّ هذه الخصوصيّات المهمّة، يحظى التّأكيد أوّل الوقت بعنايةٍ خاصّةٍ منه عليه السّلام، فقد تكرّر الحثُّ على الصّلاة في وقتها في هذا النّصّ ثلاث مرّات.

١- وقِفْنا فيه على مواقيت الصّلوات الخمس. ٢- وأوقاتها الّتي وقّتّ. ٣- المؤدّين لها في أوقاتها.

وممّا يُرادُ لنا أن نفهمه من هذه العناية بأوّل الوقت، أنّ هذا الوقت هو الظّرف الأفضل لكلِّ صلاةٍ، بمعنى أنّ الصّلاة بسائر حدودِها خارج أوّل الوقت، ليست هي الّتي تنسجمُ مع ما ورد الحثُّ عليه والتّرغيبُ به.

ومن هنا، يتعيَّن أن يكون الحرص على حدود الصّلاة وأركانِها ووظائفِها وفواضِلها مُقترناً بالاهتمام بأدائها أوّل وقتها.

أذكّرُ نفسي والإخوة جميعاً بما تقدَّم في آخر أعمال شهر شعبان حول خطبة رسول الله ﷺ، من مراقبة أمير المؤمنين ﷺ في ساحة المعركة في صفِّين للشّمس ليُصلّي عند زوالها، وما قاله له ابن عباس وجواب الأمير عليه صلوات الرّحمن: **على ما نُقاتِلُهم؟** أي إنّما نقاتلهم من أجل الدِّين، والصّلاةُ عمود الدِّين، فنحن نقاتلهم من أجل الصَّلاة.

عندما ننشغل بأعمالنا -حتّى إذا كانت أعمالاً إسلاميّة- فتؤخِّرنا عن الصّلاة، أليس ذلك خطأً ينبغي الحذر منه؟

عندما لا تُقام الصّلاة في أوّل الوقت في مؤسّسة إسلاميّة، إذاعة، أو مدرسة، أو في هذا المركز، أو المكتب، أو ذاك، تُرى هل نسأل أنفسنا لماذا أُقيمت هذه المؤسّسات وهذه المكاتب؟

ألم تُقم من أجل حفظ الصّلاة؟

أيّها العزيز: ينبغي أن لا يمنعنا شيءٌ عن الصّلاة أوّل وقتها.

أللّهمّ أعنّا على أنفسنا ووفِّقنا لانتظار الصّلاة بفارغ الصّبر، كما كان ينتظرها رسولُك ﷺ قائلاً: **«أرِحنا يا بلال».**

آداب الصّلاة

وفي مجال كيفيّة الصّلاة، يُبيِّن عليه السّلام أن تكون **«على ما سَنَّه عبدُك ورسولُك صلواتك عليه وآله في ركوعِها وسُجودِها وجميع فواضِلها على أتمِّ الطّهور وأسبغِه وأبْيَن الخشوعِ وأبلَغِه».**

ما المانع أن نجرّب الصّلاة أحياناً مع سائر المستحبّات، بدءاً من مستحبّات الوضوء وانتهاءً بالتّعقيبات بعد الصّلاة؟

أوَليسَ من الطّبيعيّ أن يكون شهرُ الله تعالى موسماً لصلاةٍ من نوعٍ آخَر؟ أوَيُعقَل أن ينقضي عن أحدِنا شهرُ رمضان وهو في دوّامة عملٍ مستمرّة، بل هو نفسه دوّامة لا يعرف كيف يبدأ بصلاته، ولا كيف ينتهي منها.

كان لِرسول الله ﷺ مع شهرِ رمضان كلّه حديثٌ ذو شجون، إلّا أنّه كان له صلّى الله عليه وآله، مع العشر الأواخر من شهر رمضان شأنٌ خاصّ.

إذا كنّا لم نحصل على ما ينبغي الحصولُ عليه من هذا الشّهر المبارك في ما مَضى منه، فلماذا لا نحرص على أن تكون الأيّام المتبقّية، وخاصّةً العشر الأواخر من هذا الشّهر، متمحّضة بالعبادة، نتفرّغ فيها لطاعة اللهِ عزَّ وجلَّ وصَقْلِ نفوسنا، فتعوّض ما يمكن تعويضه بحَوْل الله تعالى وقوّته.

وإذا أردنا أن نحسِّن من مستوى صلاتنا، فإنّ علينا أن نتأمّل في بنود هذه الفقرة جيّداً.

يؤكّد الإمام السّجاد عليه السلام على إدراك أهمّية شهر رمضان، وعلى أن تكون الصّلاة أوّل وقتها صلاةً مميّزة بحدودها الّتي حدّدها الله تعالى، وفروضِها ووظائفِها الّتي فَرَض ووظّف، وأن نُنزلها في منازلها، وأن نهتمّ بفواضلها.

وتندرج العناوينُ الرّئيسة الّتي تضمَّنها كلام الإمام السّجاد عليه السلام حول الصّلاة -ما عدا أوّل الوقت وقد تقدّم- في ما يلي:

١- الحدود. ٢- الفروض. ٣- الوظائف. ٤- المنازل. ٥- الأركان. ٦- الفواضل.

وفي ما يلي موجزٌ حول كلٍّ منها.

١- ورد في الرّوايات عن الإمامَين الصّادق والرّضا عليهما السلام، أنَّ للصّلاة أربعة آلاف حدٍّ، أو أربعة آلاف بابٍ[١].

قال الشّيخ المفيد عليه الرّحمة: «وحدودُها أربعة آلاف، كما جاء عن الصّادقِين عليهما السلام "..." وأبوابُها أربعة آلاف بابٍ، بما يُؤثَر عن الصّادقين عليهما السلام.

إلى أن عدّد الكبار من حدود الصّلاة، فقال:

وعددها سبعة: منها أربعةٌ قبل الصّلاة، وثلاثةٌ فيها. أوّلها: الوقتُ، ثمّ الطّهور، ثمّ القبلة، ثمّ التّوجّه، ثم تكبيرة الافتتاح، ثمّ الركوع، ثمّ السّجود. ثمّ عدّد الصّغار من حدودها، فقال:

وعددها سبعة: أوّلها القراءة، ثمّ تكبيرة الرّكوع، ثمّ التّسبيح، ثمّ تكبيرة السّجود، ثمّ القنوت، ثمّ التّشهّد، ثمّ التّسليم.

ثمّ قال: **مسألةٌ وجوابٌ ودليلٌ**:

إنْ سألَ سائلٌ فقال: ما بالُكم لم تفصلوا الأربعة آلاف حدٍّ كتفصيل كبار ما ذكرتموه من صغارها؟

قيل له: لأنّ علمَ تلك خاصٌّ، وعلمَ هذه عامٌّ.

فإن قالوا: دُلّوا على ذلك.

قيل : دلالته صحّة الخبر بوضوح طريقه (و) عَجْز الكلّ عن الإحاطة بالتّفصيل إلى الغاية»[٢].

وقال الشّهيد الأوّل رضوان الله تعالى عليه:

«لمّا وقفتُ على الحديثَين المشهورَين عن أهل بيت النّبوّة أعظم البيوتات، أحدهما عن الإمام الصّادق أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه وعلى آبائه وأبنائه أكمل التّحيّات: **للصّلاة أربعة آلاف حدٍّ**. والثّاني عن الإمام الرّضا أبي الحسن عليّ بن موسى عليهما

١- الكليني، الكافي: ٣/ ٢٧٢؛ والطوسي، تهذيب الأحكام: ٢/ ٢٤٢؛ والصدوق، من لا يحضره الفقيه: ١/ ١٩٥.

٢- الشيخ المفيد، الأشراف: ٢٢-٢٣.

الصّلوات المباركات: **الصّلاة لها أربعة آلاف بابٍ.** ووَفَّق اللهُ سبحانه لإملاء (الرّسالة الألفيّة) في الواجبات، ألحقتُ بها بيان المستحبّات، تيمُّناً بالعدد تقريباً، وإنْ كان المعدود لم يقع في الخلد تحقيقاً، فتمَّت الأربعة من نفس المقارنات، وأُضيف إليها سائر المتعلّقات. واللهُ حسبي في جميع الحالات»[1].

٢- رُوي عن الإمام الرّضا عليه السلام: «**واعلَم أنَّ الصّلاةَ ثُلثها وضوء، وثُلثها رُكوع، وثُلثها سُجود. وأنَّ لها أربعة آلاف حدٍّ، وأنّ فروضها عشرة: ثلاثٌ منها كبار، وهي: تكبيرة الافتتاح، والرّكوع، والسّجود، وسبعة صغار وهي: القراءة، وتكبير الرّكوع، وتكبير السّجود، وتسبيح الرّكوع، وتسبيح السّجود، والقنوت، والتّشهُّد، وبعضُ هذه أفضل من بعضٍ**»[2].

٣- ويظهر أنَّ المُراد بالوظائف كلّ ما اشتُرِط على المصلّي الإتيان به واعتُبِر وظيفة له، فيكون نفس معنى الفروض وقد عُطِفَ عليه للبيان.

٤- وأمّا المنازل، فقد ورد في (رياض السّالكين) في شرح الصّحيفة السّجاديّة أنّ المُراد بمنازل الصّلاة مراتب الصّلاة، كما يقال: أنزلتُ فلاناً منزلته، أي مرتبته الّتي يستحقّها.

وبناءً عليه، فيبدو أنَّ المراتب مرتبطة بالتوجّه والخشوع وحضور القلب.

٥- وأركان الصّلاة هي ما تَبطلُ الصّلاةُ بدونها. قال العلّامة الحلّي: «المشهور أنَّ أركان الصّلاة خمسة: القيام والنيّة وتكبيرة الافتتاح والرّكوع والسّجدتان معاً، فلو أخلَّ بشيءٍ من هذه عامداً أو ناسياً بطلت صلاتُه»[3].

٦- والفواضل جمع فضيلة، وهي كلّ ما كان مستحبّاً، «لا تبطل الصّلاة بالإخلال به مطلقاً»[4]، أي لا تبطل بتركه سهواً ولا عمداً.

أللّهمَّ وفّقنا لنتعامل مع الصّلاة بما تستحقّ، ونكون من «الحافظين لأركانِها، المؤدّين لها في أوقاتِها».

* **«أللّهُمَّ وفِّقنا فيه لأن نصِل أرحامنا بالبرِّ والصّلة، وأن نتعاهد جيراننا بالإفضال والعطيّة، وأن نخلِّص أموالنا من التّبعات، وأن نطهِّرها بإخراج الزّكوات».**

صلة الرّحم

١- الشهيد الأول (الشيخ محمد بن جمال الدين مكي العاملي الجزيني)، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: ١/ ٢١-٢٢. المقدمة. نقلاً عن الرسالة النفلية للشهيد التي تحتوي على ثلاثة آلاف نافلة تقريباً، كما ذكر الناقل.

٢- ابن بابويه، فقه الرضا عليه السلام: ١١٠-١١١.

٣- العلامة الحلي، مختلف الشيعة: ٢/ ١٣٩.

٤- المصدر.

يؤكِّد عليه السّلام في هذه الفقرة على ثلاثة أمور:

١- صلة الأرحام معنويّاً ثمّ ماديّاً.

٢- وتعاهد الجيران بالإكرام والعطايا.

٣- تخليص الأموال من التبعات.

صلة الرّحم أسمى بكثير من أن تدور مدار الظّاهر ومنه المال، فليس الحديث مع الرّحم والتّواصل معه ولا حتّى زيارته محوّر الحديث عن صلة الرّحم، ولا هو محوَر الحديث عنها التّفقّد المالي؛ فقد يوجد ذلك كلّه، وتكون القطيعةُ قائمةٌ بأقبح مظاهرها الكريهة!

إنّ المحوَر هو الاعتراف بأنّ هذا الرّحم إنسانٌ له كرامته، التي أراد الله تعالى حفظها وبذل الجهد في صَوْنها والدّفاع عنها، والتنبّه إلى أنّه ليس لهذا الإنسان إلّا ربٌّ واحدٌ لا إله غيرُه، وهو سبحانه قد شرّع فقه كرامة الإنسان، الذي عبَّر أمير المؤمنين وهو نفس المصطفى الحبيب صلّى الله عليهما وآلهما عن عظيم تجليّاته في باب حفظ الحقوق -والمعنويّ منها هو الأصل- بقوله:

«والله لئن أَبِيت على حسكِ السّعدان مُسهّداً، وأُجَرُّ في الأغلال مصفَّداً، أحبّ إليّ من أن ألقى اللّهَ ورسولَه يوم القيامة ظالِماً لبعض العِباد، وغاصِباً لشيءٍ من الحطام، وكيف أظلمُ أحداً لنفسٍ يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثّرى حلولها»[1].

ومعنى ذلك أنّ مصادرةَ الرّحم لكرامةِ رحِمه تجعلُه قاطع رحم، وإن كان يَصِلُه بالمال أو يُنفِق عليه، فالأصل في الصّلة تلك الحالة النّفسيّة السويّة التي ينبغي أن تقوم بين الطّرفَين، والتي هي المناخ الأمثل لكلّ العلاقات الإنسانيّة النبيلة.

وعلى هذا الأساس، ينبغي اعتبارُ الحثّ على التّواصل والصّلة بالمال السِّياج الذي تُمكِّن رعايتُه من تحقيق صلة الرّحم بمعناها الحقيقيّ، الذي هو حالةُ قلبٍ ومشاعر تتجلّى في الفعل والسُّلوك.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ: **«يا أبا ذرّ، إنّ الله تبارك تعالى لا ينظر إلى صُوَرِكم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. يا أبا ذرّ، التّقوى التّقوى ها هنا، وأشارَ إلى صدره»**[2].

الجيران

حيث إنَّ الهدف من حُسن العلاقة بالجار ينبع من نفس مشكاة العلائق الإنسانيّة كما أرادها الله تعالى، فإنّ المحوَر فيها أيضاً هو حالة القلب والمشاعر، وليس تقديم تعاهد

١- الإمام عليّ عليه السلام، نهج البلاغة (عبده): ٢/ ٢١٧.

٢- الشيخ الطوسي، الأمالي: ٥٣٦.

الجار بالإفضال على تعاهده بالعطيّة إلّا إلفاتاً إلى ذلك، كما أنَّ تعاهده بالعطيّة إنّما كان «قيمةً» لأنّه يكشف عن الحالة القائمة بين الطّرفَين.

إنّ علينا أن نتذكّر دائماً في باب التّعامل مع الجيران، أنّ الإمام الحسن عليه السلام قال: **رأيتُ أمّي فاطمة عليها السلام قائمة في محرابها ليلة الجمعة، فلم تَزل راكعة ساجدة حتّى انفَجَر عمودُ الصّبح، وسمعتُها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتُسمّيهم وتُكثِر الدُّعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمّاه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بُنَيّ، الجار ثمّ الدّار!**[1].

وقد رُوي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو القائل: **الجار ثمّ الدّار**[2]، وكأنّ الصّدّيقة تَستشهد بكلامِه صلّى الله عليه وآله، ولستُ هنا بصدد بيان معنى الحديث، وإنّما الحاجةُ منه إلى دلالته بحسب استدلال الصدّيقة الكبرى عليها صلوات الرحمن على أولويّة الاهتمام بالغير في فكر المؤمن واهتمامه وسُلوكه.

تخليص المال من التّبعات

وأمّا الأمر الثّالث، فإنّ السّؤال: ما المُراد بتخليص الأموال من التّبعات؟

وقد تحدّث صاحب (رياض السّالكين) رحمه الله حول هذه النّقطة، فبيَّن أنّ المُراد بالتّبعات كلّ ما يجب على الإنسان إنفاقه من المال وكلّ ما يستحبّ إنفاقه، فلم ينفقه ولحقه بسبب ذلك تبعةٌ وترتّبت عليه مسؤوليّة.

والمُراد إمّا العموم أو غير الزّكاة، وذلك لأنّها قد ذُكرت في النّصّ بقوله عليه السّلام **«وأن نطهّرها بإخراج الزّكوات»**.

فالمُراد بالتّبعات المسؤوليّات المترتّبة نتيجة ترك الإنفاق الواجب كالخمس، والإنفاق المستحبّ كالصّدقة وما شابه، ثمّ أورد في (رياض السّالكين) عدّة رواياتٍ تبيّن أنّ على الإنسان أن ينفق من ماله غير الخمس والزّكاة.

من هذه الرّوايات ما ورد **عن الإمام الصّادق** عليه السلام: **«إنّ اللّٰه عزَّ وجلَّ فرض للفقراء في أموال الأغنياء فريضة لا يُحمَدون إلّا بأدائها وهي الزّكاة، بها حقَنوا دماءَهم، وبها سُمُّوا مسلمين، ولكنّ الله عزَّ وجلَّ فرض في أموالِ الأغنياءِ حقوقاً غير الزّكاة، فقال عز وجل ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ﴾** المعارج:٢٤، **فالحقُّ المعلوم غير الزّكاة، وهو شيءٌ**

١- الطبري (الشيعي)، دلائل الإمامة: ١٥٢؛ وانظر: الشيخ الصدوق، علل الشرائع: ١٨٢/١، والحر العاملي، وسائل الشيعة (آل البيت): ٧/ ١١٣.

٢- السيد عبد الله الجزائري، التحفة السنية: ٣١٦، وقد روي عن لقمان عليه السلام، انظر: المحدث النوري، مستدرك الوسائل: ٨/ ٤٢٠.

يفرضه الرّجل على نفسِه في مالِه يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقتِه وسعةِ مالِه، فيؤدّي الّذي فرض على نفسِه إنْ شاء في كلّ يومٍ، وإنْ شاء في كلّ جمعة، وإن شاءَ في كلِّ شهرٍ، وقد قال اللهُ عزَّ وجلَّ أيضاً: ﴿.. وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا..﴾ المزّمّل:٢٠، وهذا غير الزّكوة..»[١].

صحيح أنّ الفقهاء لا يُفتون الآن بوجوب إخراج الصّدقة، بل يُفتون بأنّ الإنفاق الواجب هو الخُمس والزّكاة أو ما وَجَب مقابل أمرٍ مّا، إلّا أنّ من الواضح أنّ الحثّ على الإنفاق في سبيل الله يفوق التّصوُّر، وهو يحتلّ مساحة واسعة جداً في كتاب الله تعالى وفي الرّوايات، بل ورد أنّه من أهمّ العبادات.

والنّتيجة أنّه ينبغي لنا في شهر رمضان المبارك أن نحرص على الإنفاق في سبيل الله، وينبغي أن يَحرص الفقير على ذلك وليس الغنيّ فقط، كما هو صريحُ الرّوايات.

تطهير القلب من العداوات

١- وأنْ نراجع مَن هاجرنا.

٢- وأنْ نُنصف مَن ظَلَمنا.

٣- وأنْ نُسالِم مَن عادانا حاشا من عوديَ فيك ولكَ، فإنّه العدوّ الذي لا نواليه، والحزب الّذي لا نُصافيه».

يؤكّد ﷺ في هذه الفقرة على الحقائق التالية:

أوّلاً: «وأنْ نراجع مَن هاجرنا»

أن يحرص الصّائم على مَدِّ جسور التّفاهم بينه وبين مَن بادر إلى هجرانه ومقاطعته، ليُثبت بذلك أنّه قد تفاعل مع ضيافة الرّحمن، وتخلّص من قسوة القلب الّتي تحمله على تقبُّل هجران مسلمٍ له دون أن يحرِّك ساكناً.

تصل رقّة قلب المسلم، ويصل تأثيرُ الصّوم فيه إلى حدّ أنّه يبادر إلى إصلاح ذات البَين مع مَن بادر إلى قطيعته.

ومن هنا نفهم واجبنا تجاه من بادرْنا نحنُ إلى قطيعتهم.

إنّ شهر رمضان المبارك فرصةٌ لتحصينِ الجبهة الدّاخليّة للأمّة، وسدِّ كلّ ثغرة، وردْم كلّ هوَّة.

ثانياً: «وأن نُنصِف مَن ظَلَمنا»

مطلوبٌ إذاً أن يحرص كلٌّ منّا على العدْل حتّى مع مَن ظَلَمه، وأوّل ما يتطلّبه ذلك أن

١- المحقق السبزواري، ذخيرة المعاد: ٣/ ٤١٨؛ والسيد علي خان، رياض السالكين: ٦/ ٦١ (ط: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقمّ المقدسة).

لا يُبقي جوّه النّفسيّ مشحوناً بالتوتّر والتّشنُّج والغيظ والحقد، فإنّ ذلك أرضيّة خصبة لردّات الفعل غير المتوازنة، فيندفع إلى ظلمِ مَن ظَلَمه، بدل أن يكون حريصاً على إنصافه.

ثالثاً: «وأنْ نُسالم مَن عادانا»

قد يَهجر شخصٌ شخصاً دون أن يكون جوُّه النّفسيّ جوّ معاداةٍ، فهو لا يريد القطيعة النّهائيّة، فإذا راجعه عادت اللُّحمة، ويبدو أنّه المراد بما تقدّم من قوله عليه السّلام: **وأن نُراجع مَن هاجَرَنا.**

وقد يَهجره معادياً لا تنفع معه المحاولات لمعاودة اللُّحمة، وهنا يأتي دور المُسالمة لهذا المعادي، أي أن لا نكون حرباً عليه، فلا نقول فيه إلّا خيراً ولا نغتابه، فضلاً عن العمل للإيقاع به.

نعم يُستثنى من ذلك مَن هو مِن الكافرين والمنافقين، وكانت معاداته في الله تعالى وله سبحانه، ولذلك قال عليه السّلام: «**حاشا من عودِيَ فيك ولك، فإنّه العدوّ الذي لا نواليه والحزب الذي لا نصافيه**»، أي ما عدا مَن عاديناه في الله ولله تعالى، فهو العدوّ دائماً وأبداً ما دام مقيماً على الباطل.

لا يجتمع الولاءُ لله تعالى إطلاقاً مع موالاة عدوّه، ولا حتّى مع مُصافاته الّتي هي عبارة عن سلامة العلاقة من الشّوائب، فلا يكدّر صَفْوَها شيءٌ، وهي دون الموالاة، إلّا أنّها المُنطَلَقُ إليها.

قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة:٢٢.

صحيحٌ أنّ حبّ الله تعالى الّذي يَعمر قلب المؤمن يفيض على عباد الله تعالى، فإذا علاقته بهم جميعاً علاقة حبّ، إلّا أنّ أعداء الله تمرّدوا عليه سبحانه فأصبح مقتضى حبّه التّمايز عنهم ليتمّ بذلك تحصين العقيدة والصفّ المسلم، فإنّ الانفتاح على أولياء الشّيطان انغلاقٌ عن الله تعالى وأوليائه، والتبرّي هو الوجه الآخر لحقيقة التّولّي.

والنّتيجة العمليّة أن يبحث كلٌّ منّا في هذا الشهر علاقاته بالآخرين، فينشر السّلام والتّولّي حيث ينبغي ذلك، ويركّز القطيعة والتبرّي حيث ينبغي، ويجب أن تعمّ الصّفّ الإسلاميّ رُوح التّصافي والإخاء.

لينظرْ الصّائم في علاقاته في بيته ومع جيرانه وأرحامه، وليعملْ على ترميم ما يحتاج إلى ترميمٍ منها، دون أن يقيم وزناً لأيّ اعتبارٍ مصدره الحميّة والحَنَق أو الحقد والتّشفّي،

فإنّ مصدر ذلك كلّه في الحقيقة هو الشّيطان، وهو يُبعد عن طاعة الرّحمن.

لنثبتْ عمليّاً أن شهر الله تعالى قد أحدث تغييراً في قلوبنا فإذا هي فيْضُ رحمةٍ وتسامحٍ، وينبوع حبّ.

رابعاً: يؤكّد عليه السّلام على أن تَصل أعمالُنا وطاعاتُنا في شهر رمضان من حيث الكثرة والنّوعيّة إلى القمّة، وهي بالنّسبة إلى كلّ شخصٍ غاية ما يمكنه الوصول إليه، وهو أمرٌ يستدعي التفرّغ للعبادة قدر المستطاع، وبذلَ قصارى الجهد في مراقبة النّفس، لكي يَتواصل حضور القلب بين يدي الله تعالى بأكبر نسبةٍ ممكنة.

* **وأن نتقرّب إليك فيه من الأعمال الزّاكية بما تُطهّرنا به من الذُّنوب.**

إذاً ينبغي أن تصل عبادتنا حدّاً تُطهّرنا معه من ذنوبنا السّالفة، ولا يتحقّق ذلك -عادةً- إلّا بالجدّ في العبادة والمراقبة.

«**وتَعصمنا فيه ممّا نَستَأنف من العُيوب**» أي أن تكون طاعاتنا في هذا الشّهر، بالإضافة إلى تطهيرنا ممّا سلف، عصمةً لنا في ما يأتي حتى لا نظلّ نعاني من عيوبنا الّتي نعاني منها الآن، ونواصل السّير إلى الله تعالى بعد شهر رمضان المبارك بِرُوحٍ جديدة، بقلبٍ سليمٍ ونفسٍ خالية من العيوب الّتي حملناها عندما دخلنا إلى ضيافة الرّحمن، وظلّت تلاحقنا وتُشعرُنا بالخجل عندما تنبّهنا لها ونحن في ضيافته عزَّ وجلَّ.

ويتابع ﷺ مُبيّناً لنا المستوى الّذي ينبغي أن نصل إليه في كثرة العبادة وكيفيّتها فيقول: «**حتّى لا يورد عليك أحدٌ من ملائكتك إلّا دون ما نورد من أبواب الطّاعة لك والقُربة إليك**».

هل المُراد أن تكون أعمالُنا أكثر من أعمال الملائكة؟ إذا كان هذا وما هو أعلى منه ولا يُقاس به، مقدوراً للإمام السّجّاد ﷺ والمعصومين فإنّه بالتّأكيد ليس في متناولنا. من هنا، فإنّ ما ذكره في (رياض السالكين) في شرح هذه الفقرة وجيه ينبغي الوقوف عنده.

قال رحمه الله ما حاصله: هناك أعمالٌ لا تكتبها الملائكة لأنّها لا تَسمعها، والمطلوب أن نكثر من هذه الأعمال فتكون أعمالُنا الّتي توردها الملائكة على الله تعالى هي بعض أعمالنا، وهي دون كلّ أعمالنا وأقلّ من كامل أعمالنا الحقيقيّة.

والفارق بين ما تورده الملائكة من أعمالنا على الله عزَّ وجلّ وبين كلّ ما نعمله، هو عمل السّرّ الذي لا يعلمه إلّا الله تعالى، فعندما يتقرّب العبدُ إلى الله تعالى بطاعةٍ بالَغَ في الإخلاص فيها فأوْدَعَها سرّه وسريرته، ولا يريد أن يعرفها أحدٌ على الإطلاق، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يتكرّم بحفظ هذا السّرّ ويَصونه ولا يُطْلِع عليه أحداً من ملائكته.

وقد أورد في (رياض السالكين) في تأييد هذا الرّأي روايةً وهي بسندٍ حسنٍ أو صحيحٍ كما قال رضوان الله تعالى عليه، وهي: «**عن زرارة، عن أحدهما** ﷺ، **قال: لا يكتب الملَك إلّا ما سَمعَ، وقال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ..﴾**

الأعراف:٢٠٥، **فلا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس الرجل غير الله عز وجل لعظمته»**[١].

وجاء في شرح الرواية: «فإنّ العبد إذ ذكره تعالى بحيث لا يطّلع عليه أحد أثابه تعالى ثواباً لا يطّلع عليه أحد كما قال تعالى: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ..**﴾ السجدة:١٧، فأخبر سبحانه بأنّه انفرَد بعلمِ بعض ما يُجازي به عبادَه الصّالحين. والله أعلم»[٢].

ولِأهل السّرّ في يوم القيامة حديثٌ ذو شجون، وقد ورد في بعض الرّوايات أنّ قوماً يدخلون الجنّة دون أن يعلم بدخولهم أحدٌ، حتّى «رضوان» خازنُ الجنانِ، فإنّه يَجدهم في الجنّة فيقول: **مَن أنتُم، وكيف دخلتُم؟ فيقولون: إليك عنّا، نحن قومٌ عَبَدنا اللهَ سرّاً، فأدخَلَنا الجنّة سرّاً**[٣].

وفي ضوء ذلك، فإنّ الإمام السّجّاد ﷺ، يؤكّد على أن نحرص في هذا الشّهر الكريم على العلاقة الخاصّة بالله عزّ وجلّ، وهي «ذِكره تعالى في النّفس»، فهو أفضل أنواع الذّكر كما يُفهَم بوضوح من قوله في دعاءٍ يُنسبُ إليه ﷺ: **«إلهي فألْهِمْنا ذِكرَكَ في الخلأ والملأ، واللّيل والنّهار، والإعلان والإسرار، وفي السّرّاء والضّرّاء، وآنِسنا بالذّكر الخفيّ»**[٤].

وإذا كانت أعمالُنا وانشغالاتُنا اليوميّة تَحُول بيننا وبين التّقرّب إلى الله تعالى بالإكثار من قراءة القرآن، ومن الصّلاة المستحبّة، والاستغفار، فما الّذي يمنعنا من الإكثار من ذِكر الله تعالى في النّفس؟

«أللّهمَّ اشْحَنْه بعبادتنا إيّاك» فكثرة العبادة إذاً مطلوبة، شرط أن لا يكون ذلك على حساب الكيفيّة، **«وزيّن أوقاتَه بطاعتِنا لك»** فكيفيّة العبادة أيضاً مطلوبة، ومن الواضح أنّه لا تكون عبادةُ أحدنا زينةً لهذا الوقت أو ذاك من شهر الله تعالى إلّا إذ كانت عبادةً نوعيّة.

*** أللّهمّ صلّ على محمّدٍ وآلِه، وجنِّبنا الإلحادَ في تَوحيدك، والتّقصير في تمجيدك، والشّكّ في دِينك، والعمَى عن سبيلِك، والإغفال لِحُرمتِك، والانخداع لعدوِّك الشّيطان الرّجيم.**

تتضمّن الفقرة المفردات التّالية:

١- جنّبنا الإلحاد في توحيدك: التّجنيب المبالغة في البُعد، بحيث يصبح كلٌّ منهما في جانبٍ، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿..**وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ** ﴾ إبراهيم:٣٥.

والإلحاد هو المَيْل عن الحقّ والانحراف عن الاستقامة. والمُراد الطّلب من الله تعالى

١- الكليني، الكافي: ٢/ ٥٠٢.

٢- الملا صالح المازندراني، شرح أصول الكافي: ١٠/ ٢٨٧.

٣- السيد ابن طاوس، فلاح السائل: ٣٦؛ والمحدث النوري، مستدرك الوسائل: ١/ ١١٩ - بتصرف.

٤- من مناجاة الذاكرين.

أن يثبّتنا على توحيده ويجنّبنا الشّرك الظّاهر والشّرك الخفيّ.

٢- والتّقصير في تمجيدك: «التّمجيد من العبد لله تعالى بالقول، وذكر الصفات الحسنة..»[١].

٣- والشّكّ في دينك: طلب الخروج من القلق والاضطراب، والوصول إلى اليقين.

٤- والعمى عن سبيلك: قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ.. ﴾ الإسراء:٧٢، وهو يدلّ على أنّ الإقامة على ما يُسخط الله تعالى عمًى عن سبيله الّذي هو دينه الّذي ارتضاه لعباده، وأمر رسوله ﷺ بإبلاغه لهم. ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ يوسف:١٠٨.

٥- والإغفال لحُرمتك: قال في (رياض السّالكين): أغفلتُ الشّيء: تركتُه إهمالاً من غير نسيان. والحُرمة بالضّمّ: ما يجب القيام به ويحرُم التّفريط فيه والإغفال له، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ..﴾ الحج:٣٠، ويدخل فيه ما حرَّمه الله تعالى من ترك الواجبات وفعل المحرّمات[٢].

٦- والإنخداع لعدوّك: كلّ معصية تتضمَّن انخداعاً لهذا العدوّ الرّجيم، فهو يزيِّن القبيح فننخدع بزينته عن حقيقة الأمر، ولا ينافي الانخداع الإقدام على مورد الخداع مع الظنّ وحتى الجزم بأنّه لا ينبغي، بل إنَّ ذلك أوضح مصاديق الانخداع، حيث بلغت قوّة التّزيين حدّاً حملت على الوقوع في وهْدته رغم ترجيح بطلانه، والسبب هو غَلَبة الهوى والانسياق للبهارج الخادعة.

«وأعنّا في نهاره على صِيامه» والمُراد طبعاً هو الصَّوم الحقيقيّ، وليس مجرّد الامتناع عن المفطرات.

«وفي ليله على الصّلاة والتّضرّع إليك، والخشوع لك، والذلّة بين يديك» هكذا ينبغي أن يكون ليل الصّائم تضرّعاً، وخشوعاً، وذلّة بين يدي الله عزَّ وجلَّ، وهو أمرٌ لا يمكن أن يتحقّق إذا لم يحرص الصّائم على النّوم المبكّر، ليكون له في اللّيل متّسعٌ من الوقت لعبادة الرّحمن عزَّ وجلَّ، وهو -بدوْره- أمرٌ لا يتيسّر أيضاً إلّا إذا أوقد الصائم في قلبه نار النّدم على ما فرّط في جنب الله تعالى، عندها يعيش الحاجة بوضوح إلى التّضرّع والخضوع والذلّة.

«حتّى لا يشهد نهاره علينا بغفلةٍ ولا ليله بتفريطٍ».

١- السيّد علي خان، رياض السالكين: ٦/ ٧٣.

٢- المصدر.

يشهد النّهار في يوم القيامة ويشهد اللّيل كما اتّضح ذلك في محلِّه من الروايات وكلمات العلماء الأعلام، وقد تقدّم الحديث عن الشّهود في يوم القيامة عموماً، وعن شهادة اللّيل والنّهار بشكلٍ خاصٍّ.

وَيْلي إذا شهد عليّ نهارُ شهر الله تعالى وليلُه بالغفلة عن هذه الفرصة الإلهيّة للقُرب منه عزَّ وجلّ والتّفريط فيها، وأنّي بدل أن أستثمرها في ما يُقرِّب من المليك المقتدر، قد استثمرتُها في ما لا يعود عليّ إلّا بالخسران، أو بالإمعان في البُعد، ليَطول ندمي يوم القيامة.

وأنت ترى بكلِّ جلاءٍ أنّ المحوَر في كلِّ فقرات هذا الدّعاء المبارك، أن لا نتعامل مع شهر رمضان كغيره من الشهور، بل نتفرّغ فيه للعبادة ونشحنه بها، ولا شكّ أنّ إدراك هذه الحقيقة يحمل على التّخطيط المُسبق لِما يُمكِّن من ذلك، وسنكتشف لدى المحاولة الجادّة أنَّ باستطاعتنا التّحلُل من الكثير من انشغالاتنا أو تأجيلها، كما سنكتشف أنّ المشكلة ليست في عدم توفُّر الوقت، بل في إعطاء الأولويّة لِما لا يستحقُّ ذلك.

والتّدرّج في العبادات أمرٌ شديد الأهميّة كما تقدّم، فلنحرص أن لا نحمل النفس قسراً على ما يمكن أن تنفر منه بجموحٍ شديد بعد فترةٍ قصيرة، بل نمشي بخطًى مدروسةٍ وثابتةٍ، مدْركين أنّ التّراجع مذمومٌ ومضرٌّ جدّاً، وأنّ الهدف هو تحقيق هذه الوصايا النبويّة سواءً في الخطبة أو الدّعاء المباركَيْن.

«أللّهمّ واجعلنا في سائر الشّهور والأيّام وما نستأنف من السّنين والأعوام كذلك أبداً ما عمَّرتنا، فاجعلنا من عبادك الصّالحين الّذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون».

وتتّخذ العبادة في شهر الله تعالى بُعداً آخَر، ويكتسب التّدرّج فيها أهمية خاصّة إذا لاحظنا أنّ ما قبلها في شهريْ رجب وشعبان تأسيسٌ لها، والجميع -هي وما قبلها- تأسيسٌ لدوام عبادةٍ نوعيّةٍ لله تعالى في سائر الشّهور والأيّام.

موقع العبادة في حركة الحياة

يضعنا ذلك تلقائيّاً أمام نقطةٍ منهجيّة غاية في الأهميّة، يتعاطى الكثيرون معها بتندُّر العابث الجاهل، وهي موقع العبادة في حركة الحياة.

هل تحتلّ العبادةُ المَتْنَ، أم أنَّ موقعها الهامش.

وتكفي نظرة في كتاب الله تعالى وسيرة النّبيّ وأهل بيته والأبرار من صحابته صلى الله عليه وآله، وفي الحديث الشّريف لِتكشف، بِما لا يقبل الشّكّ أنّ موقع العبادة هو مَتْن حركة الحياة، وأنَّ سائر الأمور عوامل مساعدة تمكِّن من القيام بها، إلّا أنّ السّائد حتّى في أكثر أوساط المتديِّنين هو أنّ موقع العبادة الهامش، إلى حدِّ أنّ الحديث عمّا سواه لا يجد أذناً صاغية.

وقد يحاول البعض توجيه ذلك بأنّ كلَّ عملٍ ضمن الضّوابط الشّرعيّة هو عبادة.
وهذا المعنى في نفسِه صحيح، إلّا أنَّ جعله توجيهاً للتّقليل من العبادة غيرُ وجيه، فهو لا يصلح مستنداً لتهميش العبادة بالمعنى المُتعارَف لما تقدّم من وضوح موقعها في النّصوص والسّيرة، نعم قد يضطرّ الإنسانَ ظرفٌ طارئٌ لتأخير صلاته وعدم الإتيان بالتّعقيب، أو عدم قراءة القرآن الكريم أو هذا الدّعاء أو الزّيارة، لكنّ ذلك لا ينبغي أبداً أن يكون خطّاً عامّاً ومسلكاً دائماً، بل العكس هو الخطّ، وهو المسلك، والمنهج.
وهذه الفقرة من دعاء سيّد الساجدين صريحة في ذلك.
ويختم الإمام السّجّاد دعاءه في استقبال شهر رمضان بقوله عليه السّلام:
أللّهمّ صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ في كلِّ وقتٍ وكلِّ أوانٍ، وعلى كلِّ حالٍ، وفي كلِّ زمانٍ، عدد ما صلّيتَ على مَن صلّيتَ عليه وأضعافَ ذلك كلَّه بالأضعافِ الّتي لا يُحصيها غيرُك، إنّك فعّالٌ لما تريد.

دعاء اليوم السّابع عشر

أَللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيْهِ لِصالِحِ الأَعْمالِ، وَاقْضِ لِي فِيْهِ الحَوائِجَ وَالآمالِ، يا مَنْ لا يَحْتاجُ إِلى التَّفْسِيرِ وَالسُّؤالِ، يا عالِماً بِما فِي صُدُورِ العالَمِينَ.
ستّة عشر يوماً في ضيافة الرّحمن، كافيةٌ ليُصبح الضّيف بعدها جزءاً من جوِّ البيت، فإذا بالطّلبات تكبر، واللّهجة تختلف.
تختفي رنّة الحزن والغربة، لتبرز ترنيمة الطّمأنينة والأمن، بل والإدلال أيضاً.
وهل بين بدْر وهذه السّكينة نَسَبٌ وسببٌ؟ ربّما!
يَجد المسلمُ نفسَه في هذا الدّعاء أمام طلب صالح الأعمال، وقضاء جميع الحوائج والآمال، كضيفٍ يقول له صاحبُ البيت: ماذا تأمرُ اليوم؟ فيقول له: أحسَن ما عندك!
إلهي منَنْتَ عليّ فجعلتَني أهلاً لِضيافتك، وظلّلتَ عليّ غمام رأفتك، وغمرتَني بوابِلِ سَيْبك، فعرّفني كرمَك، وها أنا ذا العاصي أطلبُ منك صالح الأعمال ولا أكتفي بأنْ تقضي حوائجي وإنّما أريد قضاء الآمال، ولشدّة أُنسي بك وركوني إلى عطفك، لا أُكلّف نفسي تحديد صالح الأعمال الّتي أُريد، ولا تعداد الآمال الّتي أتوقع قضاءها، بل أتّكلُ في ذلك كلّه على عِلمِك بي وإحسانِك إليّ، يا مَن لا يحتاجُ إلى التّفسير والسُّؤال، يا عالِماً بما في صدور العالمين.

صلاة اللّيلة الثّامنة عشرة

١- حصّة هذه اللّيلة من صلاة الألف ركعة، هي عبارة عن عشرين ركعة كالصّلوات المتقدّمة، ثماني ركعاتٍ بعد المغرب والباقي بعد صلاة العشاء، تقرأ في كلِّ ركعة (فاتحة

الكتاب) مرّة و(قل هو الله أحد) مرّة، أو ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو عشراً.

٢- عن رسول الله ﷺ: «ومن صلّى ليلة ثماني عشرة من شهر رمضان أربع ركعات، يقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة و(إنّا أعطيناك الكوثر) خمساً وعشرين مرّة، لم يخرج من الدّنيا حتّى يبشِّره مَلَكُ الموت بأنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ راضٍ عنه، غير غضبان»[1].

٣- قال الكفعميّ: «ويُستحبُّ أن يصلّي في كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ(الحمد) مرّة، و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقول التّسبيحات الأربع سبعاً، ثمَّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمَّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللّهُ له سبعين ألف ذنبٍ»[2].

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٩؛ والكفعمي، البلد الأمين: ١٧٦.
٢- الكفعمي، المصباح: ٥٦٣. الهامش.

١٨

شهر رمضان

* نفس المصطفى
* القدر وليلته
* دعاء اليوم الثّامن عشر
* فضيلة اللّيلة التّاسعة عشر
*الأعمال العامّة لليلة القدر
* أعمال اللّيلة التّاسعة عشر
* يوم ليلة القد
* لا تتهاون بيومِ القدر، اتِّكالاً على ما عملتهُ في ليلتِه

نفس المصطفى

هذه اللّيلة القادمة هي اللّيلة التّاسعة عشرة، أُولى ليالي القدر، ويتلازمُ الحديثُ عنها مع ذكرى جرح أمير المؤمنين عليه السلام، ولا يستطيع المسلم إلّا أن يَخشع دائماً وأبداً في محراب عليٍّ عليه صلوات الرّحمن.

ليس عليٌّ عليه السلام أحدُ الخلفاء الأربعة! وليس أحدُ الصّحابة الكبار، ولا أفضلهم وحسب، فلا يشكّل ذلك من مراقي فرادةِ منزلتِه وعظمتِها حتّى أدنى السَّفح، وليس عليٌّ عليه السلام وصيُّ المصطفى الحبيب وسيّدَ الأوصياء فقط، فلا يشكّل ذلك من سمُوّ منزلته المحمّديّة إلّا التّاج الّذي يشير إليها.

أمَا آنَ أنْ يكفَّ ذوو القربى قبل غيرهم عن مَضَض إدمان الظّلم المتمثّل بإنزال أهل البيت في غير مراتبهم الّتي رتَّبهم اللهُ تعالى فيها، وخصوصاً أمير المؤمنين عليه صلوات الرّحمن.

أما آنَ الأوانُ لإدراك أهمّية الدّقّة في استعمال المُصطلحات في الحديث عن الحقيقة المحمّديّة بتجلّياتها.

إنّ الحديث عن عليٍّ عليه صلوت الله تعالى وسلامه، هو بنصِّ القرآن الكريم، حديث عن نفس المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله. قال تعالى:

﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ آل عمران:٦٠-٦٣.

ويُطلق المفسِّرون إطلاق المسلَّمات أنَّ المراد بقوله تعالى: **وأنفسنا وأنفسكم محمّد وعليّ، صلّى الله عليهما وآلهما.**[1]

ولكنّ الغريب هو طَمْسُ معالم صريح القرآن الكريم لدى الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، ليتّخذ منحى المقارنة بينَه وبين غيره، في إصرارٍ على أنّ الخلاف هل هُم أفضل أم هو الأفضل، وكلاهما ظلمٌ وتنكّبٌ للصّراط القرآنيّ القويم.

وقد صرَّح رسولُ الله صلى الله عليه وآله بما يمكن التّعامل معه كتفسيرٍ لهذا النّصّ القرآنيّ، كما نَقَل عنه عليٌّ عليه السلام وصرّح بما هو بدوره تفسيرٌ لذلك، حين قال: «**وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، والْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ. وَضَعَنِي فِي**

١- أنظر: الحسكاني، شواهد التنزيل١/ ١٦٠والسيوطي(جلال الدين) الدر المنثور٢/ ٣٩وابن كثير، تفسير ابن كثير١/ ٣٧٩وقد قال: رواه الحاكم في مستدركه، ثم قال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه هكذا.

حِجْرِهِ وأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، ويَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، ويُمِسُّنِي جَسَدَهُ، ويُشِمُّنِي عَرْفَهُ. وكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، ومَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، ولَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ. ولَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ ونَهَارَهُ. ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً، ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ. ولَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ، ولَا يَرَاهُ غَيْرِي. ولَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وخَدِيجَةَ وأَنَا ثَالِثُهُمَا. أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ، وأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ. ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ. إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، ولَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ»[1].

والحقيقة الواضحة الّتي يأخذ ما تقدّم بقلوب المسلمين جميعاً إلى أعتابها للتّفاعل معها والاعتقاد بها، أنّ ما عدا النّبوّة من جميع ما ثبت لرسول الله ﷺ، فهو ثابتٌ قطعاً لنفسه أمير المؤمنين عليه السلام، وهو ما تؤكّده كلُّ النّصوص الواردة عنه صلّى الله عليه وآله وعن أهل بيته عليهم السلام حول النُّور الواحد، والحقيقة الواحدة، وأنّه منهم وهم منه ﷺ[2].

القدرُ وليلته

في توجُّهنا إلى الله تعالى، لا بدّ أن نبدأ بالحقيقة العلويّة كمنطلقٍ أساسٍ لمعرفة حقيقة التّوحيد، فلا سبيل لمعرفة الله تعالى كما بيّنها رسولُ الله ﷺ إلّا من خلال باب مدينة العلم، وفي توجُهنا إلى رسول الله ﷺ، لا بدّ أن نبدأ بالحقيقة العلويّة الطاهرة «ما عَرَفَنِي إلّا الله وأنت». وفي توجُّهنا إلى الكعبة لا بدَّ أن نلتقي بالحقيقة العلويّة أيضاً، حيث أنّ عليّاً وُلد في الكعبة إيذاناً من الله تعالى بأنّ على كلّ مسلمٍ يتوجّه ظاهرُه إلى الكعبة، أن يتوجَّه باطنُه إلى عليٍّ، ومِن عليٍّ إلى رسول الله ﷺ، ومنه إلى الله تعالى.

يتوجّه باطنُ المسلم إلى عليٍّ ليصحّح بذلك توجُّهه إلى رسولِ الله ﷺ، وإلى الله عزَّ وجلّ.

وفي توجّهنا إلى ليلة القدر نجد أنّنا -منذ اللّيلة التّاسعة عشرة وإلى اللّيلة الثّالثة والعشرين- أمام الإلحاح على القلب ليُدرك محمّديّة عليّ وعلويّة محمّد صلّى الله عليهما وآلهما، بل إنَّ الأمّة كلّها مدعوّة على لسان المصطفى الحبيب ﷺ بكلّ مكوّنات العقل والوحي والقلب والعاطفة لِتَعِيَ آذانُ القلوب حقيقة أنّ شهر رمضان يجب أن يكون

١- الإمام عليّ عليه السلام، نهج البلاغة (عبده): ٢/ ١٥٧؛ وانظر: ابن أبي الحديد، شرح النهج: ١٣/ ١٩٧.

٢- للتوسع في ذلك، انظر: في محراب فاطمة عليها السلام، للمؤلف، تحت عنوان: في منهج البحث في عظمتها عليها السلام.

شهر الوصول إلى الله تعالى من خلال محمّديّة عليّ صلى الله عليهما وآلهما، فتُشاطر الأمّةُ طيلة الشّهر المبارك نبيَّها الأعظم ﷺ حزنَه وبكاءَه لِما عَلِم أنَّه سيجري في هذا الشّهر على أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ورد في آخر خطبة رسول الله ﷺ حول شهر رمضان المبارك، قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«فقُمتُ -أي بعد انتهاء الخطبة- وقلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَفْضَلُ الأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، أَفْضَلُ الأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ: الْوَرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ثمّ بكى فقلتُ: يَا رسولَ اللهِ ما يبُكيكَ؟ فقالَ: يَا عليّ، أبكي لما يُستَحَلُّ منكَ في هذا الشّهرِ، كأنّي بِكَ وأنتَ تُصلّي لربِّكَ وَقَدْ انبعثَ أشقى الأوّلينَ والآخرينَ شقيقُ عاقرِ ناقةِ ثمود فضربَكَ ضربةً على قرنِكَ فخضبَ منها لحيتَك، قالَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام: فقلتُ: يَا رسولَ اللهِ وذلكَ في سلامةٍ من ديني؟ فقالَ صلّى اللهُ عليه وآله: في سلامةٍ من دينِك، ثمّ قالَ: يَا عليّ، مَنْ قَتَلَكَ فَقَدْ قَتَلَنِي، وَمَنْ أَبْغَضَكَ فَقَدْ أبغضني، وَمَنْ سَبَّكَ فَقَدْ سَبَّنِي، لأنّك منّي كنفسي، روحُكَ مِنْ رُوحي، وطينُتك من طينتي، إنّ اللّهَ تباركَ وتعالى خَلَقَني وإيّاكَ واصطفاني وإيّاكَ واختارني للنّبوّةِ واختارَكَ للإمامةِ، وَمَنْ أنكرَ إمامَتَكَ فَقَدْ أنكرَ نبوّتي. يَا عليّ، أنتَ وصيّي وأبو ولدي وزوجُ ابنتي وخليفتي على أمّتي في حياتي وبعد موتي، أمرُك أمري، ونهيُك نهيي، أُقسمُ بالّذي بَعثَني بالنّبوّةِ وجَعَلَني خيرَ البريّةِ إنّكَ لحجّةُ اللهِ على خلقِهِ وأمينِه على سرِّه وخليفتِه على عبادِه»[1].

هذا المُصاب الجَلل والفاجعة العظمى الّذي أبكى خيرَ خلقِ الله تعالى قبل وقوعه، وقد أراد اللهُ تعالى أن نتعامل معه بمستوى ما لو أنّ المستهدَف به كان شخصُ المصطفى ﷺ، فكيف ينبغي أن يكون تعاطي الأمّة معه؟

وكم هو الفارق الهائل بين ما هو قائمٌ فعلاً في هذا المجال، وبين ما ينبغي؟!

* ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ الإسراء:٨٤.

دعاء اليوم الثّامن عشر

اللَّهُمَّ نَبِّهْنِي فِيهِ لِبَرَكَاتِ أَسْحَارِهِ، وَنَوِّرْ فِيهِ قَلْبِي بِضِيَاءِ أَنْوَارِهِ، وَخُذْ بِكُلِّ أَعْضَائِي إِلَى اتِّبَاعِ آثَارِهِ، بِنُورِكَ يَا مُنَوِّرَ قُلُوبِ العَارِفِينَ.

إلهي أنتَ نورُ السّماوات والأرض ﴿..وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ النور:٤٠، أخرِجني يا إلهي من ظُلمات المعاصي والعمى، إلى نورِ الطّاعة والهُدى، نبّهني في هذا اليوم إلى بركات أسحاره. أيّ عمى أشدّ من أن لا يُبصر نور سَحَر ليلة القدر، فيغطّ في

١- انظر الخطبة المباركة بتمامها مع ذكر مصادرها، في الجزء الثّاني من مناهل الرجاء، أعمال شهر شعبان: ٣٣٤-٣٣٧.

حندس نوم عميق ﴿..فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج:٤٦، فنوّر قلبي يا إلهي لينبض بحرارة الحياة الطّيّبة، فتسري في أوصالي بركاتُ اليقين، وأَخرجَ من ولاية الطّاغوت وظلامه إلى ولايتك يا ربّ. بنورك يا منوِّر قلوب العارفين.

فضيلة اللّيلة التاسعة عشر

قال السّيّد ابن طاوس: «واعلم أنّ ليلة تسع عشرة أُولى الثّلاث اللّيالي الأفراد، وهذه اللّيالي محلّ الزّيادة في الاجتهاد، ولعمري أنّ الأخبار واردة وآكدة في ليلة إحدى وعشرين منه أكثر من ليلة تسع عشرة، وفي ليلة ثلاث وعشرين من أكثر من ليلة تسع عشر ومن ليلة إحدى وعشرين»[١].

«يا أيُّها المقبل بإقبال الله جلَّ جلالُه عليه، حيث استدعاه إلى الحضور بين يديه، وارتَضاه أن يخدمه ويختصّ به، ويكون ممَّن يعزّ عليه، لو عرفتَ ما في مطاوي هذه العنايات من السّعادات، ما كنتَ تَستكثر لله جلَّ جلالُه شيئاً من العبادات، فتمّم رَحِمك الله جلَّ جلالُه وظائف هذه اللّيلة من غير تثاقُلٍ ولا تكاسُلٍ ولا إعجابٍ، فأنتَ ذلك المخلوق من التّراب، الّذي شرّفك مولاكَ ربُّ الأرباب، وخلّصك من ذلك الأصل الذّميم، وأتحَفَك بهذا التّكريم والتّعظيم، واخْدِمْه واعرفْ له قدرَ المِنّة عليك. ولا يخطر بقلبك إلّا أنّ هذه العبادة من أعظم إحسانه إليك، وأنت تعبده، لأنّه أهلٌ واللهِ للعبادة»[٢].

الأعمال العامّة لليلة القدر

تنقسم أعمال ليلة القدر إلى قسمَين: الأعمال العامّة، وهي الّتي يؤتَى بها في كلّ ليلةٍ من ليالي القدر. والأعمال الخاصّة، وهي الّتي يؤتى بها مرّة واحدة إمّا في اللّيلة التاسعة عشر، أو الواحدة والعشرين، أو الثّالثة والعشرين.

والأعمال العامّة الّتي يؤتى بها في كلّ ليلة هي:

١- الغسل

أورد الكليني رضوان الله تعالى عليه: «عن أبي عبد الله (الإمام الصّادق) عليه السلام: **الغسل من الجنابة، ويوم الجمعة، والعيدَين، وحين تُحرم، وحين تَدخل مكّة والمدينة، ويوم عرفة، ويوم تَزور البيت، وحين تَدخل الكعبة، وفي ليلة تسع عشرة، وإحدى**

١- الإقبال: ١/ ٣١٢.
٢- المصدر: ٣٣٩-٣٤٠.

وعشرين، وثلاث وعشرين من شهر رمضان، ومَنْ غسّل ميّتاً»[1].

وعن الإمام الرّضا عليه السلام في بيان بعض سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله في شهر رمضان: «**فلمّا كان ليلة تسع عشرة من شهر رمضان، اغتسل حين غابت الشّمسُ، وصلّى المغرب بِغُسلٍ**»[2].

قال الشيخ المفيد: «وفيها غسلٌ كالّذي ذكرناه من الأغسال»[3].

وقال الشّيخ الطّوسي: «وروى زرارة عن أحدهما عليهما السلام، قال: سألتُه عن اللّيالي الّتي يستحبّ فيها الغسل في شهر رمضان فقال: **ليلة تسع عشرة، وليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين**، وقال: **في ليلة تسع عشرة يُكتبُ وفدُ الحاجّ وفيها يُفرَق كلُّ أمرٍ حكيم**»[4]. «وقد بيّنا ليالي الغسل وهي أربع ليالٍ: ليلة سبع عشرة، وتسع عشرة، وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين، وإن اغتسل ليالي الأفراد كلّها "..." كان له فيه فضل كثير»[5].

٣- الإحياء

والمُراد به عدم النّوم إلى الصّباح.

عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، أنّه قال: **مَن أحيَا ليلةَ القدر حُوِّل عنه العذاب إلى السّنة القابلة**. وعنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: **قال موسى** عليه السلام: **إلهي أريدُ قربك، قال: قُربي لمَن يستيقظُ ليلة القدر، قال: إلهي أريدُ رحمتَك، قال: رحمتي لِمَن رَحِمَ المساكين ليلة القدر، قال: إلهي أريدُ الجوازَ على الصِّراط، قال: ذلك لِمَن تصدَّق بصدقةٍ في ليلة القدر. "..." قال: إلهي أريدُ النّجاة من النّار، قال: ذلك لِمَن استغفرَ في ليلة القدر، قال: إلهي أريدُ رِضاك، قال: رضايَ لِمَن صلّى ركعتَين في ليلة القدر**[6].

زيارة الإمام الحسين عليه السلام

وقد تقدّم الحثُّ على زيارته عليه السلام في ليلة القدر، بل في كلّ وقتٍ، والرّوايات مُستفيضة في زيارته عليه صلوات الرّحمن من كلّ مكانٍ، كما تقدّم مزيدُ إيضاحٍ حول ذلك في الحديث عن اللّيلة الأولى.

٤- دعاء القرآن الكريم

أ- عن الإمام الباقر عليه السلام: «**تأخذ المصحف في ثلاث ليالٍ من شهر رمضان، فتنشرهُ**

١- الكليني، الكافي: ٣/ ٤٠.
٢- الإقبال: ١/ ٥٠.
٣- الشيخ المفيد، مسارّ الشيعة: ٢٥.
٤- الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد: ٦٣٦.
٥- المصدر.
٦- الإقبال: ١/ ٣٤٥.

وتَضعهُ بين يديك، وتقول: أللّهمّ إنّي أسألُك بكتابك المُنزل، وما فيه وفيه اسمُكَ الأكبر، وأسماؤك الحُسنى وما يُخاف ويُرجى، أن تجعلني من عتقائك من النّار، وتدعو بما بدا لك من حاجة»[1].

ب- وقد روي عن مولانا الصّادق صلوات الله عليه، قال: «خُذ المصحف فدعهُ على رأسك، وقل: أللّهمّ بحقّ هذا القرآن، وبحقّ مَن أرسلتَه به، وبحقّ كلّ مؤمنٍ مدَحتَه فيه، وبحقّك عليهم فلا أحدَ أعرفُ بحقّك منك، بك يا الله - عشر مرّات. ثمّ تقول: بمحمد - عشر مرّات، بعليّ - عشر مرّات، بفاطمة - عشر مرّات، بالحسن - عشر مرّات، بالحسين - عشر مرّات، بعليّ بن الحسين - عشر مرّات، بمحمّد بن عليّ - عشر مرّات، بجعفر بن محمّد - عشر مرّات، بموسى بن جعفر - عشر مرّات، بعليّ بن موسى - عشر مرّات، بمحمّد بن عليّ - عشر مرّات، بعليّ بن محمّد - عشر مرّات، بالحسن بن عليّ - عشر مرّات، بالحجّة - عشر مرّات. وتسأل حاجتك»[2].

٥- دعاء «أللّهم إنّي أمسيتُ لك عبداً داخراً»

ولا يُجمع العلماءُ على كَونِه من الأعمال العامّة، فقد أورده السّيّد ابن طاوس في عداد أدعية اللّيلة التاسعة عشر[3]، غير أنّ المحدِّث الجليل الشّيخ عبّاس القمّي نقل عن الشّيخ الكفعمي استحباب قراءته في ليالي القدر[4]. وقد نقل العلّامة المجلسيّ عن (المصباح) للكفعمي، وعن (إكمال الدّين) ما يلي:

«وادْعُ في هذه اللّيلة -يعني ليلة ثلاث وعشرين- وفي ليلة تسع عشرة، وإحدى وعشرين، بما رُوي عن مولانا زين العابدين عليه السلام أنّه كان يدعو به في ليالي الإفراد قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً: أللّهُمَّ إِنِّي أَمْسَيتُ لَكَ عَبْداً داخِراً لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً وَلا أَصْرِفُ عَنْها سُوءاً، أَشْهَدُ بِذلِكَ عَلى نَفْسِي، وَأَعْتَرِفُ لَكَ بِضَعْفِ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْجِزْ لِي ما وَعَدْتَنِي وَجَمِيعَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ مِنَ المَغْفِرَةِ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَتْمِمْ عَلَيَّ ما آتَيْتَنِي فَإِنِّي عَبْدُكَ المِسْكِينُ المُسْتَكِينُ الضَّعِيفُ الفَقِيرُ المَهِينُ. أللّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي ناسِياً لِذِكْرِكَ فِي ما أَوْلَيْتَنِي، وَلا لِإِحْسانِكَ فِي ما أَعْطَيْتَنِي وَلا آيِساً مِنْ إِجابَتِكَ وَإِنْ أَبْطَأْتَ عَنِّي فِي سَرّاءَ أَوْ ضَرّاءَ أَوْ شِدَّةٍ أَوْ رَخاءٍ أَوْ عافِيَةٍ أَوْ بَلاءٍ أَوْ بُؤْسٍ أَوْ نَعماءَ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ»[5].

١- المصدر: ٣٤٦.
٢- الإقبال: ١/ ٣٤٧.
٣- المصدر: ٣٤٨-٣٤٩.
٤- أنظر: المحدث القمي، مفاتيح الجنان، الأعمال العامة لليالي القدر.
٥- المجلسي، البحار: ٩٥/ ١٢٢.

٦- دعاء الجَوْشن الكبير

وهو مرويٌّ عن رسول الله ﷺ، ذكره السّيّد ابن طاوس في (مُهَج الدّعوات)، والكفعمي في (مصباحه) و(البلد الأمين)، والمجلسي في (البحار) وتحدّث عنه مطولاً، وثوابه عظيم يفوق كلّ تصوُّر، وقد وردَ فيه الحثُّ على قراءته في أوّل ليلةٍ من شهر رمضان وفي ليلةٍ أو ثلاثٍ منه دون تعيين ليالي القدر، إلّا أنّ المحدّث القمّي عند إيراده دعاء الجوشن في (مفاتيح الجنان)، نقل عن (زاد المعاد) للعلّامة المجلسي استحباب قراءته في ليالي القدر، وينبغي مزيد الاهتمام بذلك.

وقد سبقت الإشارةُ إلى استحباب قراءته في عمل أوّل ليلة، مع ذكر أكثر مصادر الدّعاء.

٧- الصّلوات

وهي كما يلي:

أ- صلاة ركعتَين في كلّ ركعة (الحمد) مرّة و(التّوحيد) سبعاً، وبعد الفراغ يقول المصلّي: أستغفرُ الله وأتوبُ إليه. سبعين مرة.

أورد السّيّد: «عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: مَن صلّى ركعتَين في ليلة القدر، يقرأ في كلّ ركعة (فاتحة الكتاب) مرّة، و(قل هو الله أحد) سبع مرّات، فإذا فرغ يستغفر سبعين مرّة، لا يقوم من مقامه حتّى يغفر الله له ولأبوَيه، وبعثَ اللهُ ملائكة يكتبون له الحسنات إلى سنةٍ أخرى، وبعث اللهُ ملائكة إلى الجنان يغرسون له الأشجار، ويبنون له القُصور، ويُجرون له الأنهار، ولا يخرج من الدّنيا حتّى يرى ذلك كلّه»[1].

ب- صلاة مائة ركعة، بالحمد مرّة والتّوحيد عشراً.

قال السّيّد ابن طاوس: «وقد رُوي أن هذه المائة ركعة تصلّى في كلّ ليلةٍ من المفردات، كلّ ركعة بـ(الحمد) مرّة، و(قل هو الله أحد) عشر مرّات، وإن قَوِيتَ على ذلك فاعمل عليه، واغتنم أيُّها العبد الميّت الفاني ما يبلغ اجتهادك عليه، فإنّ سمّ الفناء يَسري إلى الأعضاء مذ خرجت إلى دار الفناء، وآخره هجوم الممات وانقطاع الأعمال الصّالحات، وأنْ تَصير من جملة القبور الدّارسات المهجورات، فبادِرْ إلى السّعادات الدّائمات، فصلِّ ما تقدّم ذكرُه من العشرين ركعة وأدْعيتها، وسبّح تسبيح الزّهراء عليها السّلام بين كلّ ركعتَين من العشرين ركعة وأدعيتها، وسبح تسبيح الزهراء عليها السّلام بين كلّ ركعتَين من جميع الرّكعات، ثمّ قُم فصلّ الثّمانين ركعة الباقيات»[2]. ثمّ أورد الأدعية

١- المصدر: ١/ ٣٤٤-٣٤٥.

٢- المصدر: ١/ ٣١٢-٣١٣.

الّتي تقرأ بعد كلّ ركعتَين من الثّمانين الّتي هي تمام المائة، أي مع العشرين التي هي حصّة كلِّ ليلةٍ من أوّل الشّهر إلى العشرين منه.

وينبغي التّنبّه إلى أنّ هذه الطّريقة التي اعتَمَدها السّيّد في توزيع المائة ركعة بين العشرين والثّمانين هي إحدى الطّريقتَين في توزيع الألف ركعة على ليالي الشّهر وأيّام خاصّة فيه، وقد تقدّم بيان ذلك بالتفصيل في أعمال اليوم الأوّل، فراجع.

ج- عن رسول الله ﷺ:

«ومَن صلّى ليلة تسع عشرة من شهر رمضان خمسين ركعة، يقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة و(إذا زلزلت) خمسين مرّة، لقيَ اللّهَ عزّ وجلّ كمَن حجّ مائة حجّة، واعتَمَر مائة عمرة، وقبلَ اللّهُ منه سائر عمله»[1].

د- وأختم بذكر الصّلاة العامّة الّتي تُصلَّى في كلّ ليلة:

قال الكفعميّ: **«ويُستحبُّ أن يصلّي في كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ(الحمد) مرّة، و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقول التّسبيحات الأربع سبعاً، ثمّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللّهُ له سبعين ألف ذنبٍ»**[2].

* وحيث قد يُتصوّر أنّ الأعمال العامّة والخاصة لليالي القدر تغني عن الأعمال العامّة لكلّ ليلة، فقد وجب التّنبيه على المحافظة في كلّ ليلةٍ من ليالي القدر على الأعمال العامّة الّتي ورد أنّه يؤتى بها في كلّ ليلة. قال السيّد ابن طاوس: «ومن مهمّات ليلة تسع عشرة ما قدّمناه في أوّل ليلة منه، ممّا يتكرّر كلّ ليلة، فلا تُعرض عنه»[3].

أعمال اللّيلة التّاسعة عشرة

وأمّا الأعمال الخاصّة باللّيلة التّاسعة عشر، فهي:

١- مائة مرّة: أستغفر اللّهَ وأتوبُ إليه.

٢- مائة مرّة: أللّهمّ العن قتَلةَ أميرِ المؤمنين عليه السلام.

قال السّيّد: «وروي أنّه يَستغفر ليلة تسع عشرة من شهر رمضان مائة مرّة، ويلعن قاتل مولانا علي عليه السلام مائة مرّة».

٣- دعاء: «يا ذا الّذِي كانَ قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ، ثُمّ خَلَقَ كُلِّ شَيءٍ، ثُمّ يَبْقى وَيَفْنى كُلُّ

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٩؛ والكفعمي، البلد الأمين: ١٧٦.
٢- الكفعمي، المصباح: ٥٦٣. الهامش.
٣- المصدر: ٣٤٢.

شَيءٍ، يا ذا الّذِي لَيْسَ كَمِثْلِه شيءٌ، وَيا ذا الّذِي لَيْسَ فِي السّماواتِ العُلى وَلا فِي الأَرْضِينَ السُّفْلى وَلا فَوْقَهُنّ وَلا تَحْتَهُنّ وَلا بَيْنَهُنّ إِلهٌ يُعْبَدُ غَيْرُهُ، لَكَ الحَمْدُ حَمْداً لا يَقْوى عَلى إِحْصائِهِ إِلّا أَنْتَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمّدٍ وَآلِ مُحَمّدٍ صَلاةً لا يَقْوى عَلى إِحْصائِها إِلّا أَنْتَ».

٤- **دعاءٌ آخر**: أَللّهُمّ اجْعَلْ فِيما تَقْضِي وَتُقَدِّرُ مِنَ الأَمْرِ المَحْتُومِ، وَفِيما تَفْرُقُ مِنَ الأَمْرِ الحَكِيمِ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ وَفِي القَضاءِ الّذِي لا يُرَدُّ وَلا يُبَدّلُ، أَنْ تَكْتُبَنِي مِنْ حُجّاجِ بَيْتِكَ الحَرامِ المَبْرُورِ حَجُّهُمْ، المَشْكُورِ سَعْيُهُمْ، المَغْفُورِ ذُنُوبُهُمْ، المُكَفّرِ عَنْهُم سَيِّئاتُهُمْ، وَاجْعَلْ فِيما تَقْضِي وَتُقَدِّرُ أَنْ تُطِيلَ عُمْرِي، وَتُوَسِّعَ عَلَيّ فِي رِزْقِي، وَتَفْعَلَ بِي كَذا وَكَذا.

٥- **دعاءٌ آخر في هذه اللّيلة مرويّ عن النّبيّ** ﷺ سبحانَ مَن لا يموت، سُبحانَ مَن لا يَزول مُلكُه، سُبحانَ مَن لا يَخفى عليه خافية، سُبحان مَن لا تَسقط ورقةٌ إلّا بِعلمِه، ولا حبّة في ظُلمات الأرض ولا رَطْب ولا يابس إلّا في كتابٍ مبينٍ إلّا بعلمِه وبِقدرته. فَسُبحانَه سُبحانَهُ، سُبحانَهُ سُبحانَهُ، سُبحانَهُ سُبحانَهُ، ما أعظمَ شأنُه، وأجلّ سلطانُه، أللّهمّ صلِّ على محمّدٍ وآلِه واجعلنا مِن عتقائك وسعداء خَلْقِك بمغفرتك، إنّك أنت الغفور الرّحيم.[1]

قال الشّيخ المفيد عليه الرّحمة والرّضوان:

«فإذا حضرْتَ ليلة تسع عشرة، فاغتسل فيها قبل مغيب الشّمس، فإذا صلّيت المغرب ونوافلها الأربع والعشاء الآخرة فصلّ بعدها مائة ركعة، تكثر فيها من قراءة (**إنّا أنزلناه في ليلة القدر**) والصّلاة على رسول الله صلّى الله عليه وآله، والصّلاة على أمير المؤمنين وذريّته الأئمّة المهديّين صلوات الله عليهم أجمعين، والابتهال في اللّعنة والدّعاء على ظالِمِيهم، من الخَلق أجمعين، وتَجتهد في الدّعاء لنفسك، ولوالدَيك، ولإخوانِك من المؤمنين..»[2].

يوم ليلة القدر

في الأمور الدّنيويّة نحرص عادةً على اغتنام كلّ فرصة نحتمل حصول ربح بسببها، وكلّما كان احتمالُ الرّبح أكثر، اشتدّ الاهتمامُ وبالتّناسب معه، وهو من حيث المبدأ

١- أورد هذه الأدعية السيد في الإقبال: ١/ ٣٤٨-٣٤٩.
٢- الشيخ المفيد، المقنعة: ١٦٦-١٦٧.

أصلٌ عقلائيّ، إلّا أنّنا لا نهتمّ بتطبيقه في المجال الدّينيّ، فتفوتنا فُرَصٌ فريدةٌ هي من النّفحات الرّحمانيّة، التي ينبغي أن نتعرّض لها، ولا نُعرِض عنها.

من هذه الفرص المُهملة يومُ ليلة القدر، الّذي وَرد أنّه كليلةِ القدر في الفضيلة؛ ممّا يعني بوضوح أنّ الله تعالى طوّل ظرف ليلة القدر وخصائصه ليَشملَ اليوم التّالي، فيكون مُتَّسعُ فَيْضِ الرّحمة مُضاعفاً.

لا تتهاوَن بيوم القدر، اتّكالاً على ما عملتهُ في ليلته

قال السّيّد ابن طاوس عليه الرّحمة: «واعلم أنّ الرّواية من عدّة جهاتٍ عن الصّادقين، عن اللهِ جلّ جلالُه عليهم أفضل الصّلوات، أنّ **يومَ ليلةِ القدر مثلُ ليلته، فإيّاك أن تُهوِّن بنهار تسع عشرة، أو إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، وتتّكِل على ما عملتهُ في ليلتِها وتَستكثِره لمولاك، وأنتَ غافلٌ عن عظيم نعمتِه، وحقوقِ ربوبيَّته.** وكُن في هذه الأيّام الثّلاثة المعظّمات على أبلغ الغايات، في العبادات والدّعوات، واغتنام الحياة قبل الممات. ".." والمهمّ من هذه اللّيالي في ظاهر الرّوايات عن الطّاهرين ما قدّمناه من التّصريح، أن «أهمّها» ليلة ثلاث وعشرين، فلا تُهمل يومَها. فمن الرّواية في ذلك بأسنادنا عن هشام بن الحكم رضوان الله عليه، **عن أبي عبد الله الصّادق صلوات الله عليه، أنّه قال: يومُها مثل ليلتها -يعني ليلة القدر. وفي حديثٍ آخَر عن الصّادق** عليه السلام، **قال: هي في كلِّ سنةٍ ليلة، وقال: يومُها مثلُ ليلتِها. وفي حديثٍ آخر عن أبي عبد الله** عليه السلام، **أنّه سألَهُ بعضُ أصحابنا "..": كيف تكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟ قال: العملُ فيها خيرٌ من العمل في ألف شهرٍ، ليس فيه ليلة القدر، وقال أبو عبد الله** عليه السلام: **يومُها مثل ليلتها - يعني ليلة القدر، وهي تكون في كلّ سنة»**[1].

إنَّ ما نطمع للحصول عليه من مغفرة الله عزَّ وجلّ، يَستوجب أن نمضي بعض اللّيالي بالإحياء والتّهجّد والعبادة، ونواصل العمل بنفس الوتيرة في أيّام تلك اللّيالي، فإنّا قد نبذل جهداً مماثلاً أو مضاعفاً من أجل هدفٍ هو أقلّ بكثير من هذا الهدف المّصيريّ.

١- الإقبال: ١/ ٣٥٠.

١٩
شهر رمضان

* العشر الأواخر
* أعمالها الخاصة
* الاعتكاف
* دعاء اليوم التاسع عشر
* صلاة الليلة العشرين

العشر الأواخر

لليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان شخصيّة مميّزة ينبغي تقديم احترامٍ خاصٍّ لها يتجلّى بالاهتمام بها بما يتناسب مع كونها غاية الغاية ونقطة النهاية من القمّة التي بدأ السّير نحوها من أوّل ليلة من شهر رجب، ويتناسب أيضاً مع كونها قاعدة الانطلاق النموذجيّة نحو مدارج الكمال الإنساني، والتحليق في آفاق القرب التي لا تقع الجنّة إلّا محطّة في طريقها: ﴿..وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ٧٢.

عن مولانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «**لمّا كان أوّلُ ليلة من شهر رمضان قام رسول الله صلى الله عليه وآله، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها النّاس، قد كفاكم الله عدوّكم من الجنّ والإنس، ووعدكم الإجابة وقال: ﴿..ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ..﴾غافر:٦٠. ألا وقد وكّل الله سبحانه وتعالى بكلّ شيطانٍ مَريد سبعةً من الملائكة، فليس بمحلولٍ حتى ينقضيَ شهرُ رمضان، ألا وأبواب السماء مفتّحةٌ من أوّل ليلةٍ منه الى آخر ليلةٍ منه، ألا والدعاء فيه مقبول. حتّى إذا كان أوّل ليلة من العشر قام فحمد الله وأثنى عليه وقال مثل ذلك، ثمّ قام وشمّر وشدّ المئزر وبرز من بيته واعتكف وأحيا الليل كلّه، وكان يغتسل كلّ ليلة منه بين العشائين. فقلت: ما معنى شدّ المئزر؟ فقال: كان يعتزل النساء فيهنّ – وفي رواية أخرى: انه ما كان يعتزلهنّ**»[1].

وعن الإمام الصّادق عليه السلام: «**كان رسول الله صلّى الله عليه وآله، إذا دخل العشر الأواخر شدّ المئزر، واجتنب النّساء، وأحيا اللّيل وتفرغ للعبادة**»[2].

ولعلّ شدَّ المئزر كناية عن التشمير وبذل غاية الجهد[3].

وكان إذا دخلت العشر الأخيرة من شهر رمضان يطوى فراشه[4]. ولقد كان صلّى الله عليه وآله دائماً وفي كلّ الليالي المصداقَ الأوضح لقوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ و﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، إلّا أنّه صلّى الله عليه وآله كان في الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان يترك النّوم نهائيّاً لأنّها آخر ضيافة الرحمن، فينبغي أن نتعاطى معها على هذا الأساس اقتداءً بمن جعله الله تعالى الأسوة الحسنة للخلق.

الأعمال الخاصّة للعشر الأواخر

وقد تناقلت الأجيال اهتمامه صلّى الله عليه وآله بأعمالٍ خاصّةٍ في هذه العشر الخاتمة للشهر، تكشف بمجموعها عن شخصيّتها المميّزة، كما أكّد الأئمّة من عترته الذين

١- الإقبال:١/ ٧١-٧٢.

٢- العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء ٦/ ٢٣٦.

٣- فُسر بغير ذلك في ذيل الرواية المتقدمة عن الأمير عليه السلام فلاحظ.

٤- المحدث النوري، مستدرك الوسائل:٧/ ٤٧٠؛ والسيّد الطباطبائي، سُنن النبي: صلى الله عليه وآله ٣٢٢.

هم استمراراً له صلّى الله عليه وعليهم على أعمال خاصّة بها أيضاً، والمجموع كما يلي:

١- مجاورة سيّد الشهداء عليه السلام

قال السّيّد ابن طاوس: «ذكرُ ما نختار روايته من فضل المهاجرة إلى الحسين صلوات الله عليه في العشر الأواخر من شهر رمضان: روينا ذلك بأسنادنا "..." قال: سمعت الرضا عليّ بن موسى عليهما السلام يقول: عمرة في شهر رمضان تعدل حجّة، واعتكاف ليلة في شهر رمضان يعدل حجّة، واعتكاف ليلة في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وعند قبره يعدل حجّة وعمرة، ومن زار الحسين عليه السلام يعتكف عنده العشر "..." الغوابر من شهر رمضان فكأنّما اعتكف عند قبر النبيّ صلّى الله عليه وآله، ومن اعتكف عند قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله كان ذلك أفضل له من حجّة وعمرة بعد حجّة الإسلام. قال الرضا عليه السلام: وليحرصْ من زار الحسين عليه السلام في شهر رمضان ألاّ يفوتَه ليلة الجُهَنيّ عنده، وهي ليلة ثلاث وعشرين، فإنّها الليلة المرجوّة، قال: وأدنى الاعتكاف ساعة بين العشائين، فمن اعتكفها فقد أدرك حظّه -أو قال: نصيبه- من ليلة القدر».[١]

٢- الغُسل في كلّ ليلة

تقدّم في عمل الليلة الأولى واليوم الأوّل تعداد الموارد التي يُستحبّ فيها الغسل، وأنّه مستحبٌّ في كلّ ليلة، ويضاف إلى ذلك أنّ استحباب الغسل في كلّ ليلة من العشر الأواخر قد ورد الحثّ عليه كعنوان مستقلّ.

عن أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام قال: «كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يغتسل في شهر رمضان في العشر الأواخر في كلّ ليلة».[٢]

الاعتكاف

*** تعريفه:**

أ- هو اللّبث في مكان مخصوص للعبادة.[٣]

ب- الاعتكاف في اللغة هو اللّبث المتطاول، وفي الشرع قُيِّد بالعبادة.[٤] أي أنّه في الشرع

١- الإقبال: ١/ ٣٥٨.
٢- المصدر.
٣- الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد: ٦٣٥.
٤- المصدر: ٢٤٣.

اللّبث الطويل في مكان والإقامة فيه بنيّة العبادة. ولا يجوز الاعتكاف عند علمائنا أقلّ من ثلاثة أيّام بليلتين متواليات، خلافاً للعامّة كافّة، فإنّ الشافعي لم يقدّره بحدّ، بل جوَّز اعتكاف ساعة واحدة فأقلّ، وهو(منقول أيضاً) عن أحمد، وأبي حنيفة.[١]

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا يكون الاعتكاف أقلّ من ثلاثة أيّام ومن اعتكف صام**».[٢]

وقد تقدّم استحباب كونه عشرة أيام اقتداءً برسول الله صلّى الله عليه وآله.

* حقيقتُه

يمثّل الاعتكاف رفع وتيرة الصوم إلى أقصى الحدود الممكنة لكلّ صائم، وإتاحة الفرصة له لبلوغ أعلى الدرجات من خلال تهيئة أفضل مناخ أشدّ خصوصية ضمن المناخ الخاصّ أصلاً، الأمر الذي يجعل الاعتكاف نوعَ وقفٍ للنفس على طاعة الحقّ سبحانه ومجانبة الباطل، ودخولاً في دورة تدريبية طوعية ينحصر الانتساب إليها بالمشاركين في ضيافة الرحمن بالصوم، تهدف إلى نشر ثقافة «وقف النفس على الحق».

قال السّيّد ابن طاوس عليه الرحمة:

«واعلم أنّ كمال الاعتكاف هو إيقاف العقول والقلوب والجوارح على مجرّد العمل الصالح، وحبسها على باب الله جلّ جلاله ومقدّس إرادته، وتقييدها بقيود مراقباته، وصيانتها عمّا يصون الصائم كمال صونه عنه، ويزيد على احتياط الصائم في صومه زيادة معنى المراد من الاعتكاف، والالتزام بإقباله على الله وترك الإعراض عنه. فمتى أطلق المعتكف خاطراً لغير الله في طرق أنوار عقله وقلبه، أو استعمل جارحة في غير الطاعة لربّه، فإنّه يكون قد أفسد من حقيقة كمال الاعتكاف بقدر ما غفل أو هَوَّن به من كمال الأوصاف».[٣]

وهكذا نكون مع خصائص الاعتكاف أمام مفصل تربويّ بالغ الأهمّية لمن أراد تزكية نفسه والمضيّ في مدارج الكمال الإنساني، يجب أن يحتلّ موقعه الطبيعي في حركة العمل الثقافي والتربوي، لتصبح المساجد الجامعة في شهر الله تعالى مراكز إعداد نوعيّ قد لا يكون مُتاحاً إلّا من خلال الاعتكاف.

إنّها أمنية برسم المعنيّين.

١- المصدر:٢٤٢. بتصرف.

٢- المصدر:٢٤٣.

٣- الإقبال:١/٣٥٨. بتصرف يسير.

* فضلُه

قال السيّد: «**الاعتكاف في هذه العشر الأواخر من شهر رمضان عظيمُ الفضل والرّجحان، مقدّم على غيره من الأزمان. وقد روينا بعدّة طرق عن الشيخ محمّد بن يعقوب الكُليني، وأبي جعفر محمّد بن بابويه، وجدّي أبي جعفر الطوسي قدّس الله أرواحهم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يعتكف هذه العشرَ الأواخر من شهر رمضان**».[1]

وقال الشيخ الطوسي: «الاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان مستحبٌّ مندوبٌ إليه فيه فضل كثير "..." ويحتاج إلى شروط ثلاثة: **أحدها:** أن يعتكف في أحد المساجد الأربعة: المسجد الحرام أو مسجد النبيّ ﷺ أو مسجد الكوفة أو مسجد البصرة. **والثاني:** أن يصوم في زمان الاعتكاف. **وثالثها:** أن يكون ثلاثة أيّام فصاعداً. ويجب عليه أن يجتنب كلّما يجتنبُه المُحْرِم؛ من النساء، والطيب، والمماراة، والجدال. ويجب عليه أيضاً تركُ البيع والشراء والخروج عن المسجد إلّا لضرورة، والمشي تحت الظلال مع الاختيار، والقعودِ في غيره مع الاختيار، والصلاة في غير المسجد الذي اعتكف فيه إلّا بمكّة، فإنّه يصلّي كيف شاء وأين شاء، ومتى جامَع نهاراً لزمتْه كفّارتان، وإن جامع ليلاً لزمتْه كفّارة واحدة مثل ما يلزم من أفطر يوماً من شهر رمضان، وإذا مرض المعتكف أو حاضت المرأة خرَجا من المسجد، ثمّ يُعيدان الاعتكاف والصوم».[2]

وقال العلّامة الحلّي: «وقد أجمع المسلمون على استحبابه، لأنّ النبيّ ﷺ كان يعتكف في كلّ سنة، ويداوم عليه. وأفضل أوقاته العشر الأواخر من شهر رمضان. قال رسول الله ﷺ: **اعتكاف عشر في شهر رمضان يعدل حجّتين وعمرتين.** وداوَم على اعتكافها حتّى قبضه الله تعالى. فمن رغب إلى المحافظة على هذه السُنّة فينبغي أن يدخل المسجد قبل غروب الشمس يوم العشرين حتّى لا يفوته شئ من ليلة الحادي والعشرين».[3]

* مكانُـه

يُشترط أن يكون الاعتكاف في مسجد، والأفضل أن يكون المسجد الجامع، والأفضل منه في مسجدٍ صلّى فيه الجمعة نبيٌّ أو وصيّ.

قال العلّامة الحلّي: «وقد أجمع علماء الأمصار على اشتراط المسجد في الجملة، لقوله تعالى: ﴿..وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ..﴾ البقرة: ١٨٧».[4]

١- المصدر: ٣٥٧-٣٥٨.
٢- الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد: ٦٣٥-٦٣٦.
٣- العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء: ٦/ ٢٤٠.
٤- المصدر: ٢٤٦.

«وقال ابن أبي عقيل "..": يصحّ الاعتكاف في كلّ مسجد. وقال: وأفضل الاعتكاف في المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الكوفة، وسائر الأمصار مساجد الجماعات».[١]

* زمانُه

عن أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام قال: «**اعتكف رسول الله صلّى الله عليه وآله في أوّل ما فرض شهر رمضان في العشر الأوَل، وفي السنة الثانية في العشر الأوسط، وفي السنة الثالثة في العشر الأواخر، فلم يزلْ يفعل ذلك حتّى مضى**».[٢]

قال الشيخ الطوسي: «وأفضل الأوقات للاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان».[٣]

وقد تقدّم ذلك عن العلّامة الحلّي أيضاً.

٤- الأدعية الخاصّة

قال الشيخ الطوسيّ عليه الرحمة: «ونذكر الآن الدعاء المختصّ بالعشر الأواخر».[٤] ثمّ أورد الأدعية التي ترِد في المصادر المختلفة، والهدف هنا التنبيه على أنّ ممّا يدلّ على وجود عنوان مستقلّ ومميّز هو العشر الأواخر، أنّ لهذه الليالي أدعية خاصّة بها.

وهذه الأدعية الخاصّة بالعشر الأواخر على قسمين:

مايُدعى به في كلّ ليلة منها.

وما يُدعى به في ليلة واحدة منها.

وأكتفي هنا بذكر دعاءين يُدعى بهما في كلّ ليلة من العشر الأخيرة، وهما مرويّان عن الإمام الصادق عليه السلام.

١- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**تقول في العشر الأواخر من شهر رمضان كلّ ليلة: أعوذ بجلال وجهك الكريم أن ينقضي عنّي شهر رمضان، أو يطلع الفجر من ليلتي هذه، وبقي لك عندي تبعةٌ أو ذنب تعذّبني عليه يوم ألقاك**».[٥]

وقد روي بدون كلمتي «يوم ألقاك»، كما روي مع إضافة.[٦]

٢- عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه كان يقول بعد الفرائض والنوافل: «**أَللّٰهُمَّ أَدِّ عنّا حقّ ما مضى من شهر رمضان، واغفر لنا تقصيرنا فيه، وتسلّمه منّا مقبولاً،**

١- المصدر:٢٤٤.
٢- الإقبال:١/ ٢٣٠.
٣- المصباح: ٦٣٥.
٤- المصباح:٦٢٨.
٥- الإقبال:١/ ٣٦٥.
٦- أورد ه مع إضافات، الشيخ الطوسي، المصباح: ٦٢٨.

ولا تؤاخذنا بإسرافنا على أنفسنا، واجعلنا من المرحومين ولا تجعلنا من المحرومين. فمن قال ذلك غفر الله ما اجترح في ما مضى من شهر رمضان، وعصَمه في ما بقي».[1]

٥- زيادة النوافل في العشر الأواخر

كما ينبغي أن يلحظ في السياق المتقدّم ارتفاع وتيرة النوافل في العشر الأواخر، ليبلغ عدد نوافلها نصف نوافل شهر رمضان، بالإضافة إلى احتضانها أفضل ليلتين من الليالي التي يُرجى التوفيق فيها لليلة القدر.

دعاء اليوم التاسع عشر

«اللّهُمَّ وفِّر فيه حظّي من بركاته، وسهّل سبيلي إلى خَيْراته، ولا تحرمني قبول حسناته يا هادياً إلى الحقّ المبين».

لا يدرك المقيم في الظلمات مدى حرمانه والعمى، فإذا لاح له وميضُ نور، وبرَقَ له لامع من ضياء، طال منه الأنين وتواصل بثّ الشكوى والحنين.

تلك هي حال الداعي بعدما مضى من الشهر أكثره.

عمِيت عينٌ لا تراك عليها رقيباً "..." متى غبتَ حتى تحتاج إلى دليل

ومتى خفيَ الحقّ المبين الصراح حتّى لا يُرى، ومتى اتّضح العمى والغيّ والضلال؟

إلهي لفرط ضلالي لا أرى الحقّ. إنّه الضلال البعيد. حالت بيني وبينك الحُجُب، ولا سبيل إلى العودة إلّا بتوفيرك حظّي من البركات، وتسهيلك سبيلي إلى الخيرات، وتوفيقي إلى الطاعات والحسنات. بك عرفتُك، وبك يمكنني أن أعود إليك وأصِل. يا هادياً إلى الحقّ المبين.

صلاة الليلة العشرين

١- **حصّة هذه الليلة من الألف ركعة**: هي آخر ليلة تُصلَّى فيها عشرون ركعة بالترتيب المتقدّم. وبدءًا من الليلة القادمة تُصبح صلوات الليالي عبارة عن ثلاثين ركعة.

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«ومن صلّى ليلة عشرين ثماني ركعات (بما تيسّر) غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر».**[2]

٣- قال الكفعمي: «ويستحبّ أن يصلّي في كلّ ليلة من شهر رمضان ركعتين

١- الكفعمي، المصباح:٥٨٢. وقد أورده المحدث القمي في مفاتيح الجنان.

٢- الحر العاملي، وسائل الشيعة:٨/ ٣٩؛ الكفعمي، البلد الأمين:١٧٦. وما بين القوسين منه.

بالحمد".." والتوحيد ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: **سبحان من هو حفيظٌ لا يَغفل، سبحان من هو رحيمٌ لا يعجل، سبحان من هو قائمٌ لا يسهو، سبحان من هو دائمٌ لا يلهو.** ثمّ يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثمّ يقول: **سبحانك سبحانك يا عظيم. إغفر لي الذنب العظيم.** ثمّ تصلّي على النبيّ عشراً. من صلّاها غفر الله له سبعين ألف ذنب».[1]

١ - الكفعمي، المصباح:٥٦٣. الهامش.

٢٠

شهر رمضان

* في محراب عليّ عليه السلام
* الغريب المظلوم
* حبّ عليّ أو حبّ الدنيا
* يا سِرَّ ليلة القدر
* كيوم فقد المصطفى صلى الله عليه وآله
* فتح مكّة
* دعاء اليوم العشرين
* الليلة الحادية والعشرون
* فضيلتها
* الأعمال الخاصّة

في محراب عليّ عليه السلام

بين التاسع عشر والحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك يومان كانت قلوب المؤمنين تنزف فيهما دماً قبل أن تتفطّر أسىً ولوعة، ويتفجّر فوّار لهيبها فجيعةً بشهادة سيّد الوصيين عليّ عليه السلام.

إلى سيّدنا ومولانا بقيّة الله في الأرَضين أُقدّم العزاء بذكرى شهادة جدّه المرتضى عليه السلام.

من محراب أبي الحسن عليه السلام ينبغي الدخول إلى ليلة القدر، ومن محرابه نتذكّر فتح مكّة وكلّ جولات الإسلام الحاسمة ما بين بدر وحُنين، بل وما بين بدر والنّهروان.

وهل يُدرك أحدٌ ليلة القدر إذا لم يَدمِ قلبَه مصابُ شهيدها؟

وهل يمكن لأحد أن يكون ممّن ﴿..يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ النصر:٢، إذا لم يعِش الفجيعة بالمرتضى؟

بل هل يمكن لأحد أن يدّعي الإسلام إذا لم يخفق قلبه بحبّ علي؟

مصابٌ طالما أبكى المصطفى صلى الله عليه وآله، كيف أكون مقتدياً برسول الله إذا لم يُبكِني دماً؟

روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله التزم عليّاً (أي عانقه) وقبّل ما بين عينيه وقال: «**بأبي الشهيد. بأبي الوحيد الشهيد**».[1]

الغريب المظلوم

وهذه الليلة أيّها الموالون ذكرى غربة عليّ وذكرى شهادته. كان عليّ عليه السلام حاكماً يقود الجيوش وتحُفّ به الألوية، إلّا أنّه كان في الواقع غريباً غربة الحقّ بين أهل الباطل.

يقول ابن أبي الحديد: «وأعجب وأطرف ما جاء به الدهر -وإن كانت عجائبه وبدائعه جمّة- أن يُفضي أمرُ عليّ عليه السلام إلى أنّ يصير معاوية ندّاً له ونظيراً مماثلاً، يتعارضان الكتاب والجواب، ويتساويان في ما يواجه به أحدُهما صاحبه، ولا يقول له عليٌّ عليه السلام كلمة إلّا قال مثلها، وأخشن مَسّاً منها، فليْت محمّداً صلّى الله عليه وآله كان شاهد ذلك، ليرى عياناً لا خبراً أنّ الدعوة التي قام بها، وقاسى أعظم المشاقّ في تحمّلها، وكابد الأهوال في الذبّ عنها، وضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها، وشيّد أركانها، وملأ الآفاق بها، خلصت صفواً عفواً لأعدائه الذين كذّبوه، لمّا دعا إليها، وأخرجوه عن أوطانه لمّا حضّ عليها، وأدمَوا وجهه، وقتلوا عمّه وأهله، فكأنّه كان يسعى لهم ويدأب لراحتهم، كما قال أبو سفيان في أيّام عثمان، وقد مرّ بقبر حمزه، وضربه برجله، وقال: يا أبا عمارة! إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعّبون

١- أنظر: الشيخ المفيد، الأمالي:٧٤.

به! ثمّ آل الأمر إلى أن يفاخر معاوية عليّاً كما يتفاخر الأكفاء والنظراء».[1]

* وقد قال عليه السلام لابن عباس: «**قُرِنتُ بابن آكلة الأكباد، وعمرو، وعقبة، والوليد، ومروان، وأتباعهم، فمتى اختلَج في صدري وأُلقِيَ في روعي أنّ الأمر ينقاد إلى دنياً يكون هؤلاء فيها رؤوساً يطاعون..**».[2]

* كما أوضح عليه السلام ما كان عليه الناس من حوله حين قال لأحد أصحابه: «**والله لو أدخلت عليَّ عامّة شيعتي الذين بهم أقاتل، الذين أقَرّوا بطاعتي وسمّوني أمير المؤمنين واستحلُّوا جهاد من خالفني فحدّثتُهم ببعض ما أعلم من الحقّ في الكتاب الذي نزل به جبرئيل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم، لتفرّقوا عنّي حتّى أبقى في عصابة من الحقّ قليلة..**».[3]

* وروي عن المسيّب بن نَجَبَة أنّه قال: «بينا عليّ عليه السلام يخطب، إذ قام أعرابي وقال: وامظلمتاه (كان الإعرابي قد ظُلم من بعض الناس وأراد أن يشكو ظلامته إلى أمير المؤمنين عليه السلام) فاستدناه عليّ عليه السلام، فلمّا دنا قال: **إنّما لك مظلمةٌ واحدة وأنا قد ظُلمتُ عدد المدَر والوبر**».[4]

أيّها الموالي: ولكي تعيش بعض جوانب ظلامة الأمير عليه السلام، استعرِض مواقفه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، من بَدء البعثة فنُزول الآية المباركة ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء:٢١٤، مروراً بالهجرة وبدر وإلى فتح مكّة، واستعرِض ما جرى له بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

قاتل عليه السلام آل أبي سفيان في حروبهم لاستئصال الإسلام، وقاتلهم وهم يدّعون أنّهم أحقّ بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله منه، ولعنوه على منابر رسول الله مائة عام.

كان سلام الله عليه يحذو حذو رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قاتل على التأويل كما قاتل على التنزيل، **لا تأخذه في الله لومة لائم، قد وتر فيه صناديد العرب وقتل أبطالهم وناوش ذؤبانهم فأودَع قلوبهم أحقاداً بدرية وخيبرية وحنينية وغيرهم، فأضبّت على عداوته وأكبّت على منابذته حتّى قتل الناكثين والقاسطين والمارقين.** كما ورد في دعاء النُدبة.

واستعرِض أيّها الموالي ما جرى على أهل البيت بعد أمير المؤمنين عليه السلام، خصوصاً ما جرى في كربلاء من منع الماء عن أبي عبد الله حتّى عن طفله الرضيع، وسَبي زينب بنت أمير المؤمنين بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله.

١- إبن أبي الحديد، شرح النهج: ١٦/ ١٣٦.
٢- المحدث القمي (الشيخ عباس) بيت الأحزان: ٩٢.
٣- المجلسي، البحار٥٣/ ٧٠.
٤- أنظر: إبن شهراشوب، المناقب: ١/ ٣٨٢. ومحمد طاهر القمي الشيرازي، كتاب الأربعين: ١٧٦. والمجلسي، البحار: ٢٨/ ٣٧٤.

استعرض ذلك لتعيش جوانب من تلك الظلامة، وتشارك رسول الله ﷺ الحزن على مصاب أمير المؤمنين.

أوَلم يبكِ المصطفى الحبيب في آخر جمعة من شعبان عندما أورد خطبته المباركة حول شهر رمضان، وفي آخر الخطبة **سأله أمير المؤمنين** عليه السلام: «**ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟** فقال صلّى الله عليه وآله: **أفضل الأعمال الورع عن محارم الله، ثمّ بكى..** سأله أمير المؤمنين ما يبكيك؟ **قال: يا عليّ! أبكي لما يُستحلّ منك في هذا الشهر، كأنّي بك وأنت تصلّي لربّك وقد انبعث أشقى الأوّلين والآخرين، شقيق عاقر ناقة ثمود، فيضربك ضربةً على قرنك تخضّب منها لحيتك**».

حبّ عليّ أو حبّ الدنيا

في ذكرى شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، ينبغي إذاً أن نشارك رسول الله ﷺ تفجّعه، ولن تكون المشاركة حقيقيّة إلّا إذا حاولْنا أن نعرف سبب ظلامة أمير المؤمنين عليه السلام.

إنّه-أيها الأعزاء- حبّ الدنيا!

حبّ الدنيا هو الذي جعل معاوية وأضرابه يُقدمون على ما أقدموا عليه.

حبّ الدنيا هو الذي جعل أكثر الناس يتخاذلون عن عليّ، ثمّ الحسن عليه السلام وينصرون معاوية.

حبّ الدنيا هو الذي استنفر أهل الكوفة فوقفوا ضدّ الإمام الحسين عليه السلام.

روي عن عليّ عليه السلام: «**كما أنّ الشمس والليل لا يجتمعان، كذلك حبّ الله وحبّ الدنيا لا يجتمعان**».[1]

وبما أنّ حبّ عليّ فرْعُ حبّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهو أيضاً فرع حبّ الله تعالى، فحبّ الدنيا وحبّ المصطفى لا يجتمعان، وحبّ الدنيا وحبّ عليّ لا يجتمعان.

لقد ادّعى التشيُّع لعليّ عليه السلام كثيرون، فسقطوا في الامتحان، وكشفتْهم الدنيا، وفضحهم حبُّها.

ماذا أخذ عليّ من الدنيا وكم نأخذ منها؟

«**ليلةَ التاسع عشر من شهر رمضان قدّمت بنت أمير المؤمنين** عليه السلام **له طعام إفطاره: طَبقاً فيه قرصان من خبز الشعير، وقصعة فيها لبن وملح جريش (أي خشن)، فلمّا فرغ من صلاته أقبل على فطوره، فلمّا نظر إليه وتأمّله حرّك رأسه وبكى بكاءً شديداً عالياً وقال: "..** أتريدين أن يطول وقوفي غداً بين يدي الله عزَّ وجلّ يوم

١- المحدث النوري، مستدرك الوسائل: ١٢/ ٤٢.

القيامة؟ أنا أريد أن أتّبع أخي وابن عمي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ما قُدِّم إليه إدامان في طبق واحد إلى أن قبضه الله، يا بُنيَّه: ما من رجل طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلّا وطال وقوفه بين يدي الله عزَّ وجلّ يوم القيامة. يا بنيَّه إنّ الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب».[1]

كان الناس مع معاوية لأنّهم كانوا مع حبّ الدنيا، فقد كانت مهمّة معاوية الشيطانية أن يعمل على تجذير حبّ الدنيا في قلوب الناس فيبعدهم عن حبّ الله تعالى ورسوله المصطفى صلّى الله عليه وآله ونفسه المرتضى وسائر أوليائه.

تفرّق الناس عن عليّ عليه السلام لأنّه كان يريد لهم أن يتجذّر إيمانُهم ويقوَى، فتتعزّز إنسانيّتهم.

وطريق الإيمان الذي هو الإنسانيّة الحقّ لا المدّعاة «**كبيرة إلّا على الخاشعين**».

كان عليٌّ عليه السلام –وما يزال– يريد للنّاس الجنّة، والفردوس وأعلى علّيين، وكان معاوية يريد للنّاس النّار وأسفل سافلين.

والصعود رقيٌّ يستتبع الجهد والمراقبة وشدّ الانتباه والعزم، أمّا السقوط فهو التحلّل من ذلك كلّه.

كيف يمكنني أن أحزن على عليّ عليه السلام إذا كنت أحبّ الدنيا؟

سيّدي يا أمير المؤمنين: لفرط اشتباكي بالدنيا أريد أن أجمع بين حبّك وحبّ الدنيا– وهو محال كالجمع بين الليل والنهار– آخذ من عليّ بعض ما أريد وآخذ من الدنيا كلّ ما أستطيع وأسمّي ذلك بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان: ورعاً تارة، أو زهداً أو جهاداً! وأظلُّ مذبذباً لا مع أهل الدنيا في إقبالهم عليها ولا مع عليّ في طلاق الدنيا «غرّي غيري»، والانقطاع إلى الله تعالى.

يا سِرَّ ليلة القدر

سيّدي: في ليلة القدر يا سرَّها، سائل أنا وقف ببابك وهو باب المصطفى وباب الله تعالى، لا أريد شيئاً؛ لا مالاً، ولا حطاماً. أريد رضاك.

أعلم سيّدي أنّي سائل مثقِلٌ مِلحاح، أستحقّ الطرد، ولكنّي أعلم أنّك لا تطرد سائلاً توجّه بك إلى الله تعالى «من الذنوب هارباً»، خصوصاً في ليلة القدر التي جعلها الله تعالى رحمة لعباده، ليرجع الآبقون ويهتدي الضالّون.

***

١- المجلسي، البحار: ٤٢/ ٢٧٦.

يا إلهي وإله العالمين، اللّهُمَّ لو وجدتُ أقربَ إليك من محمّد المصطفى وأهل بيته الأطهار صلواتك عليه وعليهم لتوسَّلت إليك بهم، اللّهُمَّ إنّي أسألك بلوعة نبيك المصطفى لشهادة أمير المؤمنين عليه السلام إلّا ما وفّقتنا لليلة القدر.

اللّهُمَّ إنّي أسألك بحرمة أمير المؤمنين عليه السلام إلّا ما منَنتَ علينا بعتق رقابنا من النار.

كيوم فقْد المصطفى صلى الله عليه وآله

أيّها المؤمنون: عظّم الله أجوركم.

في مثل هذه الليلة، جمع أمير المؤمنين عليه السلام أولاده وأهل بيته وودّعهم، وكان ممّا قاله لهم:

يا أبا محمّد ويا أبا عبدالله! كأنّي بكما وقد خرجتْ عليكما من بعدي الفتن من ههنا، فاصبرا حتّى يحكم الله وهو خير الحاكمين. ثمّ قال: **يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأمّة، فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه.** ثمّ أغمي عليه ساعة، وأفاق وقال: **هذا رسول الله صلّى الله عليه وآله، وعمّي حمزة وأخي جعفر، وأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، وكلّهم يقولون: عجِّل قدومك علينا فإنّا إليك مشتاقون.**

ثمّ أدار عينيه في أهل بيته كلّهم وقال: **أستودعكم الله الله جميعاً، سدّدكم الله جميعاً، حفظكم الله جميعاً، خليفتي عليكمُ الله، وكفى بالله خليفة.**

ثمّ قال: **وعليكم السلام يا رُسل ربي.**

ثمّ قال: **لمثل هذا فليعمل العاملون. إنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.**

وعرق جبينه وهو يذكر الله كثيراً، وما زال يذكر الله كثيراً ويتشهّد الشهادتين.

ثمّ استقبل القبلة وغمّض عينيه ومدّ رجليه ويديه وقال: **أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله.** ثمّ التحق بجوار الله تعالى.

وارتفعت الصيّحة، وارتجّت الكوفة بأهلها، وكثر البكاء والنحيب والعجيج، وكان يوماً كيوم فقْد رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وعلى القبر الشريف وقف صعصعة بنُ صَوحان العبدي ينوء بثقل الفجيعة، وثقلِ همّ غربة المؤمنين بعد أميرهم. وضع صعصعة إحدى يديه على فؤاده، والأخرى قد أخذ بها التّراب يضرب به على رأسه وهو يقول:

بأبي أنت وأمّي يا أمير المؤمنين، ثمّ قال:

هنيئاً لك يا أبا الحسن، فلقد طاب مولدُك وقَوِيَ صبرُك وعظُم جهادك، "..." وربحَتْ تجارتُك، وقدِمت على خالقك، فتلقّاك الله ببشارته، وحفّتْك ملائكتُه ، "..." فأكرمك الله بجواره، ولحقتَ بدرجة أخيك المصطفى، وشربت بكأسه الأوفى، فاسأل الله أن

يمنّ علينا باقتفائنا أثرك والعمل بسيرتك، والموالاة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك، فقد نلت ما لم يَنلْه أحد، وأدركت ما لم يدْركه أحد، وجاهدت في سبيل ربّك بين يدي أخيك المصطفى حقّ جهاده، وقمتَ بدين الله حق القيام، حتى أقمت السنن، وأَبَرْتَ الفِتن، واستقام الإسلام، وانتظم الإيمان، فعليك منّي أفضل الصلاة والسلام، ".." سبقتَ إلى إجابة النبي صلى الله عليه وآله مقْدِماً مؤْثراً، وسارعتَ إلى نُصرته، ووَقَيْتَه بنفسك، ورميْت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوْف والحذر، قصم الله بك [كلّ جبّار عنيد، وأذلّ بك] كلّ ذي بأس شديد، وهدم بك حصون أهل الشرك والكفر والعدوان والردى، وقتل بك أهل الضلال من العدى، فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين، كنتَ أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله قرباً، وأوّلهم سِلماً، وأكثرهم علماً وفهماً، فهنيئا لك يا أبا الحسن»...» فوالله لقد كانت حياتك مفاتح للخير ومغالق للشرّ، وإنّ يومك هذا مفتاح كلّ شر ومغلاق كلّ خير»..» ثمّ بكى بكاء شديداً وأبكى كلّ من كان معه.[1]

سلام عليك سيّدي يا صاحب العصر والزمان، وعظّم الله لك الأجر. وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

فتْح مكّـة

قال الشيخ المفيد: «وفي العشرين منه سنة ثمان من الهجرة كان فتح مكّة، وهو يوم عيدٍ لأهل الإسلام، ومسرّةٍ بنصر الله تعالى نبيّه عليه السلام، وإنجازه له ما وعده، والإبانة عن حقّه، وبإبطال (الأصنام)».[2]

دعاء اليوم العشرين

اللّهُمَّ افتح لي فيه أبواب الجنان، وأغلِق عنّي فيه أبواب النيران، ووفّقني فيه لتلاوة القرآن. يا منزل السّكينة في قلوب المؤمنين.

إلهي، في هذا اليوم وعلى مشارف هذه الليلة التي كَتبْتَ فيها على نفسك رحمة لا توصف، افتح لي أبواب الجنان ووفّقني للعمل الذي تُغلق به عنّي أبواب النيران، واجعلني من أوليائك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وارزقني بتلاوة كتابك يقيناً تثبت به هذا الفؤاد الهلوع. يا منْزل السكينة في قلوب المؤمنين.

١- المجلسي، البحار: ٤٢/ ٢٩٥-٢٩٦.

٢- الشيخ المفيد، مسارّ الشيعة: ٢٦.

الليلة الحادية والعشرون

١- فضيلتها

وهي أفضل من كلّ ما تقدم الحثّ عليه من الليالي، ولا يفُوقها في الفضل إلّا ليلة الجُهَني، الليلة الثالثة والعشرون.

قال السيّد: «وليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان بلا خلاف، وهي ليلة الإفراد بلا خلاف. وقال أصحابنا: هي إحدى الليلتين: إمّا ليلة إحدى وعشرين أو ثلاثٍ عشرين».[١]

وقد مرّ في عمل الليلة التاسعة عشرة قوله: «ولعمري إنّ الأخبار واردة ومؤكّدة في ليلة إحدى وعشرين منه أكثر من ليلة تسع عشرة، وفي ليلة ثلاث وعشرين أكثر من ليلة تسع عشرة ومن ليلة إحدى وعشرين».[٢]

كما تحدّث في مكان آخر حول الروايات التي تحثّ على الاهتمام بليالي القدر الثلاث، فبيّن أنّ لكل ليلة منها مرتبةً من الأهميّة والفضيلة مستقلّةً عمّا سواها، وهو ما يحتّم الاهتمام بالجميع. قال رحمه الله:

«وقد كنت أجد الروايات متظاهراتٍ بتعظيم هذه الثلاث ليال المفردات: ليلة تسع عشرة وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين، فربّما اعتقدت أنّ تعظيمها لمجرد احتمال أن تكون واحدة منها ليلة القدر، ثمّ وجدت في الأخبار أنّ كلّ ليلة من هذه الثلاث ليال المذكورة فيها أسرارٌ لله جل جلاله وفوائد لعباده مذخورة، فمن ذلك ما رويتُه "..." عن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: التقدير في ليلة تسع عشرة، والإبرام في ليلة إحدى وعشرين، والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين. "..." وقال الصادق عليه السلام: في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان التقدير، وفي ليلة إحدى وعشرين القضاء، وفي ليلة ثلاث وعشرين إبرام ما يكون في السنة إلى مثلها، ولله عزّ وجلّ أن يفعل ما يشاء في خلقه».[٣]

٢- الإسراء. رفعُ عيسى. قبضُ موسى، ووصيِّه، وسيّد الأوصياء

قال الشيخ المفيد: «وفي ليلة إحدى وعشرين منه كان الإسراء برسول الله صلّى الله عليه وآله، وفيها رفع الله عيسى بن مريم عليهما السلام، وفيها قُبض موسى بن عمران عليه السلام، وفي مثلها قُبض وصيّه يوشع بن نون عليه السلام، وفيها كانت

١- الإقبال: ١/ ١٤٩

٢- الإقبال: ١/ ٣١٢. بتصرف يسير.

٣- الإقبال: ١/ ١٤٩-١٥٠.

وفاة أمير المؤمنين عليه السلام سنة أربعين من الهجرة وله يومئذٍ ثلاث وستّون سنة، وهي الليلة التي يتجدّد فيها أحزان آل محمّد عليهم السلام وأشياعهم».[1]

وقد روي أنّ الإمام الباقر عليه السلام كان في الليلة الحادية والعشرين يدعو حتّى منتصف الليل ثمّ يبدأ بالصلاة.[2]

كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام إحياؤها بالعبادة، قال الراوي:

«دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان، فقال لي: يا حَمّاد اغتسلت؟ قلت: نعم جُعلت فداك، فدعا بحصير، ثمّ قال: إلى لِزْقي فصلِّ. فلم يزل يصلّي وأنا أصلّي إلى لِزْقه حتّى فرغنا من جميع صلاتنا، ثمّ أخذ يدعو وأنا أؤمّن على دعائه إلى أن اعترض الفجر، فأذّن وأقام ودعا بعض غلمانه، فقمنا خلفه فتقدّم وصلّى بنا الغداة، فقرأ بفاتحة الكتاب وإنّا أنزلناه في ليلة القدر في الأولى، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد. فلمّا فرغنا من التسبيح والتحميد والتقديس والثناء على الله تعالى، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله، والدعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأوّلين والآخرين، خرّ ساجداً ولا أسمع منه إلّا النفَس ساعةً طويلة، ثمّ سمعتُه يقول: لا إله إلّا أنت مقلّبُ القلوب والأبصار، لا إله إلّا أنت خالقُ الخلق بلا حاجةٍ فيك إليهم».[3]

٣- الأعمال الخاصّة

الأعمال الخاصّة بالليلة الحادية والعشرين، هي:

١- الغسل

أورد الشيخ الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث: **«وغُسل ليلة إحدى وعشرين، وغسل ليلة ثلاث وعشرين سنّةٌ لا تتركهما، فإنّه يُرجى في إحداهنّ ليلة القدر».**[4]

وعن الإمام الرضا عليه السلام في معرض حديثه عن جانب من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في شهر رمضان: **«فلمّا كان ليلة إحدى وعشرين اغتسل حين غابت الشمس، وفَعل فيها مثل ما فعل في ليلة تسع عشرة».**[5]

وقال الشيخ المفيد: «والغسل فيها كالذي ذكرته ".." ليلة تسعة عشر حسب ما قدّمناه».[6]

١- الشيخ المفيد، مسارُّ الشيعة: ٢٦.
٢- المحدث القمي، مفاتيح الجنان، أعمال الليلة الواحدة والعشرين نقلاً عن الكليني في الكافي.
٣- الإقبال: ١/ ٣٦٦.
٤- الكليني، الكافي: ٣/ ٤٠.
٥- الإقبال: ١/ ٥٠.
٦- مسارّ الشيعة: ٢٦.

٢- الإكثار من الصلاة على محمّد وآله صلّى الله عليه وآله.

أورد الشيخ المفيد في (مسارِّ الشيعة) في عداد أعمال الليلة «الإكثار من الصلاة على محمّد وآل محمد عليهم السلام».[١]

وسيأتي في كلامه حول صلاة المائة ركعة قوله:

«تفصل بين كلّ ركعتين بالإكثار من الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين والأئمّة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين».

٣- لعنُ قتَلة أمير المؤمنين عليه السلام.

قال الشيخ المفيد: «وتُكثر من الابتهال إلى الله تعالى في تعذيب قتلة أمير المؤمنين عليه السلام وذرّيّته الراشدين عليهم السلام، واللّعنة لهم بأسمائهم، ومن أسّس لهم ذلك، وفتح لهم فيه الأبواب، وسهّل الطُرُق، ومن اتّبعهم على ذلك من سائر العالمين، وتجتهد في الدعاء لنفسك، ولوالديك، ولإخوانك من المؤمنين».[٢]

وقال في (مسارِّ الشيعة):

«والاجتهاد في الدعاء على ظالميهم، ومواصلة اللّعنة على قاتلي أمير المومنين عليه السلام، ومن (سهّل الطرق وأعان) على ذلك وسبّبه، ".." ورضيَه من سائر الناس».[٣]

٤- الصلوات

أ- صلاة مائة ركعة

قال الشيخ المفيد في (المُقنِعة): «فإذا كانت ليلة إحدى وعشرين، وهى الليلة التى قُبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام اغتسلْتَ قبل مغيب الشمس كما صنعْتَ ليلة تسع عشرة، وصلّيتَ بعد العشاء الآخرة مائة ركعة، تقرأ فيها بإحدى السورتين المقدّم ذكرهما (الإخلاص أو القدر) تفصل بين كلّ ركعتين بالإكثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين والائمّة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين».[٤]

وقال السيّد في بيان نوافل شهر رمضان:

«وفي العشر الأواخر(تصلّي) ثلاثين ركعة في كلّ ليلة، في كلّ ركعة عشر مرات: قل هو الله أحد، فإن لم يكن فمرّة، إلّا في ليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين، فإنّ فيهما مائة ركعة في كلّ ركعة بعد فاتحة الكتاب عشر مرات قل هو الله أحد».[٥]

١- مسارُّ الشيعة: ٢٧.
٢- المقنعة: ١٦٧.
٣- الشيخ المفيد، مسارُّ الشيعة٢٧. وما بين القوسين مصحح في ضوء ماتقدم منه عن المقنعة.
٤- الشيخ المفيد، المقنعة: ١٦٧.
٥- الإقبال: ١/ ٤٨.

ب - حصّة هذه الليلة من الألف ركعة: وهي ثلاثون ركعة، ثمان منها أو اثنتا عشرة بعد المغرب والباقي بعد العشاء، بالحمد مرّة والتوحيد مرّة أو ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو عشراً كما تقدّم.

ج- عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «ومن صلّى ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان ثماني ركعات (بما تيسر) فُتحت له سبعُ سماوات واستُجيب له الدعاء، مع ما له عند الله من المزيد».[1]

٣- **قال الكفعمي**: «ويستحبّ أن يصلّي في كلّ ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد».. والتوحيد ثلاثاً، فإذا سلّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثمّ يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثمّ يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثمّ تصلّي على النبيّ عشراً. من صلّاها غفر الله له سبعين ألف ذنب».[2]

في الختام يجدر التأكيد على أهمّية أيّام القدر، وأنّه ينبغي الإنشغال فيها بالعبادة، فقد روي أنّ يوم القدر مثل ليلته.

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٤٠؛ والكفعمي، البلد الأمين: ١٧٦ والتوضيح بحسبه.
٢- الكفعمي، المصباح: ٥٦٣. الهامش.

٢١

شهر رمضان

* أدعية العشر الأواخر
* أن تجعل اسمي في السعداء.
* دعاء اليوم الحادي والعشرين
* صلاة الليلة الثانية والعشرين

أدعية العشر الأواخر

تقدّم أن للأيام العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك أهمّية خاصّة، فهي ذروة ضيافة الله تعالى بدليل احتضانها ليلة القدر وليلة الفطر التي لا تقلّ أهميةً عن ليلة القدر، وقد ورد الحثّ على الجِدّ في العبادة في العشر الأواخر اقتداءً برسول الله، فقد كان صلّى الله عليه وآله يطوي فراشه فلا ينام في ليالي هذه الأيّام، حتّى تلك الفترة القليلة التي كان ينامها في سائر الليالي.

وقد وردت أدعيةٌ خاصّة لهذه الليالي العشر تكشف ما ينبغي أن نركّز عليه في الدعاء طيلة هذه الأيّام والليالي.[1]

وترِد في هذه الأدعية جميعاً فقرة تأتي ختاماً لدعاء كلّ ليلة، وهذه الفقرة مسبوقة في الأدعية كلّها بأسماء لله تعالى وصفات تختلف من ليلة إلى ليلة، والفقرة المشتركة هي كما يلي:

«أسألك أن تصلّيَ على محمّدٍ وآل محمّد وأن تجعل اسمي في هذه الليلة في السعداء، وروحي مع الشهداء، وإحساني في علّيين، وإساءتي مغفورة، وأن تهَبَ لي يقيناً تُباشر به قلبي، وإيماناً يُذهب الشكّ عني، وترضّني بما قسمت لي، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار الحريق، وارزقني فيها ذكرك وشكرك والرغبة إليك، والإنابة والتوفيق لما وفّقتَ له محمداً وآل محمد عليه وعليهم السلام».

ومن الواضح أنّ اشتراك جميع أدعية الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك في هذه الفقرة يكشف عن أهميّة مضامينها، لذلك ينبغي التدبّر فيها جيداً. (للمزيد، يراجع أصل هذا الكتاب).

دعاء اليوم الحادي والعشرين

أللّهُمَّ اجعل لي فيه إلى مرضاتك دليلاً، ولا تجعل للشيطان عليّ فيه سبيلاً، واجعل الجنّة لي منزلاً ومَقيلاً. يا قاضيَ حوائج الطالبين.

إلهي هل يهتدي الضّالّ في صحراء قلبه إلى واضح الطريق بدون دليل؟

كلّ ما في هذا القلب هوى النفس والضّلال، ولا هدىً إلّا في ما يُرضيك.

يا دليل المتحيّرين خذ بيدي، واجعل لي إلى مرضاتك دليلاً، وأدخلني في عبادك المخلَصين الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، لأصلَ إلى دار القرار، يا نعمَ المولى يا قاضي حوائج الطالبين.

١- تقدمت الإشارة إلى أن الشيخ الطوسي أورد أدعية الليالي العشر الأخيرة في المصباح: ٦٢٨.

صلاة الليلة الثانية والعشرين

١- حصّة هذه الليلة من الألف ركعة: هي ثلاثون ركعة، ثمانٍ منها أو اثنتا عشرة بعد المغرب والباقي بعد العشاء، بالحمد مرّة والتوحيد مرّة أو ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو عشراً كما تقدّم.

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ومن صلّى ليلة اثنتين وعشرين من شهر رمضان ثماني ركعات (بما تيسر) فُتحت له ثمانية أبواب الجنّة يدخل من أيّها شاء».[١]

٣- قال الكفعمي: «ويستحبّ أن يصلّي في كلّ ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد".." والتوحيد ثلاثاً، فإذا سلّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يَغفل، سبحان من هو رحيمٌ لا يعجل، سبحان من هو قائمٌ لا يسهو، سبحان من هو دائمٌ لا يلهو. ثمّ يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثمّ يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثمّ تصلي على النبيّ عشراً. من صلّاها غفر الله له سبعين ألف ذنب».[٢]

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٤٠؛ والكفعمي، البلد الأمين: ١٧٦، وما بين القوسين منه.
٢- الكفعمي، المصباح: ٥٦٣. الهامش.

٢٢

شهر رمضان

* دعاء اليوم الثاني والعشرين
* ليلة الجُهَني
* الروايات ورأي العلماء
* معنى القـدْر
* ليلـة صـاحب الأمـر
* علامات ليلة القدر
* أعمال الليلة الثالثة والعشرين

دعاء اليوم الثاني والعشرين

أَللّٰهُمَّ افتح لي فيه أبواب فضلك، وأنزِلْ عليّ فيه أبواب بركاتك، ووفّقني فيه لموجبات مرضاتك وأسكنّي فيه بحبوحات جنّاتك يا مجيب دعوة المضطرين.

بديهيٌّ أن يكون من مهامّ هذا الدعاء الإعداد لليلة القدر، وفي ظلاله يقرأ القلب:

إلهي، إذا أسفر الصبح من ليلة القدر ولم يكن اسمي في ديوان السعداء فأيَّ باب أطرق وإلى من أتوجه؟ ما أظنّك يا أرحم الراحمين تردّني في حاجة أفنيت عمري في طلبها. ما هكذا الظن بك ولا المعروف من فضلك. لا أسألك اتّكالاً على عملي وإنما أقف بأبواب فضلك اتّكالاً عليك. وحقٌّ لمن أحسن بك ظناً أن يطمع بعِلّيّين ومرافقة النبيّين إنك نِعمَ المولى وإن كنتُ بئس العبد.

من لي غيرك أسأله كشف ضرّي والنظر في أمري يا مجيب دعوة المضطرين.

ليلة الجُهَني

ها نحن على مشارف الليلة الثالثة والعشرين.

إنّها أفضل ليالي القدر على الإطلاق.

ويجدُ المتأمّل في الروايات أنّها تقرن الحديث عن الليلتين السابقتين بالحديث عن امتياز هذه الليلة، فهناك حرمة وفضيلة للّيلة التاسعة عشرة إلّا أنّ حُرمة الليلة الحادية والعشرين أكبر وفضيلتها أكثر، ولكنّها رغم ذلك دون فضيلة الليلة الثالثة والعشرين، التي تقع في المرتبة الأولى، بل هي ليلة القدر على الإطلاق، وإن كان لسابقتَيها ولليلة النصف من شعبان مدخليّة في التقدير، فذلك مرتبط بهذه الليلة ومتفرعٌ عليها.

وقد حظِيَتْ هذه الليلة من رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام بعناية لم تحظَ بها أيّ ليلة على الإطلاق، فقد روي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنّ رسول الله ﷺ كان "..**يوقظ أهله ليلة ثلاث وعشرين، وكان يرشّ وجوه النيام بالماء في تلك الليلة، وكانت فاطمة عليها السلام، لا تدَعْ أحداً من أهلها ينام تلك الليلة، وتُداويهم بقلّة الطعام، وتتأهّب لها من النهار، وتقول: محرومٌ من حُرِم خيرها**»[1].

إنّها ليلة الجُهَني. بهذا الاسم عُرِفت عبر القرون وما تزال، تمييزاً لها عمّا سواها، وشدّاً للانتباه لاستثمار كلّ لحظة من لحظاتها العظيمة.

١- المحدث النوري، مستدرك الوسائل: ٧/ ٤٧٠.

ما معنى «الجُهَنِيّ»؟

كان بالقرب من المدينة مسلمٌ من قبيلة جُهَينة، و كانت له إبلٌ وأغنام لا يستطيع أن يتركها ليدخل إلى المدينة المنوّرة ثلاث مرّات لإحياء ليالي القدر، فسأل رسول الله ﷺ في محضر من المسلمين أن يحدّد له ليلة يدخل المدينة فيها لإحيائها بالتهجّد والعبادة، فأسرّ إليه المصطفى صلّى الله عليه وآله الجواب. والنتيجة أنّ الحاضرين قد سمعوا السؤال ولم يسمعوا الجواب، إلّا أن هذا الجُهَنِيّ -وهي النسبة إلى قبيلته جُهينة- كان يشاهَد في ما بعد يدخل إلى المدينة في الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان المبارك، وقد ربط المسلمون بين السؤال وما التزم به الجُهَنِيّ، فسُمّيت هذه الليلة بليلة الجُهَنِيّ.

* ملاحظات

١- اسم الجُهَنِيّ: «عبد الرحمن بن أنيس الأنصاري».[١]

٢- خبر الجُهَنِيّ مرويّ عن الإمام الباقر عليه السلام، قال الراوي:

«سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ الجُهَنِيّ أتى إلى رسول صلّى الله عليه وآله فقال له: يا رسول الله إنّ لي إبلاً وغنماً وغلمة، فأحبّ أن تأمرني ليلة أدخل فيها فأشهد الصلاة، وذلك في شهر رمضان، فدعاه رسول الله صلّى الله عليه وآله فسارّه في أذنه. قال: فكان الجُهَنِيّ إذا كانت ليلة ثلاث وعشرين دخل بإبله وغنمه وأهله وولده وغلمته، فكان تلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين بالمدينة، فإذا أصبح خرج بأهله وغنمه وإبله إلى مكانه».[٢]

٣- قال الشيخ الطوسي: «وإنّما لم تُعَيّن هذه الليلة ليتوفّر العباد على العمل في سائر الليالي».[٣]

فلْنغتنم أيّها العزيز كلّ لحظة يمكننا استثمارها من ليلة الجُهَنِيّ.

معنى القـدْر

قال الشيخ الطوسي: والقدْرُ كون الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان، وليلة القدر هي:

١- الليلة التي يحكم الله فيها ويقضي بما يكون في السنة بأجمعها من كلّ أمر "..." يقال: قدر الله هذا الأمر يقدره قدراً إذا جعله على مقدار ما تدعو إليه الحكمة.

٢- وقيل: فسّر الله تعالى ليلة القدر بقوله: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ الدخان:٤.

١- الإقبال: ١/ ٣٧٥.

٢- المصدر.

٣- الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٣٨٤.

٣- وقيل: سُمّيت ليلة القدر لعظم شأنها وجلالة موقعها، من قولهم: فلانٌ له قدر. والأوّل أظهر.

ففي ليلة القدر تُحدَّد الأمور على مقاديرها (التي) جعلها الله في الآجال والأرزاق، والمواهب التي يجعلها الله للعباد. ويقع فيها غفران السيئات ويعظُم منزلة الحسنات على ما لا يقع في ليلة من الليالي».[1]

ومن الواضح أنّ مراد الشيخ رضوان الله تعالى عليه من «المساواة» ما فسّره بقوله: «ما تدعو إليه الحكمة». وهو يعني أنّ التساوي يقع بين المقدّمات والنتائج وفق موازين الرحمة والعدل، فيُعطَى كلُّ شخصٍ وكلّ جماعةٍ وكلّ مخلوقٍ عموماً، ما ينسجم مع هذه الموازين الإلهيّة، حتّى إذا لم تتحقّق به المساواة بين الناس أو بين المخلوقات، بمعنى أن يأخذ الجميع حصّة واحدة متساوية.

ليلة القدر إذاً، هي ليلة القانون الإلهيّ الذي يحكم الوجود كلّه، على قاعدة الإمهال.

ليلة صاحب الأمر

الحقيقة الصُّراح التي يجب عقدُ القلب عليها أنّ شهر رمضان هو شهر القرآن الكريم، وليلة القدر ليلة نزول القرآن، وليلة حاكمية الرحمن، ولذلك فهي ليلة رسول الله ﷺ بما هو سيّد الرسل والمهيمن على كل ماجاؤوا به، وصاحب الأمر ورائد مشروع هداية البشرية إلى الحقّ وإنقاذها من براثن الجهل والشرك، وبما هو صلّى الله عليه وآله مركز كلّ أمر نزل من الله تعالى وينزل من بدء الخلق إلى ما بعد الجنة ونعيمها من رضوان الله تعالى، وبعد النار وجحيمها من عذاب الله تعالى للمستحقّين.

وحيث إنّ المصطفى ﷺ قطب رحى ذلك كلّه، فَلَيلةُ القدر ليلته وليلة وصيّه الذي هو استمراره صلّى الله عليه وآله.

ومن غرائب الغفلة، أنّنا نعرف أنّ ليلة القدر ﴿**تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كل أمر**﴾ **القدر:٤**، ونعرف أنّ إمام زماننا بل إمام كلّ زمان يُطلق عليه اسم «**صاحب الأمر**» ولا نربط بين المعلومتين اللتين هما وجهان لحقيقة واحدة، فالأمر الذي ينزل هو نفسه الأمر الذي يُعتبر إمام الزمان صاحبه بإذن الله تعالى. والروايات المصرّحة بذلك كثيرة، منها:

١- عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام قال: «**ليس شيءٌ يخرج من عند الله عزّ وجلّ حتّى يبدأ برسول الله صلّى الله عليه وآله، ثمّ بعليّ عليه السلام، ثمّ بواحد واحد، لكيلا يكون آخرُنا أعلمَ من أوّلنا**».[2]

١- الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٣٨٤. بتصرف يسير.

٢- الشيخ المفيد، الإختصاص: ٣١٣.

٢- قال الراوي: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام، فقلت له: سمعتُك وأنت تقول غير مرّة: لولا أنّا نزداد لأنفدنا، فقال: أمّا الحلال والحرام فقد أنزل الله على نبيّه صلّى الله عليه وآله بكماله، وما يُزاد الإمام في حلال ولا حرام. قلت له: فما هذه الزيادة؟ فقال: في سائر الأشياء سوى الحلال والحرام. قلت: تزدادون شيئاً يخفى على رسول الله صلّى الله عليه وآله ولا يعلمه؟ فقال: لا، إنّما يخرج العلم من عند الله فيأتي به الملَك رسول الله صلّى الله عليه وآله، فيقول: يا محمّد ربّك يأمرك بكذا وكذا. فيقول: انطلق به إلى عليّ. فيأتي به علياً عليه السلام فيقول: انطلق به إلى الحسن. فلا يزال هكذا ينطلق به إلى واحد بعد واحد حتّى يخرج إلينا، ومحال أن يعلم الإمام شيئاً لم يعلمه رسول الله صلّى الله عليه وآله والإمام من قبله».[1]

٣- عن أبي جعفر عليه السلام "..": إنّما يأتي الأمر من الله في ليال القدر إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله، وإلى الأوصياء عليهم السلام: افعل كذا وكذا.

وقد عقّب السيّد على هذه الروايات بقوله: «واعلم أنّ إلقاء هذه الأسرار في السَّنَة إلى وليّ الأمر ما هو من الوحي، لأنّ الوحي انقطع بوفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، إنّما هو بوجهٍ من وجوه التعريف يعرفه من يُلقى إليه صلوات الله عليه، وقد قال جلّ جلاله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ..﴾ المائدة:١١١، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى..﴾ القصص:٧، وقال جلّ جلاله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ..﴾ النحل:٦٨، ولكلّ منها تأويل غير الوحي النبوي.

وهكذا يتّضح أنّ ليلة القدر هي ليلة صاحب الأمر الذي نصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، وإليه ينزل الأمر الذي قد قُضي وأُمضي من الله تعالى.

والروايات كذلك صريحةٌ في الحثّ على إدراك هذه الحقيقة بالتفصيل، لذلك فهي لا تكتفي بالعموميّات المتقدّمة رغم وضوحها، بل تريدنا أن نعرف أنّ المحور في سورة القدر، وليلة القدر، والأمر الحكيم، والأمر الذي ينزل أو يُفْرَق، هو «صاحب الأمر».

عن داود بن فرقد قال: «سألتُه [الصادق أو الكاظم عليهما السلام] عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنّا أنزلناه في ليلة القدر*وما أدراك ما ليلة القدر﴾. قال: ينزل فيها ما يكون من السنة من موت أو مولود.

قلت له: إلى من؟ فقال: إلى من عسى أن يكون؟ إنّ الناس في تلك الليلة في صلاة ودعاء ومسألة، وصاحب هذا الأمر في شغل تنزّل الملائكة إليه بأمور السنة من غروب الشمس إلى طلوعها من كلّ أمر. [سلام] هي له إلى أن يطلع الفجر».[2]

١- المصدر.

٢- الشيخ محمد باقر الملكي، توحيد الإمامية: ٣٥٨.

وعن أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام قال:
«إنّ ليلة القدر يُكتب ما يكون منها في السنة إلى مثلها من خير أو شرّ، أو موت أو حياة أو مطر. ويُكتب فيها وفدُ الحاجّ. ثم يُفضي ذلك إلى أهل الأرض. فقلت: إلى مَن من أهل الأرض؟ فقال: إلى مَن ترى».[1]

علامات ليلة القدر

هل هناك علامة تُعرف بها ليلة القدر؟

ورد في الروايات ذكر عدّة علامات هي:

١- أن يطيب ريحها.

٢- وتكون في البرد ليلة دافئة، وفي الحرّ باردة.

٣- ليلة مضيئة تُرى نجومُها بوضوح.

وقد تحدّث السّيّد ابن طاوس قدس سره عن العلامات، فقال:
«فصلٌ في ما نذكره من الرواية بعلامات ليلة القدر: إعلم أنّنا لمّا رأينا الروايات بذلك منقولة، وأنّ إمكان الظفر بليلة القدر من الأمور المعقولة، اقتضى ذلك ذكر طرف من الروايات ببعض علامات ليلة القدر، والتنبيه على وقت ما يُرجى لها من السعادات.

ثمّ أورد الروايات التالية:

١- فمِن ذلك: ما ذكره ".." الكليني ".." **عن أحدهما عليه السلام قال (محمّد بن مسلم): سألته عن علامة ليلة القدر، فقال: علامتها أن تطيب ريحها، وإن كانت في برد دفئت، وإن كانت في حرّ بردت وطابت.** وقد روى هذا الحديث ".." في كتاب (من لا يحضره الفقيه).

٢- ومن ذلك: ".." قال (الراوي): **قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّهم يقولون إنّها لا ينبح فيها كلب، فبأيّ شيء تُعرف؟ قال: إن كانت في حرّ كانت باردة طيّبة، وإن كانت في شتاء كانت دفيئة ليّنة.**

٣- ومن ذلك أيضاً ".." **عن أبي عبد الله عليه السلام: ".." في الشتاء تكون دفيئة، وفي الصيف تكون ريِّحة طيبة.**

٤- ومن ذلك ".." عن إسماعيل بن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام قال: **ليلة القدر ليلة بلجة، لا حارّة ولا باردة، ونجومها كالشمس الضاحية.**

٥- أقول: ورأيت من غير طريق أهل البيت علامات أيضاً وأمارات لليلة القدر: فمن ذلك ما ".." عن ابن عبّاس فقال: ليلة القدر ليلة طلقة، لا حارّة ولا باردة، يصبح الشمس من يومها حمراء ضعيفة.[2]

١- المصدر.

٢- الإقبال: ١/ ١٥١-١٥٢.

أعمال الليلة الثالثة والعشرين

تقدّم ذكر الأعمال العامّة التي يؤتَى بها في كلّ ليلةٍ من ليالي القدر، وفي ما يلي بيان الأعمال الخاصّة مع التأكيد على بعض الأعمال العامّة لمزيد الحثّ عليها في هذه الليلة ممّا يجعلها كالخاصّة، وهي كما يلي:

١- الغُسل

تكرّر ذكر استحباب الغسل في هذه الليلة في سياق تعداد الأغسال المستحبّة في شهر رمضان، أو لدى ذكر رواية تقرن بينه وبين غيره.

وفي حديث عن الإمام الرضا يذكر فيه جانباً من سيرة رسول الله ﷺ في عمل شهر الله تعالى، ورد قوله عليه السلام: «**فلمّا كان ليلة ثلاث وعشرين اغتسل ايضاً كما اغتسل في ليلة تسع عشرة، وكما اغتسل في ليلة إحدى وعشرين**».[١]

ويقول أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام: **رأيتُه اغتسل في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان مرّة في أوّل الليل، ومرّة في آخره.**[٢]

وقد ورد التأكيد على أن يتزامن الغسل مع مغيب الشمس. قال الشيخ المفيد: «وفيها غسلٌ عند وجوب الشمس».[٣] أي مغيبها.

ولا يفوتنّك الغسل الآخر المستحب في آخر هذه الليلة.

٢- الإحياء

قال الشيخ المفيد: «وتحيى هذه الليلة بالصلاة والدعاء والاستغفار».[٤]

وقال السّيّد: «وأن تحيى بالعبادة كما قدّمناه. وممّا رويناه في تعظيم فضلها وإحيائها أيضاً ما رواه ابن أبي عمير"..": **مرِض أبو عبد الله عليه السلام مرضاً شديداً، فلمّا كان ليلة ثلاث وعشرين أمر مَواليه فحملوه إلى المسجد، فكان فيه ليلته**».[٥]

ويأتي في صلاة المائة ركعة الحثّ على إحياء هذه الليلة بالخصوص، وقد تقدّم المزيد.

٣- زيارة سيّد الشهداء عليه السلام

وهو أفضل أعمال هذه الليلة على الإطلاق، والمراد بزيارته عليه السلام التواجد في كربلاء كما سيأتي التصريح بذلك، إلّا أنّ للزيارة من بُعد أيضاً ثواباً عظيماً فلا ينبغي تركها. ومن الروايات في زيارته عليه السلام في هذه الليلة:

١- المصدر: ٥١.
٢- الإقبال: ١/ ٣٧٥-٣٧٦.
٣- مسارّ الشيعة: ٢٧.
٤- المصدر.
٥- الإقبال: ١/ ٣٨٦.

أ- عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السلام في هذه الآية: ﴿**فيها يُفرقُ كلّ أمر حكيم**﴾، **قال: هي ليلة القدر، يقضي فيها أمر السنة من حجّ وعمرة، أو رزق أو أجل، أو أمر أو سفر، أو نكاح أو ولد، إلى سائر ما يلاقي ابن آدم ممّا يُكتب له أو عليه في بقيّة ذلك الحول من تلك الليلة إلى مثلها من عام قابل، وهي في العشر الأواخر من شهر رمضان، فمن أدركها -أو قال: شهدها- عند قبر الحسين عليه السلام يصلّي عنده ركعتين أو ما تيسّر له، وسأل الله تعالى الجنّة، واستعاذ به من النار، آتاه الله تعالى ما سأل، وأعاذه ممّا استعاذ منه، وكذلك إن سأل الله تعالى أن يؤتيَه من خيرِ ما فرَق وقضى في تلك الليلة، وأن يقيَه من شرّ ما كتب فيها، أو دعا الله وسأله تبارك وتعالى في أمرٍ لا إثم فيه، رجوتُ أن يؤتى سؤله، ويوقى محاذيره، ويشفع في عشرة من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا العذاب، والله إلى سائله وعبده بالخير أسرع.**[1]

ب- عن عبد العظيم الحسني، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام في حديث قال: **من زار الحسين عليه السلام ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، وهي الليلة التي يُرجى أن تكون ليلة القدر وفيها يُفرق كلّ أمر حكيم، صافحه روح أربعة وعشرين ألف ملَك ونبيّ، كلّهم يستأذن الله في زيارة الحسين عليه السلام في تلك الليلة.**[2]

٤- السُوَر المباركة

ومن الأعمال الخاصّة بهذه الليلة قراءة أربع سور اثنتين منها من الأعمال الخاصّة، وهما **العنكبوت والروم**، واثنتين من الأعمال العامّة، وهما الدخان والقدر، وعليه، فإنّ من لا يذكر **الدخان والقدر** ضمن الأعمال الخاصّة لا ينفي استحباب قراءتهما، فلاحظ.

أ- العنكبوت والروم

قال الشيخ المفيد: «ويستحبّ أن يقرأ في هذه الليلة خاصّة سورتي العنكبوت والروم، فإنّ في ذلك ثواباً عظيماً».[3]

وقال السّيّد ابن طاوس: «**ومن زيادات ليلة ثلاث وعشرين، القراءة فيها لسورة العنكبوت وسورة الروم. نروي ذلك بعدّة طرق عن الصادق عليه السلام أنّه قال: مَن قرأ سورة العنكبوت والرّوم في ليلة ثلاث وعشرين فهو والله يا أبا محمّد من أهل الجنة لا أستثني فيه أبداً، ولا أخاف أن يكتب الله تعالى عليّ في يميني إثماً، وإنّ لهاتين السورتين من الله تعالى مكاناً**».[4]

١- الإقبال: ١/ ٣٨٣.
٢- المصدر.
٣- مسارّ الشيعة: ٢٧.
٤- الإقبال: ١/ ٣٨١.

ب- الدخان

قال السيّد ابن طاوس عليه الرحمة: «ومن الزيادات ليلة ثلاث وعشرين قراءة سورة الدخان فيها، وفي كلّ ليلة، وقد قدّمنا الرواية بذلك في أوّل ليلة».[1]

ج- القدْر

قال السيّد: «ومن القراءة فيها سورة إنّا أنزلناه في ليلة القدر ألف مرّة، وقد تقدّمت رواية لذلك في الليلة الأولى، وعموماً في الشهر كلّه. وروينا تخصيص قراءتها في هذه الليلة بعدّة طرق إلى مولانا أبي عبد الله عليه السلام، قال: لو قرأ رجل ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان إنّا أنزلناه في ليلة القدر ألف مرّة، لأصبح وهو شديد اليقين بالإعتراف بما يختصّ فينا، وما ذاك إلّا لشيء عاينه في نومه».[2]

٥-الأدعية[3]

أ- **الدعاء لصاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف**، وقد ورد التأكيد على الإكثار من قراءته في مختلف الحالات في كلّ ليلةٍ من شهر الله تعالى وفي هذه الليلة المباركة بشكل خاصّ، ويُعتبر هذا التأكيد نحوَ تنبيه إلى ضرورة الرّبط بين الليلة وبين وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي هو باب الله الذي منه يؤتى.

قال السيّد:

«عن الصالحين عليهم السلام "..": وكرّر في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان قائماً وقاعداً وعلى كلّ حال، والشهر كلّه، وكيف أمكنك، ومتى حضرك في دهرك، تقول بعد تمجيد الله تعالى والصلاة على النبي وآله عليهم السلام: أَللّٰهُمَّ كُن لوليّك..».[4]

والدعاء هو نفسه الذي تقدّم ذكره في عمل اليوم الأوّل، وله صيغتان إحداهما المعروفة المشهورة، والثانية أطول منها، وقد مرّ توضيح ذلك فراجع.

ب- دعاء يا ربّ ليلة القدر، وهو:

يا ربّ ليلة القدر وجاعلَها خيراً من ألف شهر، وربّ اللّيل والنهار، والجبال والبحار، والظُّلَمِ والأنوار، والأرضِ والسماء، يا بارئُ يا مصوّر، يا حنّانُ يا منّان، يا ألله يا رحمان، يا حيُّ يا قيّوم، يا بديءُ يا بديعَ السماوات والأرض. يا أللهُ يا أللهُ، يا أللهُ يا أللهُ، يا أللهُ يا أللهُ، يا أللهُ يا أللهُ، لك الأسماء الحسنى، والأمثال العُلْيا، والكبرياءُ والآلاء والنَّعماء، أسألك

١- المصدر.
٢- المصدر: ٣٨٢.
٣- أنظر في جميع الأدعية الواردة هنا: الإقبال: ٣٧٨ فما بعدها.
٤- المصدر: ١٩١. وانظر صيغة الدعاء المعروفة في مصباح الشيخ الطوسي: ٦٣١-٦٣٢.

باسمك بسم الله الرحمن الرحيم، إن كنتَ قضيْتَ في هذه الليلة تَنَزُّلَ الملائكة والروح من كلّ أمر حكيم. فصلّ على محمّدٍ وآله، واجعل اسمي في هذه الليلة في السعداء، وروحي مع الشهداء، وإحساني في علّيّين وإساءتي مغفورة، وأن تهب لي يقيناً تباشر به قلبي، وإيماناً يُذهِب الشكَّ عنّي، وتُرضيني بما قسَمت لي، وآتني في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقني عذاب النار . وارزقني يا رب فيها(الليلة) ذكرَك و شكرك، والرّغبة والإنابة اليك، والتوبة والتوفيق لما وفّقت له شيعة آل محمّد يا أرحم الراحمين، ولا تَفْتِنّي بطلب ما زَوَيْتَ عنّي بحولك وقوّتك، وأغنني يا ربّ برزقٍ منك واسع (و) بحلالك عن حرامك. وارزقني العفّة في بطني وفرْجي، وفرِّجْ عنّي كلَّ همٍّ وغمّ، ولا تُشمِتْ بي عدوّي (ووفِّقني لليلة) القدر على أفضل ما رآها أحد، ووفّقني لما وفّقت له محمّداً وآل محمّد عليه وعليهم السلام. (و) افعل بي كذا وكذا، الليلة الليلة الساعة الساعة.. حتّى ينقطع النفس.[1]

ت- أللّهُمَّ امدُد لي في عمري، وأوسعْ لي في رزقي، وأصحَّ جسمي، وبلِّغني أملي، وإن كنتُ من الأشقياء فامْحُني من الأشقياء واكتبْني من السعداء، فانّك قلت في كتابك المنزل، على نبيّك المرسل صلواتك عليه وآله: ﴿يَمْحُوا اللّٰهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الرعد:٣٩.

ث- أللّهُمَّ إيّاك تعمّدْتُ الليلة بحاجتي، وبك أنزلت فقري ومسألتي، (فلْتَسَعْني) الليلة رحمتُك وعفوُك، فأنا لرحمتك (أرجى) منّي لعملي، ورحمتُك ومغفرتُك أوسع من ذنوبي، واقْضِ لي كلّ حاجةٍ هي لي، بقدرتك على ذلك وتيسيرِه عليك. فإنّي لم أُصِبْ خيراً إلا منك، ولم يصرف عني أحدٌ سوءاً قَطُّ غيرك، وليس لي رجاءٌ لديني ودنياي، ولا لآخرتي، ولا ليوم فقري، يوم أُدَلّى في حُفرتي، ويُفرِدُني الناس بعملي غيرَك، يا ربّ العالمين.

د- ومن دعاء ليلة ثلاث وعشرين:

أللّهُمَّ اجعلني من أوفر عبادك نصيباً من كلّ خيرٍ أنزلتَه في هذه الليلة، أو أنت مُنْزِلُه، من نورٍ تهدي به، أو رحمةٍ تنشرها، أو رزقٍ تَقْسمه، أو بلاءٍ تَدفعه، أو ضُرٍّ تكشفه، واكتب لي ما كتبتَ لأوليائك الصالحين، الذين استوجبوا منك الثواب، وأمِنوا برضاك عنهم منك العقاب، يا كريمُ يا كريم، صلّ على محمّدٍ وآل محمّد، وافعل بي ذلك. برحمتك يا أرحم الراحمين.

١- الإقبال: ١/ ٣٧٨؛ وانظر: الطوسي، المصباح: ٦٣٠- ٦٣١باختلاف. مختصراً.

ج- ومن الدعاء في هذه الليلة:

أسألك مسألة المسكين المستكين، وأبتهلُ إليك ابتهال المذنب البائس الذّليل مسألة من خضعت لك ناصيتُه، واعترف بخطيئته، ففاضت لك عَبْرَتُه، وهَمَلَتْ لك دموعُه، وضَلَّت حيلتُه، وانقطعت حجّتُه، أنْ تعطيَني في ليلتي هذه مغفرةَ ما مضى من ذنوبي، واعصِمني في ما بقي من عُمْري، وارزقني الحجّ والعمرة في عامي هذا، واجعلها حِجّةً مبرورةً خالصةً لوجهك، وارْزقْنيه أبداً ما أبْقيْتني، ولا تُخْلِني(من) زيار(ة بيتك) وزيارة قبر نبيّك محمّدٍ صلواتك عليه وآله. إلهي وأسألك أن تكفيَني مؤونة خَلْقِك من الجنّ والانس، والعرب والعجم، ومن كلّ دابّة أنت آخذ بناصيتها، إنّك على صراط مستقيم. أللّهُمَّ اجعلْ في ما تقضي وتقدّر من الأمر المحتوم، وممّا تَفْرُق من الأمر الحكيم في هذه الليلة، في القضاء الذي لا يُردّ ولا يُبَدَّل، أن تكتبني من حجّاج بيتك الحرام، في عامي هذا، المبرورِ حجّهم، المشكورِ سعْيُهم، المغفورِ ذنوبهم، المكفّر عنهم سيّئاتُهم، وأن تطيل عمري، وتوسّع لي في رزقي، وارزقني ولداً بارّاً، إنّك على كلّ شيءٍ قدير، وبكلّ شيءٍ محيط.

ح- ومن دعاء ليلة ثلاث وعشرين:

أللّهُمَّ إني أسألك سؤال المسكين المستكين، وأبتغي إليك ابتغاء البائس الفقير، وأتضرَّع إليك تضرُّع الضعيف الضرير، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأسألك مسألة من خضعت لك نفسُه، ورغم لك أنفُه، وعفَّر لك وجهه، وخضعت لك ناصيته، واعترف بخطيئته، وفاضت لك عَبرته، وانْهَمَلَتْ لك دموعُه، وضلّت عنه حيلته، وانقطعت عنه حجّته، بحقّ محمّدٍ وآل محمّدٍ عليك، وبحقك العظيم عليهم، أنْ تصلّي عليهم كما أنت أهله، وأن تصلّي على نبيك وآل نبيّك، وأن تعطيَني أفضلَ ما أعطيت السائلين من عبادك الماضين من المؤمنين، وأفضلَ ما تعطي الباقين من المؤمنين، وأفضلَ ما تعطي من تخلقه من أوليائك إلى يوم الدين، ممَن جعلتَ له خيرَ الدنيا وخيرَ الآخرة، يا كريم يا كريم يا كريم. وأَعطني في مجلسي هذا مغفرةَ ما مضى من ذنوبي، واعصمني في ما بقي من عمري، وارزقني الحجّ والعمرة في عامي هذا، متقبّلاً مبروراً خالصاً لوجهك يا كريم، وارزقنيه أبداً ما أبقيتني، يا كريم يا كريم يا كريم، واكفني مؤونة نفسي، واكفني مؤونة عيالي، واكفني مؤونة خلقك، واكفني شرّ فسَقة العرب والعجم، واكفني شرّ فسقة الجنّ والإنس، واكفني شرّ كلّ دابّةٍ أنت آخذٌ بناصيتها، إنّ ربّي على صراطٍ مستقيم.

د- ومن دعاء ليلة ثلاث وعشرين - وقد تقدّم نحوه في ليلة تسع عشرة عن مولانا الكاظم عليه السلام -وهذا رويناه ".." عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يقول: اللّٰهُمَّ اجعل في ما تقضي وفي ما تقدّر من الأمر المحتوم، وفي ما تفرُق من الأمر الحكيم في ليلة القدر، من القضاء الذي لا يردّ ولا يبدّل، أن تكتبني من حجّاج بيتك الحرام في عامي هذا، المبرور حجّهم، المشكور سعيهم، المغفور ذنوبهم، المكفّر عنهم سيّئاتهم، واجعل في ما تقضي وفي ما تقدّر أن تطيل عمري، وتوسّع لي في رزقي.

ذ- دعاء الإمام الحسن بن علي عليهما السلام في ليلة القدر: يا باطناً في ظهوره، ويا ظاهراً في بطونه، يا باطناً ليس (يخفى) ويا ظاهراً ليس يُرى، يا موصوفاً لا يَبْلُغ بكَيْنونيّته موصوف، ولا حدٌّ محدود، يا غائباً غيرَ مفقود، ويا شاهداً غيرَ مشهود، يُطْلَبْ فيُصاب، ولم يَخْلُ منه السماوات والأرض وما بينهما طرفةَ عيْن، لا يُدرَك بكَيْف، ولا يؤيَّن بأينٍ ولا بحَيْث. أنت نور النُّور، وربُّ الأرباب، أحَطْتَ بجميع الأمور، سبحان من ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره - ثمّ تدعو بما تريد.

* ويلحق بالدعاء في هذه الليلة: الدعاء للمؤمنين والكافرين

قال السيّد: «ولا يمتنع الإنسان في هذه الليلة من دعوات بظهر الغيب لأهل الحقّ، وقد قدّمنا في عمل اليوم والليلة فضائل الدعاء للإخوان».[1]

لا يحسُن إسلام المسلم ولا يستقيم إيمانه إذا فهم التّدين انغلاقاً على النفس وتقوقعاً في قُمْقُمِ الذات.

التديّن كالشمس الساطعة تبدّد الظلمات وتخترق الحجب، وكالهواء الطلق لا يقف في طريقه سدّ، وهو حركة القلب المنطلقة أبداً في خطّ بيانيّ تصاعدي في التحلّل من قيود الأنا البغيضة.

لا يعرِف التديّنُ التّعالي، فطَلَبُ العلوّ من شجرة الانغلاق البغيضة.

ولا ينسجم مع الحسد الشيطانيّ والحقدِ الممعن في الشيطنة.

التديّن فيضُ حبٍّ، ونبعُ حنان، ومَعينُ إيثار.

وبمقدار الاهتمام بالآخر يكون.

وليس مجرّد توصيةٍ عابرة أن يحمل المؤمن في ليلة القدر همّ غيره، فيدعو للمؤمنين بظهر الغيب.

إنّه مؤشرٌ مِدْماكٌ في الرؤية التوحيدية، وقاعدةٌ للفكر الإسلامي، ومنهجٌ في بناء الشخصيّة الإسلامية.

١- الإقبال: ١/ ٣٨٤.

«كان عيسى بن أعين إذا حجّ فصار إلى الموقف (في عرفة) أقبل على الدعاء لإخوانه حتّى يفيض الناس، فقيل له: تُنفق مالك وتُتعب بدنك حتّى إذا صِرتَ إلى الموضع الذي يُبثُّ فيه الحوائج إلى الله أقبلتَ على الدعاء لأخوانك وتترك نفسك؟ فقال: إنّي على يقين من دعاء الملَك لي وفي شكٍّ من الدعاء لنفسي».[1]

ونجدُ توضيح مراده في نموذج مماثل، وتلميذٍ أخر من مدرسة الإسلام المحمّدي كما قدّمه أهل البيت عليهم السلام:

«عن عبد الله بن جندب قال: كنت في الموقف، فلمّا أفَضْتُ لقيت إبراهيم بن شعيب، فسلّمت عليه وكان مصاباً بإحدى عينيه، وإذا عينُه الصحيحة حمراء كأنّها عَلَقةُ دم، فقلت له: قد أُصِبْتَ بإحدى عينيك، وأنا مشفقٌ لك على الأخرى فلو قصَرتَ من البكاء قليلاً.

قال: لا والله يا أبا محمّد، ما دعوت لنفسي اليوم بدعوة. فقلت: فلمن دعوت؟

قال: دعوت لإخواني. **سمعت أبا عبد الله** عليه السلام **يقول: من دعا لأخيه بظهر الغيب وكل الله به ملَكاً يقول: ولك مثلاه.** فأردتُ أن أكون إنّما أدعو لإخواني ويكون الملَك يدعو لي، لأني في شكّ من دعائي لنفسي، ولست في شكٍّ من دعاء الملَك لي».[2]

ولا تكتمل صورة روعة الحبّ في التديّن عند هذا الحدّ، بل لم يتجاوز الحديث عن الصورة الإطار!

ليست غاية الحبّ أن تحبّ إخوانك المؤمنين فتؤثرهم على نفسك في الدعاء إيثار تجارة تبغي بها مصلحتك، ولا هي غاية الحبّ أن تدعو لهم حبّاً منزّهاً عن المردود الرّبْحي أو المصلحيّ مهما كان وجيهاً، بل غايتُه أن تحبّ الخير للكافرين وتؤثرهم على نفسك وتمضي شطراً من ليلة القدر بالدعاء لهم.

ولا تحرّك بالإنكار قلبك، لتعجل به، فسيأتي ما يبدّد كلّ غموض.

وتعالَ معي لنصغيَ بأذن القلب إلى تلميذ مدرسة أهل البيت المحمّدي السيّد ابن طاوس قدّس الله تعالى نفسه الزاكية حيث يقول:

«وكنتُ في ليلةٍ جليلة من شهر رمضان بعد تصنيف هذا الكتاب بزمان، وأنا أدعو في السَّحَر لمن يجب أو يحسُن تقديم الدعاء له، ولي، ولمن يليق بالتوفيق أن أدعو له، فورد على خاطري أنّ الجاحدين لله جلّ جلاله ولنِعَمه والمستخفّين بحرمته، والمُبدّلين لحُكمه في عباده وخليقته، ينبغي أن يبدأ بالدعاء لهم بالهداية من ضلالتهم، فإنّ جنايتهم على الربوبيّة، والحكمة الإلهية، والجلالة النبويّة أشدُّ من جناية العارفين بالله وبالرسول صلوات الله عليه وآله. فيقتضي تعظيم الله وتعظيم جلاله وتعظيم

١- المجلسي، البحار: ٩٠/ ٣٩١.

٢- المصدر.

رسوله ﷺ وحقوق هدايته بمقاله وفعاله، أن يقدّم الدعاء بهداية من هو أعظم ضرراً وأشدّ خطراً، حيث لم يُقدر أن يزال ذلك بالجهاد، ومنعهم من الإلحاد والفساد. ".." فدعوتُ لكلّ ضالٍّ عن الله بالهداية إليه، ولكلّ ضالٍ عن الرسول بالرجوع إليه، ولكلّ ضالٍّ عن الحقّ بالاعتراف به والاعتماد عليه. ثمّ دعوت لأهل التوفيق والتحقيق بالثبوت على توفيقهم، والزيادة في تحقيقهم، ودعوت لنفسي ومن يعنيني أمره بحسب ما رجوته من الترتيب الذي يكون أقرب إلى من أتضرّع إليه، وإلى مُراد رسوله صلى الله عليه وآله، وقد قدّمت مهمّات الحاجات بحسب ما رجوت أن يكون أقرب إلى الإجابات».

ونتابع الإصغاء إلى بيان الحيثيّات، التي يشرحها السيّد بقوله: «أفلا ترى ما تضمّنه مقدّس القرآن من شفاعة إبراهيم عليه السلام في أهل الكفران، فقال الله جلّ جلاله: ﴿يجادلُنا في قوم لوط إنّ إبراهيمَ لحليمٌ أوّاهٌ منيب﴾. فمدحَه جلّ جلاله على حلمه وشفاعته ومجادلته في قوم لوط، الذين قد بلغ كفرهم إلى تعجيل نقمته. ".." أما رأيت ما تضمّنته أخبار صاحب الرسالة، وهو قدوة أهل الجلالة، كيف كان كلّما آذاه قومه الكفّار، وبالغوا فيما يفعلون، قال صلوات الله عليه وآله: اللّهُمَّ اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون. ".." أما رأيت الحديث عن عيسى عليه السلام: كن كالشمس تطلع على البَرّ والفاجر. وقول نبيّنا صلوات الله عليه وآله: إصنع الخير إلى أهله وإلى غير أهله، فإن لم يكن أهلَه فكن أنت أهلَه، وقد تضمّن ترجيح مقام المحسنين إلى المسيئين، قوله جلّ جلاله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾. ويكفي أنّ محمّداً ﷺ بُعث رحمة للعالمين».[1]

ومن الواضح أنّ السّيّد قدس سره قد راعى الثوابت التالية:

١- أنّ الدعاء للكافرين ﴿..لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ..﴾ الممتحنة:٨.

٢- أنّه لم يحبّهم على كفرهم، بل دعا لهم بالهداية.

٣- أنّ الأصل في الدعاء لهم هو حبّ الله تعالى وحبّ نبيه ﷺ الذي يحتّم حبّ وضع الحدّ للتمرّد على طاعة الله عزّ وجلّ ومخالفة سيّد أنبيائه عليه وآله وعليهم الصلاة والسلام.

٤- أنّ مبالغة الكفّار في الأذى ما لم يصل إلى الحرب، لا تمنع من الدعاء لهم بالهداية.

٥- أنّ المؤمن خيرٌ كلّه، لا يصدر منه إلّا الخير ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة:٨.

بهذا الفهم وهذه الروح ينبغي أن نستقبل ليلة القدر، موقنين بأنّه لاحول لنا ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

١- الإقبال: ١/ ٣٨٤-٣٨٥.

٦- الصلوات

أ- صلاة مائة ركعة: بالحمد مرّة والتوحيد عشراً، وقيل بالقدر عشراً، والأوّل أرجح، وهي من الأعمال العامّة لليالي القدر، ولكن ورد الحثّ عليها في هذه الليلة بشكل خاصّ.

١- عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: صلِّ في العشرين من شهر رمضان ثمانياً بعد المغرب، واثنتي عشرة ركعة بعد العتمة، فإذا كانت الليلة التي يُرجى فيها ما يُرْجى فصلِّ مائة ركعة، تقرأ في كلّ ركعة قل هو الله أحد عشر مرّات، قال: قلت: جُعلت فداك! فإن لم أَقْوَ قائماً؟ قال: فجالساً، قلتُ: فإن لم أقْوَ جالساً؟ قال: فصلّ وأنت مُسْتَلْقٍ على فراشك.[١]

٢-عن (الإمام) أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، قال: من أحيا ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان وصلّى فيها مائة ركعة وسّع الله عليه معيشته في الدنيا وكفاه أمر من يُعاديه، وأعاذه من الغرق والهدم والسَّرَق ومن شرّ السّباع، ودفَع عنه هَول منكر ونكير، وخرج من قبره نور يتلألأ لأهل الجمع، ويُعطى كتابَه بيمينه، ويُكتب له براءةٌ من النّار، وجوازٌ على الصراط، وأمانٌ من العذاب ويدخل الجنّة بغير حساب، ويُجعل فيها من رفقاء النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقاً.[٢]

وقال الشيخ المفيد في (المُقنِعة): «فإذا كانت ليلة ثلاث وعشرين اغتسلتَ عند مغيب الشمس، وصلّيْتَ بعد العشاء الآخرة مائة ركعة، تقرأ في كلّ ركعة منها **فاتحة الكتاب** و **إنّا أنزلناه في ليلة القدر**».[٣]

وقال في (مسارّ الشيعة): «وصلاة مائة ركعة، يقرأ في كلّ ركعة **فاتحة الكتاب** وعشر مرّات **إنّا انزلناه في ليلة القدر**».[٤]

وقال السيّد: «واعلم أنّ ليلة تسع عشرة أُولى الثلاث الليالي الأفراد، وهذه الليالي محلّ الزيادة في الاجتهاد "..." وقد رُوي أنّ هذه المائة ركعة تُصلّى في كلّ ليلةٍ من المفردات كلّ ركعة بالحمد مرّة، وقل هو الله أحد عشر مرّات».[٥]

تنبيه هامّ: وتجدر الإشارة إلى الطريقتين الواردتين في الروايات لنوافل شهر رمضان، فمن أخَذ برواية توزيع الركعات الثمانين على الأيّام التي خُصِّصَتْ لها، فلا يصلّي غير المائة ركعة من الألف شيئاً، أمّا من أخذ بالطريقة الثانية، فينبغي أن يصلّي في الليالي الثلاث –وهذه الليلة منها– ثلا ثين ركعة، وقد سبق بيانُ ذلك بالتفصيل في عمل اليوم الأوّل.

١- الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام: ٣/ ٦٤.
٢- الإقبال: ١/ ٣٨٦
٣- المقنعة: ١٦٨.
٤- مسارّ الشيعة: ٢٧.
٥- الإقبال: ١/ ٣١٢-٣١٣.

ب- صلاة ثمان ركعات:

عن رسول الله ﷺ: «ومن صلّى ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان ثماني ركعات (بما تيسّر) فُتحت له أبوابُ السماوات السبع واستُجيب دعاؤه».[1]

ث - صلاة كلّ ليلة:

قال الكفعمي: «ويستحبّ أن يصلّي في كلّ ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد "..." والتوحيد ثلاثاً، فإذا سلّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثمّ يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثمّ يقول: سبحانك سبحانك يا عظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثمّ تصلّي على النبيّ عشراً. من صلّاها غفر الله له سبعين ألف ذنب».[2]

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٤٠؛ والكفعمي، البلد الأمين: ١٧٦ ومابين القوسين بحسبه.
٢- الكفعمي، المصباح: ٥٦٣. الهامش.

٢٣

شهر رمضان

* تذكيرٌ بأهمّية يوم القدر
* دعاء اليوم الثالث والعشرين
*دعاء آخر جمعة
*صلاة الليلة الرابعة والعشرين

تذكير بأهمّية يوم القدر

تقدّم التأكيد على ضرورة الاهتمام بيوم القدر بمستوى الاهتمام بليلته، وهو أمرٌ بالغ الحساسيّة عظيم الفوائد، فقد يحصل فيه المؤمن على ما لم يحصل عليه في ليلة القدر، إمّا لأنّه لم يوفّق للعبادة فيها أو لم يحالفه التوجّه، وقد تتعاظم حصيلة من وُفّق لليلة القدر على أكمل وجهٍ، فزيادة الخير خيرٌ، وفي ذلك فلْيتنافس المؤمنون.

أعيد هنا ما تقدّم عن السيّد ابن طاوس والروايات التي أوردها حول «يوم القدْر»:

قال قدّس سرّه: «**فإيّاك أن تهوّن بنهار تسع عشرة أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، وتتّكل على ما عملتَه في ليلتها وتستكثره لمولاك، وأنت غافل عن عظيم نعمته، وحقوق ربوبيّته. وكن في هذه الأيّام الثلاثة المعظّمات على أبلغ الغايات، في العبادات والدعوات، واغتنام الحياة قبل الممات. ".." والمهمّ من هذه الليالي في ظاهر الروايات عن الطاهرين ما قدّمناه من التصريح، أنّ أهمّها ليلة ثلاث وعشرين، فلا تُهمل يومها. فمن الرواية في ذلك بأسنادنا عن هشام بن الحكم رضوان الله عليه عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله عليه أنّه قال: يومُها مثل ليلتها -يعني ليلة القدر-.**

وفي حديث آخر عن الصادق عليه السلام قال: **هي في كلّ سنة ليلة، وقال: يومها مثل ليلتها.**

وفي حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سأله بعض أصحابنا "..": **كيف تكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟ قال: العمل فيها خيرٌ من العمل في ألف شهر ليس فيه ليلة القدر.** وقال أبو عبد الله عليه السلام: **يومها مثل ليلتها -يعني ليلة القدر- وهي تكون في كلّ سنة**».[1]

دعاء اليوم الثالث والعشرين

أللّهُمَّ اغْسِلني فيه من الذنوب، وطهّرني فيه من العيوب، وامتَحِنْ قلبي فيه بتقوى القلوب، يا مُقيل عثَراتِ المؤمنين

إلهي أردتَ أن يكون باطني لك، وظاهري لأهل الدنيا لأصبح من أهل سرّك الذين تُدخلهم الجنّة سرّاً، فجعلتُ ظاهري لك من أجل الناس وهربت بباطني عنك، سرتُ في خطوات الشيطان أقفو أثره مُتْهماً في البعد عنك ومُنْجِداً! صبغتُ ظاهري بقشرةِ تقوى بينها وبين ملامسة القلب أطْنان الحجب وأثقال الذنوب!

وها أنا ذا يا إلهي في ضيافتك، وقد أدركتُ أنّي من الأخسرين أعمالاً فهل تنهمر مُزُن رحمتك لتغسلني من أدراني؟ وهل تبلسم بحنانك جراحاتِ قلبي المظلم، وتمطره بحزمة

١- الإقبال: ٣٥٠.

سناً فتطهّرني من عيوبي وتمنّ عليّ بتقوىً تلامس شغافه، فأعبدك وحدك وأخشاك، وأرجوك وحدك لا شريك لك؟

مذنبٌ أنا، مقرٌّ، مذعنٌ، معترفٌ، فأقِلني. يا مقيل عثرات المذنبين.

دعاء الوداع في آخر جمعة

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ في آخر جمعة من شهر رمضان، فلمّا بصُر بي قال لي: **يا جابر هذا آخر جمعة من شهر رمضان فودّعه، وقل:**

أللّٰهُمَّ لا تجعلْه آخر العهد من صيامنا إيّاه، فإنْ جعلْتَه فاجعلني مرحوماً، ولا تجعلني محروماً، فانّه من قال ذلك ظفر بإحدى الحسنيين: إمّا ببلوغ شهر رمضان من قابل، وإمّا بغفران الله ورحمته.[1]

والظاهر أنّ المراد تكرار هذا الوداع في الأسبوع الأخير من الشهر الكريم.

صلاة الليلة الرابعة والعشرين

١- حصّة هذه الليلة من الألف ركعة: وهي عبارة عن ثلاثين ركعة، ثماني ركعات بعد صلاة المغرب واثنان وعشرون بعد صلاة العشاء، نقرأ في كلّ ركعة الحمد مرّة وقل هو الله أحد مرة، أو بالترتيب المتقدّم ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو عشراً.

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **ومن صلى ليلة أربع وعشرين منه ثماني ركعات يقرأ فيها ما يشاء كان له من الثواب كمن حجّ واعتمر.**[2]

٣- قال الكفعمي: «**ويستحبّ أن يصلّي في كلّ ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد "..." والتوحيد ثلاثاً، فإذا سلّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثمّ يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثمّ يقول: سبحانك سبحانك يا عظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثمّ تصلي على النبيّ عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب**».[3]

١- الإقبال: ١/ ٤٢٢.

٢- الحر العاملي، وسائل الشيع: ٨/ ٤٠؛ والكفعمي، البلد الأمين: ٦.

٣- الكفعمي، البلد الأمين: ٥٦٣. الهامش.

٢٤

شهر رمضان

* دعاء اليوم الرّابع والعشرين

* صلاة اللّيلة الخامسة والعشرين

دعاء اليوم الرّابع والعشرين

اللّهمّ إنّي أسألك فيه ما يرضيك، وأعوذ بك ممّا يؤذيك، وأسألك التّوفيق لأن أطيعك ولا أعصيك يا جواد السّائلين.

إلهي طالما أسخطتك! لقد مللتُ نفسي لفرْط تمرّدها، فهل تمنّ عليّ بما يرضيك؟!.

ما أسعد من رضيت عنه، وما أشقى من حلّ عليه غضبك فهوى!.

إلهي، يرتجف القلب وتستبدّ به الرّاجفة من هذه الكلمة (يؤذيك)!!!

يا لَحَظّي العاثر ومصيري الدّاثر!

وهذه أيّام شهرك ولياليه آذنت بانقضاء، فهل تمنّ عليّ فيها بالسّعادة، أن لا آتي في ما أستقبل إلّا ما يرضيك، إلهي إليك التجأت، وبك استعذت فوفّقني لطاعتك، واجعلني ممن نظرت إليه فرحمته، وأحللته حماك بجودك، يا من أمرتنا بالدّعاء وضمنت الإجابة يا جواد السّائلين.

جاء في تفسير (الآلوسيّ): «ويعجبني قول بعضهم: وما أولى هذا المذنب به:

أنا مذنبٌ أنا مخطئٌ أنا عاصي ... هو غافرٌ هو راحمٌ هو عافي

قابَلْتُهُنّ ثلاثةً بثلاثةٍ ... وسَتَغْلِبَنْ أوصافُه أوصافي».[1]

صلاة اللّيلة الخامسة والعشرين

١- وهي عبارة عن ثلاثين ركعة ثماني ركعات بعد صلاة المغرب، واثنتان وعشرون بعد صلاة العشاء، وتقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة و(قل هو الله أحد) مرّة أو بالتّرتيب الذي ذُكر مراراً ثلاث مرّات أو خمساً أو سبعاً أو عشراً.

٢- عن رسول الله ﷺ: «ومن صلّى ليلة خمس وعشرين منه ثماني ركعات يقرأ فيها (الحمد) وعشر مرّات (قل هو الله أحد)، كتب الله له ثواب العابدين».[2]

٣- قال الكفعميّ: «ويُستحبُّ أن يصلّي في كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ(الحمد) ".." و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقول التّسبيحات الأربع سبعاً، ثمَّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمَّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ..».[3]

١- الآلوسيّ، تفسير الآلوسيّ: ٩/ ٧١.

٢- الحرّ العامليّ، وسائل الشّيعة: ٨/ ٤٠؛ والكفعميّ، البلد الأمين: ص١٧٦.

٣- الكفعميّ، البلد الأمين: ص٥٦٣. الهامش.

٢٥

شهر رمضان

* لنتداركْ تقصيرنا
* رصيد الآخرة
* كيف نتدارك؟
* دعاء اليوم الخامس والعشرين
* صلاة اللّيلة السّادسة والعشرين

لنتدارك تقصيرنا

هذه ليالي شهر الله تعالى قد آذنت بانقضاء وسرعان ما تأتي ليلة العيد وينادي منادي الرّحمن أيّها النّاس هلمّوا إلى جوائزكم، لتوزّع الجوائز في يوم العيد.

السّؤال الذي ينبغي أن يطرحه كلّ منّا على نفسه: ما هي الحصيلة التي سأصل بها إلى يوم العيد، يوم توزيع جوائز الله تعالى؟

والفائدة العمليّة من طرح هذا السّؤال الآن، أن نتدارك في ما بقي من شهر الله تعالى تقصيرنا في ما مضى منه.

إذا كان بعضنا قد وفّقه الله تعالى لصالح الأعمال -وحافظ عليها- فلْيحرص على تحصين ما حصل عليه وزيادته ليستحقّ جوائز أفضل، ومواهب أسنى.

وهذا السّؤال -ما هي الحصيلة التي سأصل بها إلى ليلة العيد- ينحلّ إلى أسئلة عديدة ينبغي أن يطول وقوفنا عندها، فنتأمّل مليّاً في عملنا من أوّل شهر رمضان المبارك وإلى الآن في مختلف الجوانب.

ينبغي أن يسأل كلّ منّا نفسه:

ما هي حقيقة صيامي؟

هل كان صومي صوماً حقيقيّاً أم كان مجرّد امتناع عن المفطرات لأنّه كان مقترناً بمعاصي الجوارح؟

فلأجرّب، إذاً، أن أصوم يوماً واحداً حقيقيّاً، لأقول بلسان الحال: إلهي ها أنا حاولت أن يكون صومي خالصاً لك وصادقاً.

والصّلاة أوّل وقتها؟

كيف تعاطيت مع «**عمود الدّين**» طيلة شهر الدّين؟ هل التزمت بالصّلاة أوّل وقتها مستجيباً بذلك لحثّ المصطفى ﷺ للأُمّة على الاهتمام بأوّل وقت الصّلاة؟

وقراءة القرآن الكريم؟

كم قرأت من كتاب ربّي؟ أوليس هذا شهر القرآن؟ أوّلاً تنبع أهميّة شهر رمضان من أنّه يحتضن ليلة القدر، ليلةَ نزول القرآن الكريم؟

وحُسن الخُلُق؟

هل حاولتُ أن أُحسِّن خلقي في هذا الشّهر؟ كيف كان التّعامل مع الزّوج والأولاد والجيران والنّاس؟

ينبغي أن يحاسب كلّ منّا، أيّها الأعزّاء، نفسه، فإذا رأى أنّ النّتيجة التي حصل عليها

دون ما ينبغي، أو رأى -لا سمح الله- أنّه لا وجود لنتيجة تُذكر، فينبغي استعظام ذلك حقيقةً والشّعور الجادّ بالتّقصير، وشدّ الهمّة في التّدارك.

لقد بسط لنا الرّحمن موائد رحمته ودعانا إلى ضيافته، وها أنا ذا أكاد أغادر ضيافة ربّي ولعلّني خالي الوفاض، صفر اليدين!!

إنّها فرصة قد لا تتكرّر. من قال إنّي سأدرك شهر رمضان المبارك القادم؟ أو سأوفّق للوقوف في عرفات. عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**من لم يُغفر له في شهر رمضان لم يغفر له إلى قابل** (أي إلّا في شهر رمضان من السّنة التّالية) **إلّا أنْ يَشهد عرفة**».[1]

ليفترض الصّائم -وأطال أعمار الجميع- أنّه توفّي قبل ذلك وليردّدْ ما في دعاء السّحر «**فمن يكون أسوأ حالاً منّي إن أنا نُقِلتُ على مثل حالي** (أي بتقصيري وحبّي للدّنيا وغِيبتي وجرأتي على الله تعالى) **إلى قبرٍ لم أمهّده لرقدتي ولم أفرشه بالعمل الصّالح لضجعتي**».

ليفكرْ كلّ منّا أيّها الأعزّاء بهَوْل العرض على الله تعالى: «**فيا سوأتاه غداً من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفّين جوزوا وللمثقلين حُطّوا أفَمع المخفِّين أجوز أم مع المثقلين أُحَطّ؟ ويلي كلّما كبُر سنّي كثرت ذنوبي كلّما طال عمري كثرت معاصيَّ، فكم أتوب وكم أعود أما آن لي أن أستحي من ربّي**».

إنّها فرصةٌ عظيمة وما تزال في متناولنا، فمن لم يصم فباستطاعته أن يتدارك ما بقي في هذا الشّهر وليثقْ بأنّ الله تعالى لا يردُّه ولا يخيّب أمله.

من كان تاركاً للصّلاة فليبدأ الآن الصّلاة تائباً إلى الله عزّ وجلّ، ومن كان مقيماً على الغيبة، أو قطيعة الرّحم، أو عقوق الوالدين، فليتدارك.

إنّنا أمام فرصة عظيمة للتّوبة إلى الله عزّ وجلّ.

اللّهمّ انقلنا إلى درجة التّوبة إليك، وأعنّا بالبكاء على أنفسنا.

رصيد الآخرة

أيّها الأعزّاء، ينبغي أن ندرك أهميّة الثّواب، ونغتنم ما بقي من شهر الله تعالى لنرفع من رصيدنا من الثّواب إلى أعلى الدّرجات.

بدءًا من سكرات الموت، وفي عالم البرزخ، وفي الآخرة عموماً، سنجد أنفسنا وجهاً لوجه أمام الحاجة إلى الثّواب. أغنى الأغنياء في الدّنيا، لا تنفعه الميليارات، فهي عُملةٌ غيرُ رائجة هناك ولا تصلح للتّداول، والعملة التي تصلح للتّداول، وما ينجو به الإنسان هو رصيده من الثّواب. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

١- الشّيخ المفيد، المقنعة: ص ٣٠٩.

يا قلب..

كيف أتعاطى مع هذه الفرصة الإلهيّة المتبقّية من شهر رمضان المبارك؟ هل يصحّ التّعاطي معها بالإهمال الذي طبع عملي طيلة ما مضى من شهر الله عزَّ وجلّ، حيث بسط لي ربّي موائد الرّحمة لأحصل على عظيم الثّواب بأرخص الأثمان، وها أنا أكاد أغادر الموسم الفريد دون حصيلة تذكر.

أراد ربّي، تقدّست أسماؤه، أن ينقضي عنّي شهر رمضان وأنا من أغنى الأغنياء ثواباً، وها أنا لا أكاد ألوي على شيء!!

بهذه الرّوحيّة ينبغي أن نستقبل ما بقي من شهر رمضان المبارك ولياليه، وما تزال أمامنا فرصة يمكننا فيها التّعويض والتّدارك.

كيف نتدارك؟

لنحاول استعادة إحساسنا من خلال تذكّر مشاعرنا عند دخول شهر الله تعالى حيث يكثر الحديث، عادةً، عن خطبة النّبيّ ﷺ فيصبح المؤمن يُصغي باهتمام ليعرف أهمّ الأعمال ليكثر منها، إلّا أنّ تعاقب الأيّام واللّيالي يضعف هذا الاهتمام، وربّما نتعامل مع الأيّام الأخيرة من شهر رمضان المبارك، خصوصاً بعد ليالي القدر، بغير مبالاة وعدم اكتراث.

لذلك أُذكّر هنا نفسي وإخواني وأخواتي ببعض ما تقدّم في بداية الشّهر المبارك.

لنضع خطبة رسول الله ﷺ أمامنا ونحاول أن نطبّق ولو بعض ما أمرنا بالاهتمام به.

فلنحاول أن نصوم يوماً واحداً صوماً حقيقيّاً فإنّ في ذلك خيراً كثيراً، ولنحاول أن نلتزم قدر الاستطاعة بالصّلاة أوّل وقتها، ولنُلْغ كلّ ما يمكن إلغاؤه ونؤجّلْ كلّ ما يمكن تأجيله لنعزّزَ الوقت الذي يمكن أن نمضيَه بالطّاعة والعبادة، ولنخصّص أكثر وقتنا المتاح لقراءة القرآن الكريم، والاستغفار، والصّلاة على النّبيّ وآله وطول السّجود.

ألم يتقدّم معنا أنّ آية واحدة تُقرأ في شهر الله تعالى يُعطى قارئها ثواب من ختم القرآن الكريم؟

إذا كنت لم أقرأ من كتاب ربّي أو قرأت قليلاً فلماذا لا أحرص الآن أن أعوّض؟

كم استغفرتُ الله تعالى؟

ألم يتقدّم معنا: «**أيّها النّاس أنّ نفوسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم**»؟!.

أمامي، إذاً، فرصةٌ قصيرة يمكنني أثناءَها أن أفكَّ نفسي من الرّهن، فلماذا لا أُكثِر من الاستغفار؟

ولماذا لا أُكثِر من الصّلاة على النّبيّ وآله ﷺ؟

ألم يقل لنا رسول الله ﷺ، وهو الصّادق الأمين، إنّها تُثَقِّل الموازين يوم تخفُّ الموازين؟!

لنجرِّب طول السّجود في هدي الحنان النّبويّ: «وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخفِّفوا عنها بطول سجودكم».

ولنجرِّب حُسن الخُلُق..

ومن لا يستطيع منّا أن يكون حسن الخلق في كلّ الفترة الباقية من شهر رمضان المبارك، فليجرِّب أن يحسِّن خُلُقه ولو بعض المرّات، ومن حُسن الخُلُق توقير الكبار ورحمة الصّغار، فلنحرص على أن لا ينقضي عنا شهر رمضان دون أن نكرم يتيماً ونهتمّ بصلة الرّحم في هذا الشّهر الكريم، فلعلّ إحدى هذه المفردات تشكّل منعطفاً مصيريّاً، وما ذلك على الله تعالى بعزيز.

علينا، إذاً، أيّها العزيز أن نشحن أوقاتنا في هذه الفترة المتبقّية بالعمل الصّالح.

دعاء اليوم الخامس والعشرين

اللّهمّ اجعلني فيه محبّاً لأوليائك ومعادياً لأعدائك مُستنّاً بسنّة خاتم أنبيائك، يا عاصِمَ قلوب التبيّين.

يريد الدّعاء لكلٍّ منّا أن يدعو القلب: اللّهمّ ارزقني حبّك وحبّ من يحبّك، اجعلني يا إلهي بشراً سويّاً، خلّصني من انفصام قلبي بين وهْم حبّك وحبّ أعدائك ليوافق قولي فعلي وظاهري بواطني وتتعلّق همَّتي بما عندك ورغبتي في ما يرضيك فأقول صادقاً:

عليك يا واحدي عكفتْ همّتي، وفي ما عندك انبسطتْ رغبتي، وبك أنستْ محبّتي.

سيّدي ولا سبيل إلى ذلك إلّا بحبّ أوليائك، ومعاداة أعدائك، والاستنان بسنّة خلقك وخاتم أنبيائك، فوفّقني واعصم قلبي يا عاصم قلوب التبيّين.

صلاة اللّيلة السّادسة والعشرين

١- حصّة هذه اللّيلة من الألف ركعة، هي ثلاثون ركعة، ثمان منها تُصلّى بعد صلاة المغرب واثنتان وعشرون بعد صلاة العشاء، في كلّ ركعة نقرأ (الحمد) مرّة و(قل هو الله أحد) بالتّرتيب المتقدّم.

٢- عن رسول الله ﷺ: «**ومن صلّى ليلة ستّ وعشرين منه ثماني ركعات، فُتحت له سبع سماوات، واستُجيب له الدّعاء، مع ما له عند الله من المزيد**».[١]

٣- قال الكفعميّ: «**ويُستحبُّ أن يصلّي في كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ(الحمد) ".." و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقول التّسبيحات الأربع سبعاً، ثمَّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمَّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ..**».[٢]

١- الحرّ العامليّ، وسائل الشّيعة: ٨/ ٤٠-٤١؛ والكفعميّ، البلد الأمين: ص١٧٦.

٢- الكفعميّ، البلد الأمين: ص٥٦٣. الهامش.

٢٦
شهر رمضان

* تجديد التّوبة
* شروط التّوبة
* كيف نحصي ذنوبنا؟
* كيف نستغيث؟
* دعاء اليوم السّادس والعشرين
* صلاة اللّيلة السّابعة والعشرين

تجديد التّوبة

ثلاثة أيّام أو أربعة سرعان ما تنقضي، وإذا بنا خارج شهر رمضان المبارك، فهل سنكون من السّعداء الذين منَّ الله عليهم بعتق رقابهم من النّار، أم أنّنا، لا سمح الله، سنكون من الأشقياء؟!

يلحّ علينا جميعاً بطرح هذا السّؤال، ما ورد عن الصّادق الأمين، الرّؤوف الرّحيم ﷺ: **«الشّقيّ من حرم غفران ربّه في هذا الشّهر الشّريف»**.

على المسلم أن يعيش بعمْقٍ هول الكارثة التي تحلّ به، إذا لم تشمله الرّحمة الإلهيّة فيُكتب من السّعداء عتقاء الله تعالى في هذا الشّهر المبارك.

بليلة واحدة، بل بساعة أو أقلّ، يمكن للتّائب أن ينتقل من حضيض الذّنوب إلى أوج القرب الممكن بالنّسبة إليه.

فكيف إذا كانت هذه اللّيلة في شهر الله تعالى، وكيف إذا كانت في العشر الأواخر منه، تنطلق التّوبة فيها في حُرقتها ولوعتها من منطلق: **«إلهي ربح الصّائمون، وفاز القائمون، ونجا المخلِصون، ونحن عبيدك المذنبون، فارحمنا برحمتك، واعتقنا من النّار بعفوك، واغفر لنا ذنوبنا، برحمتك يا أرحم الرّاحمين»**.

***

يتركّز الحديث هنا حول فقرات من دعاء التّوبة للإمام السّجّاد عليه السّلام علَّنا نوفَّق لتوبةٍ صادقة يعوِّض عمقُ ندمها وضَرَمُ حسرتها تقصيرَنا في ما مضى.

يقول عليه السّلام: **«هذا مقام من تداولته أيدي الذّنوب وقادته أزِمَّة الخطايا واستحوذ عليه الشّيطان»**.

تداولته أيدي الذّنوب: نقلتْه من ذنبٍ إلى ذنب فلا يكاد يخرج من معصية إلّا ويقع في معصية أخرى.

وقادته أزِمَّة الخطايا: كأن لكلّ خطيئة زمام «رسن»! والعاصي يُقاد بهذه الأزِمَّة، فهو تابعٌ لغيره كما يتبع الحيوان صاحبه، بل هو أسوأ من الحيوان، لأنّ هذا الذي يتبعه هو حيوان الشّهوة والهوى وشيطانهما.

واستحوذ عليه الشّيطان: سيطر عليه الشّيطان فهو بالنّسبة إليه أكثر من قرين، إنّه لا يسير مقتفّياً أثره وحسب، ولا يمشي في خطواته فقط، بل ملّك الشّيطان عليه عقلَه وقلبَه واجتاح كلّ مواقع نفسه، واستولى عليه واستقرّ واستحوَذ، فغدا باختياره صدىً للشّيطان، ومظهراً لاستحواذه.

«فقصَّر عمّا أمَرْتَه به تفريطاً، وتعاطى ما نهيتَ عنه تغريراً، كالجاهل بقدرتك عليه، أو كالمنكر فضل إحسانك إليه.

التّفريط: تقصيرٌ يؤدّي إلى التّضْييع، وهو في حقيقته لا ينفصل عن التعمّد، بل هو أسوأ

أنواع التعمّد، لأنّه لا يستند إلى قناعة بما يسوّغ التّقصير، بل يستند إلى قناعة واضحة بأنّ ذلك عين الخطأ، ولكنّ غلبة الشّقوة تحمل على التّضييع.

والتّغرير: حمْل النّفس على الغرور، **والغرور**: الانخداع، فيكون المعنى: حمْل النّفس على الانخداع، وهو معنى يصوِّر، بإبداع، حال العاصي الذي تقحّم أودية الخطر وهو يعلم أنّه يُلقي بيده إلى التّهلكة، فهو ليس جاهلاً بقدرة الله تعالى عليه، ولا منكراً لفضل إحسانه إليه، بل هو مثلهما، وقد حمّل نفسه على أن يكون كذلك.

شروط التّوبة

«حتّى إذا انفتح له بصر الهدى، وتقشّعت عنه سحائب العمى».

يبدأ عليه السّلام ببيان ما ينبغي أن يقوم به التّائب الذي انفتح له بصر الهدى وزالت عنه حُجب الذّنوب، وهي غيوم العمى، فيذكر، عليه السّلام، الشّروط التّالية للتّوبة:

١-أحصى ما ظلم به نفسه

من أراد أن تكون توبته حقيقيّة، فعليه أن يحصيَ ذنوبَه، وليحرص أن لا ينسى أيّ ذنب فيكون ممّن قال فيهم عزَّ وجلّ: ﴿..أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ..﴾ المجادلة:٦.

ولا يستخفّ بذنبٍ فيظنّ أنّه لا داعي للتّفكير به واستحضارِه، فقد روي عن رسول الله ﷺ: **«يا ابن مسعود، لا تحقّرنّ ذنباً ولا تُصغّرنّه، واجتنب الكبائر، فإنّ العبد إذا نظر يوم القيامة إلى ذنوبه دمعت عيناه قيحاً ودماً، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾»**[1].

٢- فرأى كبير عصيانه كبيراً، وجليل مخالفته جليلاً.

والشّرط الثّاني للتّوبة أن يدرك التّائب خطورة المعصية وهو يفكّر في معاصيه، فيتعامل بكلّ موضوعيّة وواقعيّة، ولا يسمح لنفسه أن تحجبه عن حجم خطورة ما اقترف، والواقع أن كلّ المعاصي كبيرة، بالنّظر إلى من نعصي.

الذّنوب كلّها كبائر

جاء في شرح أصول الكافي: «وقال جماعة: الذّنوب كلّها كبائر لاشتراكها في مخالفة الأمر والنّهي، لكن قد يُطلَق الصّغير والكبير على الذّنب بالإضافة إلى ما فوقه وما تحته»..» قال الشّيخ الطّبرسيّ في (مجمع البيان) بعد نقل هذا القول: وإلى هذا ذهب أصحابنا رضي الله عنهم فإنّهم قالوا: المعاصي كلّها كبيرة لكنّ بعضها أكبر من بعض وليس في

١- الرّيشهريّ، ميزان الحكمة: الذّنوب.

الذّنوب صغيرة وإنّما يكون صغيراً بالإضافة إلى ما هو أكبر ويستحقّ العقاب عليه أكثر»؛ قال الشّيخ في (الأربعين): لا يخفى أنّ كلام الشّيخ الطّبرسيّ مشعر بأنّ القول بأنّ الذّنوب كلّها كبائر متّفق عليه بين علماء الإماميّة وكفى بالشّيخ ناقلاً:

إذا قالت حذام فصدقوها فإنّ القول ما قالت حذامِ».[1]

٣- فأقبلَ نحوك مؤمّلاً لك مستحيياً منك.

نحن أمام أمَل المستجي، أو حياء الآمل، لندرك أنّ مِن مقوّمات الاستغفار الحياء الذي قد ننساه فنعيش الأمل فحسب، والله تعالى أرحم الرّاحمين، ولكنّ حقّ لمن أتى بما يوجب الخجل أن يستحي، بل ويغمره الحياء والخَجل، قبل حياء العرض على الله تعالى، والوقوف بين يديه.

كم سنخجل عندما نرى ذنوبَنا؟ أليس من الأفضل لنا أن يشتدّ حياؤنا من ربّنا عزّ وجلّ ونتوب فيغفر لنا ويسترَ علينا، ويمحوَ سيّئاتِنا من صحائفِ أعمالنا ويُنسي بقاع الأرض هذه المعاصي فنقف بين يديه وقد طُويَت صفحة ذنوبنا برحمته.

أ- ووجَّه رغبته إليك ثقةً بك فأمَّك بطمعه يقيناً.

ونحن هنا أمام الرّجاء والأمل، بل الثّقة بالكرم واليقين بما وعد به من الإجابة.

وسيأتي الكلام مباشرة- عن الخوف، وتقديمُ الرّجاء على الخوف ينسجم مع حال التّائب حيث إنّه بحاجةٍ إلى الرّجاء أكثر منه إلى الخوف.

ب- وقصدك بخوفه إخلاصاً

لا بدّ من الخوف، إذاً، وللمذنب أن يخاف بل عليه أن يشتدّ خوفه، وبمقدار الجناية يكون وجيبُ القلب، وبمقدار عُمقِه في النّفس تكون الحاجة إلى المُنجي والمغيث، فيصبح لعنصري الأمل والرّجاء معنىً آخر.

ويتفاعل ذلك كلّه في لحظة اليقظة والوعي، فيُنتج الشّرط السّادس للتّوبة وهو التّضرّع والاستغاثة.

ت- فَمَثَلَ بين يديك متضرّعاً، وغمض بصره إلى الأرض متخشّعاً، وطأطأ رأسه لعزّتك متذلّلاً، وأبثَّك من سرِّه ما أنتَ أعلم به خضوعاً وعدّد من ذنوبه ما أنت أحصى لها خشوعاً، واستغاث بك من عظيم ما وقع به من علمك وقبيح ما فضحه في حكمك، من ذنوب أدبرت لذّاتها فذهبت وأقامت تبعاتها فلَزِمَتْ.

١- المولى محمّد صالح المازندرانيّ، شرح أصول الكافي: ٩/ ٢٦٠. والمراد بـ الشّيخ في (كتاب الأربعين) الشّيخ بهاء الدين العامليّ رضوان الله تعالى عليه؛ أنظر: البحرانيّ، الحدائق الناظرة: ١٠/ ٥٢.

تقف بنا هذه الفقرات عند الخشوع وتعميق الخجل والحياء وتعداد الذّنوب مجدّداً، ومعاودةِ استعراضها لتعميق إدراك قبحها وطلبِ الصّفح من الله تعالى.

كما تقف الفقرات عند رفع وتيرة التّضرّع لتصل إلى الاستغاثة، كما هي حال الغريق أو مَن أحاطت به النّار، فيستغيث من الأعماق.

فلنستغث أيّها العزيز، واثقين أنّ ربّنا نِعمَ الرّبّ، غياث من لا غياث له، وموضع حاجات الطّالبين، ومحبّ التّوّابين، وصريخ المستصرخين، وأرحم الرّاحمين.

هذه ستّة شروط، إذاً، للتّوبة وهي كما يلي: إحصاء الذّنوب، إدراك خطورتها، الحياء من الله تعالى، رجاء مغفرته عزَّ وجلّ، الخوف من غضبه وأليم عذابه، التّضرّع والاستغاثة.

كيف نحصي ذنوبنا؟

يبيِّن آية الله المَلَكيّ التّبريزيّ، رحمه الله أنّه يستحبّ لمن أراد التّوبة أن يتّخِذَ دفتراً يسجّل عليه معاصيه فيبقى لمدّة يومين يسجّل كلّ ما يتذكّره، والأفضل أن يجعل جدولاً لمعاصي العين، وجدولاً لمعاصي الأذن، واللّسان وهكذا.. ويظلّ يفكّر بخطورة ذلك حتى يصبح بكلّ كيانه جاداً للتّوبة مستعدّاً للعلاج، وتصبح كلّ ذرّة في وجوده تقول: «**أستغفر الله ربّي وأتوب إليه**» عندها تتحقّق تلقائيّاً كلّ المراتب الأخرى.

وليلاحظ وجوبُ الحذر أن يقع ما يسجّله في يد أحد، فالله تعالى خير السّاترين يحرم فضيحة العبد لنفسه. لذا يمكن أن يكتب مرمّزاً يخلط بين الحسنات والسّيّئات بحيث لا يعرفه إلّا كاتبه.

المهمّ الإلفاتُ إلى التّدقيق في إحصاء الذّنوب والباقي تفصيل.

كيف نستغيث؟

أورد هنا بقيّة دعاء المولى الإمام السّجّاد عليه السلام، علّنا نتعلّم منه كيف تكون الاستغاثة:

«اللّهمّ إنّي أتوب إليك في مقامي هذا من كبائر ذنوبي وصغائرها، وبواطن سيّئاتي وظواهرها، وسوالفِ زَلّاتي وحوادثِها، توبةَ مَن لا يحدّث نفسه بمعصية، ولا يُضمر أن يعود في خطيئة، وقد قلتَ يا إلهي في محكم كتابك إنّك تقبل التّوبة عن عبادك، وتعفو عن السّيّئات، وتحبّ التّوّابين، فاقبل توبتي كما وعدت، واعفُ عن سيّئاتي كما ضمنتَ، وأوجبْ لي محبّتَك كما شرطْتَ. ولك يا ربّ شَرْطي ألّا أعود في مكروهك، وضماني أن لا أرجع في مذمومك، وعهدي أن أهجُر جميع معاصيك، اللّهمّ إنّك أعلمُ بما عمِلتُ فاغفر لي ما علِمتَ، واصْرِفني بقدرتك إلى ما أحببتَ.

اللّهمّ وعليّ تبعاتٌ قد حفظتُهنّ، وتبعاتٌ قد نسيتُهنّ، وكلُّهنّ بعينك التي لا تنام، وعِلمِك الذي لا يَنسى، فعوِّضْ منها أهلَها، واحطُطْ عني وِزْرَها، وخفِّفْ عني ثِقْلَها،

واعصِمني من أن أُقارِفَ مثلَها، اللّهمّ وإنّه لا وفاء لي بالتّوبة إلّا بعصمتك، ولا استمساك بي عن الخطايا إلّا عن قوّتك، فقوِّني بقوّة كافية وتولّني بعصمةٍ مانعة.

اللّهمّ أيُّما عبدٍ تاب إليك وهو في عِلم الغيب عندك فاسخٌ لتوبته، وعائدٌ في ذنبه وخطيئته، فإنّي أعوذ بك أن أكون كذلك، فاجعل توبتي هذه توبةً لا أحتاج بَعدها إلى توبة، توبةً موجبةً لِمَحْوِ ما سَلَف، والسّلامةِ في ما بقي، اللّهمّ إنّي أعتذر إليك من جهْلي، وأَسْتَوْهِبُك سوء فِعْلي، فاضْمُمْني إلى كنَفِ رَحْمتِك تَطوُّلاً، واستُرْني بسِتر عافيتك تفضُّلاً، اللّهمّ وإنّي أتوب إليك من كلّ ما خالف إرادتك، أو زال عن محبّتك من خطرات قلبي ولحظات عيني، وحكايات لساني، توبة تَسْلَمُ بها كلّ جارحة على حيالها من تَبِعاتك، وتأمن ممّا يخاف المعتدون من أليم سطواتك.

اللّهمّ فارْحم وَحدتي بين يديك، ووَجِيبَ قلبي من خشيتك، واضطرابَ أركاني من هَيْبتك، فقد أقامتني -يا ربّ- ذنوبي مقام الخِزْيِ بفِنائك، فإن سكتّ لم يَنطِق عنّي أحد، وإن شفعت فلست بأهل الشّفاعة. اللّهمّ صلّ على محمّد وآله، وشفِّعْ في خطاياي كرمَك، وعُدْ على سيّئاتي بعفوك، ولا تَجزِني جزائي من عقوبتك وابْسُط عليّ طَوْلَك، وجلِّلْني بسترك، وافعلْ بي فِعْلَ عزيزٍ تضرّع إليه عبدٌ ذليلٌ فرحِمَه، أو غنيٍّ تعرّض له عبدٌ فقيرٌ فنَعَشَه.

اللّهمّ لا خفيرَ لي منك فلْيَخفِرْني عزّك، ولا شفيع لي إليك فليشْفَعْ لي فضْلك، وقد أوجلتني خطاياي فلْيؤمِنّي عفوُك، فما كلّ ما نطقتُ به عن جهلٍ منّي بسوء أثري، ولا نسيانٍ لما سبق مِن ذميمِ فِعلي، لكنْ لِتسمع سماؤك ومَن فيها، وأرضك ومَن عليها ما أظْهرتُ لك من النّدم، ولجأتُ إليك فيه من التّوبة، فلعلّ بعضَهم برحمتك يرحمُني لسوء موقفي، أو تدركُه الرِّقّة عليّ لسوء حالي، فينالُني منه بدعوةٍ هي أسمع لَدَيك من دعائي، أو شفاعةٍ أَوْكَدُ عندك من شفاعتي تكون بها نجاتي من غضبك، وفَوْزَتي برضاك.

اللّهمّ إنْ يكُنِ النّدم توبةً إليك، فأنا أنْدَمُ النّادمين، وإنْ يكنِ التّرك لمعصيتك إنابةً فأنا أوّل المنيبين، وإنْ يكنِ الاستغفار حِطّةً للذّنوب، فإنّي لك من المستغفرين، اللّهمّ فكما أمرت بالتّوبة، وضمنت القبول، وحَثَثْتَ على الدّعاء، ووعدْت الإجابة، فصلّ على محمّد وآله، واقبَلْ توبتي، ولا تُرجِعني مرجِع الخَيْبة مِن رحمتك، إنّك أنت التّوّاب على المذنبين، والرّحيم للخاطئين المنيبين.

اللّهمّ صلّ على محمّد وآله، كما هدَيْتنا به، وصلّ على محمّد وآله، كما استَنْقَذْتَنا به، وصلّ على محمّد وآله، صلاةً تشْفع لنا يوم القيامة ويوم الفاقة إليك، إنّك على كلّ شيءٍ قدير، وهو عليك يسير».

دعاء اليوم السّادس والعشرين

اللّهمّ اجعل سعيي فيه مشكوراً، وذنبي فيه مغفوراً، وعملي فيه مقبولاً وعَيْبي فيه مستوراً. يا أسمع السّامعين.

إلهي، وقفتُ ببابك في هذا الشّهر مع الواقفين، ولسوء حظّي انشغلتُ عنك ولم أنشغل بالطّلب منك والتّقرّب إليك، وها هي قوافل السّائرين تستعدّ لمغادرة باب ضيافتك محمّلةً بأنواع العطايا والهدايا، وها أنا ذا كاليتيم المنقطع فارحمني.

طالما فرّطت وأسرفت وهذا قليل سعيي أريد به كثير العطاء فاجعل، اللّهمّ، قليل سعيي مشكوراً، أسعدني بستر عيوبي والرّضا وقبول القليل، يا من قبل اليسير، يا أسمع السّامعين.

* الغسل: ليلة ٢٧

للغسل في هذه اللّيلة خصوصيّة منشأها النّصّ عليه بخصوصه، فقد روي عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**إغتسل ليلة تسع عشرة، وإحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وسبع عشرين، وتسع وعشرين**».[1]

صلاة اللّيلة السّابعة والعشرين

١- حصّة كلّ ليلة من العشر الأواخر: ثلاثون ركعة، ثمان ركعات بعد صلاة المغرب واثنتان وعشرون بعد صلاة العشاء بالتّفصيل الذي تقدّم مراراً.

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ومن صلّى ليلة سبع وعشرين منه أربع ركعات بـ (فاتحة الكتاب) مرّة و(تبارك الذي بيده المُلك)، فإن لم يحفظ تبارك، فخمس وعشرون مرّة (قل هو الله أحد)، غفر الله له ولوالديه».[2]

٣- قال الكفعميّ: «ويُستحبُّ أن يصلّي في كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ(الحمد) ".." و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقول التّسبيحات الأربع سبعاً، ثمَّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمَّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ..».[3]

١- الإقبال: ١/ ٤٠٠.

٢- الحرّ العامليّ، وسائل الشّيعة: ٨/ ٤٠؛ والكفعميّ، البلد الأمين: ص١٧٦.

٣- الكفعميّ، البلد الأمين: ص٥٦٣. الهامش.

٢٧

شهر رمضان

* الاستعداد للوداع
* قبل فوات الأوان
* دعاء اليوم السّابع والعشرين
* صلاة اللّيلة الثّامنة والعشرين

الاستعداد للوداع: وداع مَن عزّ فراقه

للإمام السّجّاد عليه السلام، دعاءٌ في وداع شهر رمضان المبارك، يفتح لنا آفاقاً رحْبَةً لإدراك عظمة هذا الشّهر، ومن يقرأ هذا الدّعاء بعد انقضاء شهر الله تعالى سيشعر حتماً بالنّدم لتفريطه وعدم اغتنام فرصة الشّهر العظيم.

وقد آثرتُ أن أقف عند بعض فقرات هذا الدّعاء قبل انقضاء ضيافة الرّحمن ليكون حافزاً على تدارك ما فات والتّعويض قبل ضياع الفرصة واستحكام النّدم.

يقول عليه السّلام: «فنحن مودِّعوه - أي شهر رمضان - وِداعَ من عزّ فراقه علينا، وغَمّنا وأوْحَشَنا انْصِرافُه عنّا، فنحن قائلون:

السّلام عليك يا شهر الله الأكبر، السّلام عليك من أليفٍ آنس فسَرّ، وأوْحَشَ منقضياً فَمَضّ (أي آلم وأوجع) السّلام عليك من مجاورٍ رقّت فيه القلوب وقلّت فيه الذّنوب، السّلام عليك من ناصرٍ أعان على الشّيطان، وصاحبٍ سهّل سُبُل الإحسان، السّلام عليك ما أكثرَ عُتَقاءَ الله فيك، وما أسْعَدَ مَنْ رعا حُرْمَتَك بك، السّلام عليك ما كان أمْحاك للذّنوب وأسْتَرَك لأنواع العيوب».

لا شكّ في أنّ من يقرأ هذه الفقرات أو يسمعها بعد انقضاء شهر الله تعالى، سيقول: يا ليتني قمت في شهر الله بما يجعلني من عتقاء الله تعالى فيه.

إنّ أمامنا، أيّها الأعزّاء، متّسعاً لذلك، فإنّ يوماً واحداً من شهر الله عزّ وجلّ كثير، عظيم القدر، يمكن أن يتدارك فيه المسلم تقصيره طيلة حياته، بل إنّ ساعةً واحدةً فيه لِمَنْ عرف حقّها كافيةٌ لأن تخرجه من كلّ ذنوبه خاصّة وأنّ أمامنا ليلة العيد التي لا تقلّ عن ليلة القدر كما روي عن الإمام السّجّاد عليه السّلام.

لنتعاملْ، إذاً، مع هذه المدّة القصيرة الباقية من شهر رمضان المبارك، من منطلق أنّها آخر الفرصة الإلهيّة العظيمة، فهي لذلك أعزّ أوقاتها وأغلاها، ولنتأمل في هذه الفقرات من دعاء الإمام السّجّاد عليه السلام، وهو الدّعاء الخامس والأربعون من أدعية الصّحيفة السّجّاديّة.

كي لا أكون كاذباً عندما أقول غداً: إنّ فراق شهر رمضان عزّ عليّ، كيف أتعامل معه الآن؟

لأقول صادقاً: عزّ فراقه عليّ هل تدلّ طريقة تفاعلي معه الآن على أنّني سيوحشني انصرافه عنّي؟

هل أنا مسرورٌ به الآن وأعيش الأنس به، لأخاطبه غداً السّلام عليك من أليفٍ آنس فسرّ؟

هل أنا متعلّقٌ به ليؤلمَني انقضاؤه عنّي ويوجعني؟

هل شعرتُ فيه برقّة القلب، كم يتيم أكرمت، كم مرّة عفوت، كم كظمت غيظي،

وهل قلّت فيه ذنوبي، وهل أعانني تقييد الشّياطين فيه على كثير طاعات؟
إن وجدتُ الإجابة على هذه الأسئلة بالإيجاب ولصالحي فلأحمدِ الله عزّ وجلّ ولأستزد، أما إذا وجدتُ الإجابة سلبيّة وليست لصالحي، فلم يفُتِ الأوان بعد.
إنّ أمامي مجالاً رحباً يمكنني أن أتدارك فيه ما فات.

قبل فوات الأوان: تذكيرُ النّفس بالبرنامج النّبويّ

تقدّمت الإشارة وأضيف: ليضعْ كلّ منّا أيّها الأعزّاء خطبة رسول الله ﷺ، حول شهر رمضان المبارك بين يديه، ويحاول أن ينفّذ كلّ ما فيها خلال ما بقي من شهر الله تعالى بمعنى أنّه يعمد إلى كلّ مفردةٍ فيها فيحاول تنفيذها ولو مرّة واحدة:

١- يكثر من قراءة القرآن الكريم ولو مرّة واحدة.
٢- يكفّ نفسه عن المحرّمات ولو ليوم واحد ليصوم صوماً حقيقيّاً.
٣- يصلّي أوّل الوقت فإنّ أوقات الصّلاة أفضل أوقات هذا الشّهر المبارك.
٤- يكثر من الاستغفار، كأن يستغفر، مثلاً، ثلاث مائة مرّة.
٥- يطيل السّجود ولو مرّة واحدة. ومن أفضل ما يقال في السّجود، الذّكر اليونسيّ: **لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظّالمين.**
٦- يكثر الصّلاة على النّبيّ وآله، ﷺ.
٧- يكرم يتيماً.
٨- يصل ولو واحداً من أرحامه.
٩- يحسّن خلقه ولو مرّة واحدة، يُستثار فلا يثور، ليكون بذلك مستجيباً لرسول الله ﷺ، ملتمساً منه الدّعاء والشّفاعة وهو ﷺ، بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم. وقد أمرنا ربّنا أن نأتيه أذا أخطأنا لنستغفر الله تعالى، ويستغفر لنا الرّسول:

قال الله عزّ وجل: ﴿...وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ النّساء: ٦٤.

وما أروع أن يفتتح ذلك أو يختم بمجلس عزاء حسينيّ تذكر خلاله فجيعة المصطفى الحبيب بنفسه أمير المؤمنين صلّى الله عليهما وآلهما، إعلاناً للثّبات في خطّ رسول الله ﷺ، وإشهاداً للملائكة والوجود بالبكاء لما أبكاه، وحبّ من أحبّهم وبلّغ عن الله تعالى وجوب حبّهم.

سيّدي يا رسول الله هذا شهر الله قد آذن بانقضاء، وقد بلغنا عنك قولك: «**الشّقيّ مَن حُرم غفران الله في هذا الشّهر العظيم**». وها أنا سيّدي بفِنائك أوقفتني الخصاصة ببابك وأنت الكريم: **يا وجيهاً عند الله أشفع لنا عند الله.**

أنت الهدى والنّور أنت محمّد الأوصاف محمودُ الشّمائل
حاشا يخيب إذا أتاك مؤمّل، ويردّ سائل

ها قـد أتيت يقودني أملي أفهل أعـود بغير طائل
ربّاه عبدك قد أســـاء وإنّ عفـــوك خير نائـل
عملي هبـــاء لستُ أرجوه لتحقيـــق المســـائـل
إلّا الصّلاة على الحبـــيب وآله الغُرّ الأفـاضـل[1]

دعاء اليوم السّابع والعشرين

اللّهمّ ارزقني فيه فضل ليلة القدر، وصيّر أموري من العُسرِ إلى اليُسرِ، واقبَل معاذيري، وحُطَّ عنّي الذّنب والوِزْر. يا رؤوفاً بعباده الصّالحين.[2]

أنت إلهي أوسع فضلاً من أن تقايسني بجهلي، مُنَّ عليّ بوافر فضلك وجزيل عطاياك، فضلِ ليلة القدر. بدِّل عسري يسراً، واقبل ما أظنّه عذراً، ولا عذر لي فأعتذر، فليشملني عفوك فإنّك ترزق العاصين كما ترزق المطيعين، إلهي إن كنت لا ترحم إلاّ المطيعين الصّالحين فمن للعاصين، فاعف عن عبدك العاصي وارأف به يا رؤوفاً بعباده الصّالحين.

صلاة اللّيلة الثّامنة والعشرين

١- حصّة هذه اللّيلة من الألف ركعة هي ثلاثون ركعة: ثمان منها بعد صلاة المغرب واثنتان وعشرون بعد العشاء، بالتّرتيب المذكور.

٢- عن رسول الله ﷺ: «ومن صلّى ليلة ثمان وعشرين من شهر رمضان ستّ ركعات بـ (فاتحة الكتاب) [مرّة واحدة] وعشر مرّات (آية الكرسيّ) وعشر مرّات: (إنّا أعطيناك الكوثر)، وعشر مرّات (قل هو الله أحد)، وصلّى على النّبيّ ح، غفر الله له».[3]

٣- قال الكفعميّ: «ويُستحبُّ أن يصلّي في كلِّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ(الحمد) ".." و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقول التّسبيحات الأربع سبعاً، ثمّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ..».[4]

١- للكاتب.
٢- أشار المحدّث القمّيّ رحمه الله إلى اختلاف في ترتيب أدعية الأيّام فقد ذكر الشّيخ الكفعميّ هذا الدّعاء في اليوم التّاسع والعشرين بدلاً من السّابع والعشرين. أضاف المحدّث القمّيّ: والأنسب أن يدعى به في اليوم الثّالث والعشرين.
٣- الحرّ العامليّ، وسائل الشّيعة: ٨/ ٤١؛ والكفعميّ، البلد الأمين: ص١٧٦.
٤- الكفعميّ، البلد الأمين: ص٥٦٣. الهامش.

٢٨

شهر رمضان

* لمن الملك اليوم؟
* المبالغة في الإلحاح
* دعاء اليوم الثّامن والعشرين
* صلاة اللّيلة التّاسعة والعشرين

لمن المُلك اليوم؟

هذا هو اليوم الثّامن والعشرون من شهر الله تعالى، وإذا كان الشّهر ناقصاً فمعنى ذلك أنّه لم يبق أمامنا من هذه الرّحمة الإلهيّة الخاصّة جدّاً إلّا اليوم ويوم الغد.

أمّا يوم الغد فينبغي الانشغال فيه بوداع الشّهر الكريم وأعمال ليلة العيد إذا ثبت، أو الاستعداد له في اليوم التّالي.

وأمّا هذا اليوم، فينبغي ملاحظة ما يجب أن تكون لنا وقفة معه قبل انقضاء الشّهر الكريم، خصوصاً ما لم يُذكر إلّا لماماً.

إنّ المحور دائماً وأبداً هو هذه الوديعة الربّانيّة، نفسي ونفسك أيّها العزيز، وكيف تردّ الأمانة إلى صاحبها سليمةً من كلّ مظاهر التّشوّه النّاشئة من الإعراض عن الحقّ والرّكض في أودية الباطل.

وعلى هذا الأساس فإنّ اليوم وغداً وما بعده إن كان، بتمامها وكمالها ينبغي أن تكون بالنّسبة إلينا فرصة المودّع للدّنيا.

ليتردّد في آصال آذان القلوب نداء: ﴿..لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ غافر: ١٦.

إنّ ما توعدون لآت. أنا وأنت وكلّ الخلائق أيّها الحبيب، سنقف في ذلك اليوم للحساب. فماذا أعددنا؟ وهل نحاول استثمار هذه الفرصة الفريدة المتبقّية؟

تعال معي تُصْغِ أفئدتنا للآيات المحيطة بجو هذا النّداء الإلهيّ: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾؟ علّنا نتمكّن من الخروج من وهْم أنّ الحاكم غير الله تعالى، وهْمِ الكثرة والتّيه والعبثيّة، إلى نور التّوحيد العمليّ ليتجلّى في عقولنا وقلوبنا والسّلوك ولاء الواحد الأحد، ولاءً صادق اللّهجة ثابت الخطى، ملؤه العزّ والسّؤدد، لا يعرف أدنى شائبة من ازدواجيّة الولاء.

﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ...﴾ غافر: ١٨ .

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٢٠ ۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٢١ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُ

قَوِيُّ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ غافر ١٣-٢٢

تمسّ حاجتنا أيّها الحبيب إلى أن نثبت على قرار طالما اتّخذناه ثمّ تراجعنا عنه، أن لا نعبد إلّا الله!

ما أوضح الهدف!

ما أوضح الهدف وما أشدّ خفاءه؟!

ما أسهل الطّريق، وما أشدّ وعورته؟!

ما أصغر الدّنيا التي تختطفنا فنصبح فيها أسرى أهوائنا، وما أكبر الآخرة التي لا تدرك إلّا بالعقول.

تضيع عنا عقولنا فإذا الدّنيا كلّ شيء، والآخرة لا شيء! بل ما أصغرنا حين نبيع نفساً هي أكبر من الدّنيا والآخرة ولا جزاء لها إلّا رضوان الله تعالى، نبيعها بهوىً هباء، وشهوة تعقب ويلات!

ومَن نؤذي، ومَن نعارض، وعلى مَن نتمرّد؟

أرأيت إلى من يؤذي محبّاً له قد محضه أسمى حنان؟

أرأيت إلى من يؤذي رسول الله ﷺ، وهو الرّؤوف الرّحيم؟!

من آذى وليّاً لله وأهانه، فقد استعدّ وأعدّ وأرصد لمحاربته تعالى!

فكيف بمن آذى رسول الله ﷺ؟!!

وكيف بمن آذى الله تعالى؟!!!

ألم يتقدّم معنا في دعاء اليوم الرّابع والعشرين: **اللّهمّ إنّي أسألك فيه ما يرضيك، وأعوذ بك ممّا يؤذيك!**

ألم نقرأ في دعاء السّحر: «**تعارضنا بالتّعم ونعارضك بالذّنوب، خيرك إلينا نازل وشرّنا إليك صاعد**».

نعارضه عزّ وجلّ، ونتمرّد عليه، إلى حيث قد أوحش ما بيننا وبينه فرط العصيان والطّغيان.

ورغم كلّ ما اقترفنا وما يعلم منّا أنّنا عائدون فيه، فهو يريدنا أن نحْسن الظّنّ به ولا يذهبَنّ بحلمنا الشّيطان، فنتصوّر أنّه سبحانه لا يغفر لنا ولا يقبلنا.

ولكن ماذا لو تبنا ثمّ كسرنا توبتنا وعدنا في التوثّب على معاصيه؟

أيّها الحبيب، ومن أين لنا أن نتوب توبة نصوحاً، إلّا بتوفيق منه سبحانه؟

يؤكّد ذلك حاجتنا إلى أن تكون الوقفة ببابه جلّ ثناؤه وقفة من لا وفاء له بالتّوبة إلّا بعصمته، ليردّد القلب: **فقوّني بقوّة كافية، وتولّني بعصمة مانعة.**

إلهي، وإذا كنت كما أنا بما كسبَتْ يداي، عاجزاً عن طاعتك فاستصلحني، واجعلني كما تحبّ:

«اللّهمّ قوّني لعبادتك، واستعملني في طاعتك، وبلّغني الذي أرجو من رحمتك يا أرحم الرّاحمين، اللّهمّ إنّي أسألك الرِّي يوم الظّمأ، والنّجاةَ يوم الفزع الأكبر، والفوزَ يوم الحساب، والأَمْنَ يوم الخَوَف. وأسألك النّظر إلى وجهك الكريم، والخلودَ في جنّتك في دار المقامة من فضلك، والسّجود يوم يُكشف عن ساق، والظّلّ يوم لا ظلّ إلّا ظلّك، ومرافقة أنبيائك ورسلِك وأوليائك».[1]

دعاء اليوم الثّامن والعشرين

اللّهمّ وفّر فيه حظّي من التّوافل، وأكرِمْني فيه بإحضار المسائل، وقرّب فيه وسيلتي إليك من بين الوسائل، يا مَنْ لا يشغله إلحاح الملحّين.

إلهي حقَّ لمَن أقام في ضيافتك شهراً أن يطمع، وها أنا ذا أطلب منك توفير حظّي من التّوافل، ومن تقرّب إليك بها أحببتَه، وما أسعد من أحبَبته، وقد بلغ مسامع قلبي حديث حبّك لعبادك، ولكنّي من قِباح قِباحِهم، فهل إلى حبّك من سبيل؟

اللّهمّ وفّقني لاستحضار ما أريد منك، وتلطّف بالإجابة واجعل وسيلتي موصلةً إليك من بين مشتَبَكِ الإلحاح والطَلِبات. يا من لا يشغله إلحاح الملحّين.

صلاة اللّيلة التّاسعة والعشرين

١- حصّة هذه اللّيلة من الألف ركعة: ثلاثون ركعة بالتّرتيب المتقدّم.

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ومن صلّى ليلة تسع وعشرين من شهر رمضان ركعتين بـ (فاتحة الكتاب) [مرّة واحدة] وعشرين مرّة (قل هو الله أحد)، مات من المرحومين ورُفع كتابه في أعلى عليّين».[2]

٣- قال الكفعميّ: «ويُستحبُّ أن يصلّي في كلّ ليلةٍ من شهر رمضان ركعتَين بـ(الحمد) "..." و(التّوحيد) ثلاثاً، فإذا سلّم قال: سُبْحانَ مَنْ هُوَ حَفِيظٌ لا يَغْفَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ رَحِيمٌ لا يَعْجَلُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَلْهُو. ثمّ يقول التّسبيحات الأربع سبعاً، ثمّ يقول: سُبحانَكَ سُبحانَكَ يا عظيمُ، اِغْفِرْ لِيَ الذَّنبَ العَظيم. ثمّ تُصلّي على النّبيّ عشراً. مَن صلّاها غَفرَ اللهُ له سبعين ألف ذنبٍ..».[3]

١- من دعاء غرّة شهر جمادى الأولى. أنظر: الإقبال: ٣/ ١٥١.

٢- الحرّ العامليّ، وسائل الشّيعة: ٨/ ٤٤١؛ والكفعميّ، البلد الأمين: ص١٧٦.

٣- الكفعميّ، البلد الأمين: ص٥٦٣. الهامش.

٢٩

شهر رمضان

*اليوم الأخير، وليلة العيد
* أعمال اليوم الأخير
* المحاسبة
* تجديد التّوبة الصّادقة
* الاستعداد لإطلاق الشّياطين
* دعاء ختم القرآن الكريم
* ليلـــة العـــيد
* الجدّ في العبادة
* التّوسّـل
* بجناحي الخوف والرّجاء
* أعمـال ليـلة العـيد
* الغسل
* الإحياء* ذكْرٌ خاص
* التّكبير
* زيارة الإمام الحسين عليه السّلام
* ثلاث سوَر
* الصّلوات
* من الأدعية الخاصّة
* دعاء اليوم التّاسع والعشرين

اليوم الأخير، وليلة العيد

ينبغي التّنبّه إلى أنّ أعمال اليوم الأخير يؤتى بها في اليوم التّاسع والعشرين لاحتمال أن يثبت هلال شوّال في ليلة ذلك اليوم، ويكون اليوم التالي يوم عيد، ومن أتى بهذه الأعمال ثمّ لم يثبت العيد فينبغي له الإتيان بها في اليوم التّالي لأنّه سيكون حينئذ هو اليوم الأخير.

أمّا ليلة العيد، فمن الطبيعيّ أن لا يؤتى بها إلّا مرّة واحدة وذلك لأنّ بالإمكان الانتظار بعض الوقت لمعرفة ما إذا ثبتت رؤية الهلال أم لا، فإذا ثبتت أتى بأعمال ليلة العيد، وإذا لم تثبت اقتصر على عمل ليلة تسع وعشرين، ويأتي بأعمال ليلة العيد في اللّيلة التّالية.

أعمال اليوم الأخير

١- المحاسبة

في معرض حديثه عن مهام هذا اليوم، قال السّيّد ابن طاوس: «ومنها: اعتبار جريدة أعمالك من أوّل الشّهر إلى آخر يوم منه وقبل انفصاله. فيجلس بين يدي مالك يوم الحساب على التّراب، أو بحسب ما يتهيّأ جلوسه عليه بلزوم الآداب، ويحاسب نفسه محاسبة المملوك الضّعيف الحقير مع مالكه المطلع على الكبير والصّغير. فينظر ما كان عليه من حيث دخل دار ضيافة الله جل جلاله والحضور بين يديه».[1]

٢- تجديد التّوبة الصّادقة

قال السّيّد: «يتوب إلى الله جلّ جلاله على قدر الخطر الذي بين يديه، فإن توقّفت نفسه عن الصّدق في التّوبة والتّدم على ما فات وترك ما هو آت، وعرف منها ".." الإصرار، ".." وتعذّر عليه حصول الصّدق في هذه الحال، وأبت نفسه المعتادة على الإهمال إلّا أن يكون حديثها لله جلّ جلاله وبين يديه بمجرّد اللّفظ والمقال، والقلب خال عن الإقبال، فليشرع في دعاء أهل البلاء والابتلاء».. ويجتهد على عبرات تطفىء نيران الغضب، وعلى دعوات معروفة بلزوم الأدب، وتسليم العمل الذي عمله في شهره، إلى من كان قد جعله خفيراً وحامياً ومالكاً لأمره، فلعلّ الله جلّ جلاله لعنايته بخاصّته يقبل العمل من يد نائبه الحافظ لشريعته، ويتمّم ما فيه من النّقصان وتربح ما اشتملت عليه بضاعته من الخسران إن شاء الله تعالى».[2]

١- الإقبال: ١/ ٤٤٨.

٢- المصدر: ٤٥٤-٤٥٥.

٣- دعاء ختم القرآن

من وَفَّقه الله تعالى لختمة من القرآن الكريم، أو أكثر، فليقرأ ما يأتي الحديث عنه من أدعية ختم كتاب الله تعالى وعهده إلى خلقه.

أمّا إذا كنّا، أيّها العزيز، قد قصرنا في التّفاعل مع أصل هذا الشّهر ومحوره الذي به أصبح شهر رمضان شهر ليلة القدر وربيع القرآن، فلنبادر إلى الإكثار من قراءة كتاب ربّنا ورسالته إلينا على يدي سيّد رسله وخير خلقه ﷺ، ولنعاهد الله تعالى أن نصلح أمر علاقتنا بحياة العقول والقلوب قرآنه الكريم ونجعل ما نقرأه منه في هذا اليوم بداية ختمة نواصل قراءتها بجدّ بعد شهر الله تعالى، ليكون ذلك بعض تعويض عما فرّطنا في جَنْبِ الله سبحانه.

قال السّيّد: «**ومنها** (أي مهام هذا اليوم): **دعاء ختم القرآن، فلا أقلّ أن يكون قد ختم واحدة في طول شهر رمضان، كما تقدّم ذكره في بعض الأخبار**»[١] ثمّ **أورد دعاء الإمام السّجّاد عليه السّلام الوارد في الصّحيفة السّجّاديّة عند ختم القرآن.**[٢]

وقال المحدّث القمّيّ رحمه الله: «ويختم القرآن غالباً في هذا اليوم -أي في اليوم الأخير- فينبغي أن يدعى عند الختم بالدّعاء الثّاني والأربعين من الصّحيفة السّجّاديّة وإن شاء أن يدعو بهذا الدّعاء الوجيز ثمّ ذكر دعاءين مختصرين.[٣]

الاستعداد لدخول شوّال وإطلاق الشّياطين الذين كانوا في الاعتقال

تحت هذا العنوان نبّه سيّد العلماء المراقبين إلى مسألة بديهيّة غائبة عن الاهتمام، بل منسيّة كلياً، وهي من السّهل الممتنع، تتلخّص في أنّ المصدّق بما جاء عن رسول الله ﷺ يجب أن يعتقد بأنّ الشّياطين المغلولة، يفكّ اعتقالها في شوّال، فينبغي أن يشتدّ حذرنا من الأخطار التي تتهدّدنا نتيجة ذلك، وتظهر آثار هذا الحذر في سلوكنا باللّجوء إلى الله.

دعاء اليوم التّاسع والعشرين

اللّهمّ غشّني فيه الرّحمة، وارزقني فيه التّوفيق والعصمة، وطهّر قلبي من غياهب التّهمة يا رحيماً بعباده المؤمنين.

إلهي، كنت أطلب منك الرّحمة، وها أنا أطلب أن تغشيّني بها، وكنت أطلب منك التّوفيق أو العصمة وها أنا أجمعهما. لقد جدّ الجِدّ وأزفت ساعة الخروج من الحِمى، ولا أدري إلى ما يكون مصيري!!

١- المصدر.

٢- المصدر: ص٤٤٩ فما بعدها.

٣- المحدّث القمّيّ، مفاتيح الجنان.

فيضاً من مُزْن رحمتك، وعارضاً من وابِلها، لأتقلّب في الرّحمة فتوفّقني وتعصمني، وتطهّر قلبي من ظلمات الشّكّ وسوءِ الظّنّ بك وبمواعيدك وبعبادك.
أنت إلهي أقربُ إليّ من نفسي وقلبي، فإليك أشكوهما فارحمني أنا العاصي كما ترحم أهل الطّاعات فإنّ شمسك تشرق على المحسن والمسيء.

ليلة العيد

إذا كان الشّهر ناقصاً فغداً يوم العيد، وعليه فينبغي الحديث عنه وعن ليلته، على أن يتواصل الحديث يوم الغد إذا لم يثبت العيد.

* في الرّوايات

١- عن رسول الله ﷺ، في حديث طويل: «**فإذا كانت ليلة الفطر، وهي تسمّى ليلة الجوائز، أعطى الله العاملين أجرهم بغير حساب**».

٢- «قال الإمام الصّادق عليه السلام: «**ليلة الفطر، اللّيلة التي يستوفي فيها الأجير أجره**».[١]

٣- قال الرّاوي واسمه حسن: «قلت لأبي عبد الله [الصّادق] عليه السلام: إنّ النّاس يقولون: إنّ المغفرة تنزل على من صام شهر رمضان ليلة القدر؟ فقال: «**يا حسن إنّ القاريجار**(أي العامل) **إنّما يعطى أجرته عند فراغه وذلك ليلة العيد**».[٢]

٤- وقد تقدّمت الإشارة حول ليلة العيد إلى أنّ الإمام السّجّاد عليه السلام، كان يمضيها بالعبادة ويحثّ على الجدّ في العبادة فيها ويقول إنّها لا تقلّ أهميّة عن ليلة القدر.[٣]

الجدّ في العبادة

قال آية الله التّبريزيّ، عليه الرّحمة، مشيراً إلى هذه الرّواية: «عبادة هذه اللّيلة عظيمة جدّاً لما روي عن الإمام السّجّاد عليه السّلام، فيلزم على العامل أن يبذل في هذه اللّيلة جهداً أكبر من جهده في ليلة القدر، لأنّها جمعت مع شرفها أنّها وقت الجزاء وآخر العمل».[٤]

قد يبدو غريباً الكلام عن أن يبذل الإنسان جهداً في ليلة العيد أكبر من جهده في ليلة القدر، ولكن ما تقدّم من الرّوايات يوضح السّبب، ولعلّ من المعاني التي ترمي إليها هذه الرّوايات المباركة أنّ شدّة الذّنوب وخطورتها قد تكون حجبت استحقاق المغفرة في ليلة القدر، وأنّ هذا العاصي كان ما يزال بحاجة إلى ما يوصله إلى درجة المغفرة

١- الشّيخ الصّدوق، الهداية: ص٢١٠.
٢- البحرانيّ، الحدائق الناضرة: ٤/ ١٩١.
٣- الإقبال: ١/ ٣٦٣-٣٦٤.
٤- المراقبات: ص١٦٩ بتصرّف.

والقبول، وها هو أمام الفرصة الأخيرة التي تستدعي اجتهاداً شديداً، بل وأكثرمن كلّ ما بذله في جميع ليالي القدر وطيلة الشّهر العظيم.

قال آية الله الملكي التبريزيّ، أيضاً:

«واعلم أنّ وقت ظهور آثار أعمال شهر رمضان، وإعطاء جزاء عباداته هو يوم العيد، فمن أحسن مراقبة الله جلّ جلاله في ليلة عيده، وعالج في هذه اللّيلة تقصيره في ما يجب عليه في شهر رمضان، وجعل نفسه أهلاً للعيد، وخلط نفسه في عباد الله الصّالحين، يرجى له أن يقبله الله تعالى يوم العيد كما يقبلهم، ولا يقنّطه من خاصّة ألطافه، ولا يدقّق عليه في تقصيره في عباداته لاعترافه بالتّقصير، وطلبه من الله تعالى أن يصفح عنه بكرم وجهه، ويلحقه بأهل نواله من عباده المكرمين، والشّهداء والصّديقين».[1]

التّوسّـل

ثمّ يحثّ عليه الرّحمة، على التّوسّل في هذه اللّيلة بالمصطفى وأهل بيته الأطهار، صلوات الله عليه وعليهم، لإصلاح أعمال الشّهر كلّه، فيسلّم المتوسّل بهم أعماله طيلة شهر رمضان المبارك إليهم -إلى رسول الله وأهل البيت- صلّى الله عليه وعليهم، ويتوسّل لإصلاح نفسه، وقلبه، وظاهره، وباطنه، ويستشفع بهم إلى الله في شمول توفيق الله تعالى له طيلة سنته القادمة بل طيلة عمره كلّه.

ينبغي أن يهتمّ المسلم ليصلح بتوسّله هذا جميع ما أفسده في شهر الله تعالى وجميع عمره، ويحرص على إحياء هذه اللّيلة بالتّضرّع والجدّ في العبادة.

بجناحَي الخوف والرّجاء

ويشترك اليوم الأخير وليلة العيد في خصوصيّة بذل قصارى الجهد بالتّضرّع والاستغاثة ليمنّ الله علينا تعالى بعتق رقابنا من النّار، وإن كانت لليلة ميزتها الخاصّة.

وحول الأعداد الكبيرة التي تشملها الرّحمة الإلهيّة في ليلة العيد، ورد في حديث عن الإمام الرّضا عليه السلام:

«فإذا كان ليلة الفطر أعتق من النّار مثل ما أعتق في سائر الشّهر».[2]

لنتصوّر شخصاً حُكم عليه بالإعدام وأمامه يومٌ وبعض يوم ليحاول فيها كي لا يصدق الملك الحكم عليه بالإعدام فما هي حاله في هذه الفترة؟

وما هي حاله بالذّات في السّاعات الأخيرة؟

١- المصدر.

٢- ابن بابويه، فقه الرّضا عليه السّلام: ص٢٠٥.

طالما قرأنا، أيّها الأعزّاء، في شهر الله تعالى أو سمعنا: **الحمد لله الذي من خشيته ترعد السّماء وسكّانها، وترجف الأرض وعمّارها، وتموج البحار ومن يسبح في غمرّاتها.**

وطالما قرأنا أو سمعنا:

والحمد لله الذي يحلُم عنّي حتّى كأنّي لا ذنب لي، فربّي أحمد شيءٍ عندي وأحقّ بحمدي.

وقد آن أوان أن نمزج بين الخوف والحبّ في معادلة الرّجاء المحبّبة الواعدة.

ليسأل كلّ منّا نفسه هل أنا خائفٌ لفرط إسرافي على نفسي، وجرأتي على ربّي؟

أعمال ليلة العيد

* الأول: الغسل

١- قال الشّيخ المفيد: «وغسل ليلة الفطر سُنَّة»[١] وقال في مكان آخر: «والغسل أيضاً سنّة عند انقراضه (الشّهر) في ليلة الفطر وهي اللّيلة التي يعطى فيها العامل أجره»[٢]

وقال الشّيخ الطّوسيّ: «ويستحبّ الغسل في هذه اللّيلة بعد غروب الشّمس».[٣]

وسيأتي عنه، رحمه الله، في آخر الصّلوات استحباب غسل في آخر اللّيل.

* الثّاني: الإحياء

عن رسول الله ﷺ: «**من أحيا ليلة العيد لم يمت قلبه يوم يموت القلوب**».[٤]

وعن أبي عبد الله [الإمام الصّادق] عن أبيه عن عليّ عليهم السّلام قال: «**كان يعجبه أن يفرغ نفسه أربع ليال في السّنة وهي: أوّل ليلة من رجب، وليلة النّصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة النّحر**».[٥]

وفي فقه الإمام الرّضا عليه السلام: «**اجتهدوا في ليلة الفطر في الدّعاء والسّهر**».[٦]

* الثّالث: ذكر في السّجود بعد المغرب

قال الشّيخ الطّوسيّ: «ومن السّنّة أن يقول عقيب صلاة المغرب ليلة الفطر وهو ساجد: **يا ذا الجلال والإكرام، يا مصطفياً محمّداً وناصره، صلِّ على محمّد وآل محمّد واغفر لي كلّ ذنب أذنبته ونسيته أنا وهو عندك في كتاب مبين. ثمّ يقول: أتوب إلى**

١- الشّيخ المفيد، المقنعة: ص٥١.
٢- المصدر: ص٣١١.
٣- الشّيخ الطّوسيّ، مصباح المتهجّد: ص٦٤٨.
٤- الرّاونديّ، الدّعوات: ص٢٧٩.
٥- الشّيخ المفيد، المقنعة: ص٥١.
٦- ابن بابويه، فقه الرّضا عليه السّلام: ص٢٠٦.

الله. مائة مرّة».[١]

وهو غير ما يدعى به بعد صلاة أمير المؤمنين عليه السّلام كما سيأتي.

* الرّابع: التّكبير

وهو ذكرٌ خاصّ يكرّر في أربعة أوقات بعد صلاة المغرب والعشاء وصلاة الصّبح من يوم العيد وبعد صلاة العيد.

وقال الشّيخ المفيد: «التّكبير عند الفراغ من فرض المغرب، وانتهاؤه عند الفراغ من صلاة العيد من يوم الفطر، فيكون ذلك في عقب أربع صلوات. وشرحه أن يقول المصلّي عند السّلام من كلّ فريضة: **الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر، الحمد لله على ما هدانا، وله الشّكر على ما أولانا.** فبذلك ثبتت السّنّة عن رسول الله ﷺ، وجاءت الأخبار بالعمل به عن الصّادقين من عترته عليهم السّلام».[٢]

قال الشّيخ الطّوسيّ: «يستحبّ التّكبير ليلة الفطر، وبه قال جميع الفقهاء[٣].

".." قال أبو عبد الله عليه السلام: **أمّا إنّ في الفطر تكبيراً ولكنّه مسنون** قال: قلت: وأين هو؟ قال: **في ليلة الفطر في المغرب والعشاء الآخرة وفي صلاة الفجر وصلاة العيد ثمّ يقطع.** قال: قلت كيف أقول؟ قال: **تقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد الله أكبر على ما هدانا. وهو قول الله تعالى:** ﴿... وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ...﴾».[٤]

وقال أيضاً: «ويستحبّ أيضاً التّكبير عقيب أربع صلوات: المغرب والعشاء الآخرة وصلاة الفجر وصلاة العيد يقول: **الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الحمد لله على ما هدانا وله الشّكر على ما أولانا».**[٥]

وقال السّيّد: «وإن قدّم هذا التّكبير عقيب صلاة المغرب وقبل نوافلها كان أقرب إلى التّوفيق».[٦]

الخامس: زيارة الإمام الحسين عليه السّلام

قال الشّيخ الطّوسيّ: «ويستحبّ زيارة الحسين عليه السلام في ليلة الفطر ويوم الفطر، وروي

١- الشّيخ الطّوسيّ، مصباح المتهجّد: ص٦٤٨.
٢- الشّيخ المفيد، مسارُّ الشّيعة: ص٢٩.
٣- الشّيخ الطّوسيّ، الخلاف١/ ٦٥٦. المسألة ٤٢٤.
٤- المصدر: ص٦٥٣.
٥- الشّيخ الطّوسيّ، مصباح المتهجّد: ص٤٦٠.
٦- الإقبال: ١/ ٤٥٩.

في ذلك فضل كبير».[1]

وقال السّيّد: «زيارة الحسين، صلوات الله عليه، في ليلة عيد الفطر. وقد ذكرنا في ".." مصباح الزّائر[2] ".." بعض فضلها وما اخترناه من ".." ألفاظ الزّيارة المختصّة بها. فإن لم يكن كتابنا عنده موجوداً في مثل هذا الميقات، فليزر الحسين، عليه أفضل الصّلوات، بغير تلك الزّيارة من الزّيارات المرويات. فإن لم يجد زيارة من المنقولات فليزره، عليه السّلام، بما يفتح الله، جلّ جلاله، عليه من التّسليم عليه والتّعظيم له والثّناء عليه والاعتراف له عليه السّلام بإمامته والبراءة من أهل عداوته، والتوسّل إلى الله جلّ جلاله بشريف مقاماته في قضاء ما يعرض له من حاجاته».[3]

السّادس: قراءة ثلاث سوَر

وروي أنّه يقرأ آخر ليلة من شهر رمضان **سورة الأنعام، والكهف، ويس، ويقول: مائة مرّة: أستغفر الله وأتوب إليه.**[4]

السّابع: الصّلوات

١- عشر ركعات: صلاة يؤتى بها في اللّيلة الأخيرة ليتقبّل الله تعالى عمل شهر رمضان كلّه؛ أكّد الصّلاة السّيّد ابن طاووس والشّيخ الكفعميّ والمحدّث القمّيّ رحمهم الله تعالى، وهي مروية عن النّبيّ ﷺ قال: «**من صلّى ليلة عيد الفطر عشر ركعات بـ (الحمد) مرّة و(الإخلاص) عشر مرّات، ويقول مكان تسبيح الرّكوع والسّجود: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر. ويسلّم بين كلّ ركعتين ويستغفر الله ألف مرّة بعد الفراغ، ويقول في سجدة الشّكر: يا حيّ يا قيّوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا رحمن الدّنيا والاخرة ورحيمهما، يا ارحم الرّاحمين، يا إله الأوّلين والآخرين، اغفر لي ذنوبي وتقبّل صومي وصلاتي. لم يرفع رأسه من السّجود حتّى يغفر له ويتقبّل منه صومه ويتجاوز عن ذنوبه**».[5]

٢- ستّ ركعات: عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**من صلّى ليلة العيد ستّ ركعات، يقرأ في كلّ ركعة خمس مرّات (قل هو الله أحد) إلّا شفع في أهل بيته كلّهم، وإن كانوا قد وجبت**

١- الشّيخ الطّوسيّ، مصباح المتهجّد: ص٦٦٥.

٢- أورد المجلسيّ الزّيارة المذكورة نقلاً عن مصباح الزّائر في البحار: ٩٨/ ٣٥٢، وقد ذكر في هامشه أنّها في مصباح الزّائر: ص١٧٢-١٧٥.

٣- المحدّث القمّيّ، مفاتيح الجنان؛ والإقبال: ١/ ٤٦٤.

٤- الإقبال: ١/ ٤١٩.

٥- الإقبال: ١/ ٤٦٠.

لهم النّار - الخبر[١]

٣- صلاة ليلة ثلاثين: عن رسول الله ﷺ: «**ومن صلّى ليلة ثلاثين من شهر رمضان اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كلّ ركعة (فاتحة الكتاب) [مرّة واحدة] وعشرين مرّة (قل هو الله أحد) ويصلّي على النّبيّ، ح، مائة مرّة ختم الله له بالرّحمة**».[٢]

٤- ركعتان: قال الشّيخ المفيد: «ويستحبّ أن يُصلّى ليلة الفطر ركعتان، يقرأ في الأولى منهما (الحمد) و(قل هو الله أحد) ألف مرّة، وفي الثّانية (الحمد) و(قل هو الله أحد) مرّة واحدة، فقد رُوي عن مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله أنّه قال: «**من صلّى هاتين الرّكعتين في ليلة الفطر لم يسأل الله شيئاً إلّا أعطاه**».[٣]

وقال الشّيخ الطّوسيّ: «ويصلّي ليلة الفطر بعد الفراغ من صلاته كلّها ركعتين، يقرأ في الأولى (الحمد) مرّة واحدة و(قل هو الله أحد) ألف مرّة، وفي الثّانية (الحمد) مرّة، ومرّة واحدة (قل هو الله أحد)».[٤]

وقال السّيّد: «**ومن ذلك ما رويناه بأسنادنا "..أنّ أميرالمؤمنين صلوات الله عليه كان يصلّي ليلة الفطر ركعتين، يقرأ في الأولى (فاتحة الكتاب) مرّة و(قل هو الله أحد) ألف مرّة، وفي الثّانية (فاتحة الكتاب) و(قل هو الله أحد) مرّة واحدة، ثمّ يقنت ويركع ويسجد ويسلّم. فإذا سلّم خرّ ساجداً ويقول في سجوده: أتوب إلى الله - مائة مرّة - ثمّ يقول: يا ذا المنّ والجود، يا ذا المنّ والطّوْل، يا مصطفي محمّد، صلِّ على محمّد وآله وافعل بي كذا وكذا. فإذا رفع رأسه أقبل علينا بوجهه ثمّ يقول: والذي نفسي بيده لا يفعلها أحد يسأل الله تعالى شيئاً إلّا أعطاه، ولو [كان ما] أتاه من الذّنوب بعدد رمل عالج غفر الله تعالى له**».[٥]

وقال الشّيخ الطّوسيّ:

«ويستحبّ أيضاً أن يصلّي بعد الفراغ من جميع صلواته في هذه اللّيلة، ركعتين يقرأ في الأولى منهما (الحمد) مرّة، وألف مرّة (قل هو الله أحد)، وفي الرّكعة الثّانية (الحمد) مرّة، ومرّة (قل هو الله أحد)».

أضاف:

«**ويستحبّ أن يدعو بعدها بهذا الدّعاء**:

يا الله يا الله يا الله، يا رحمن يا الله، يا رحيم يا الله، يا ملك يا الله، يا قدّوس يا الله،

١- المصدر: ص٤٥٩.
٢- الحرّ العاملي، وسائل الشّيعة٨/ ٤١. والكفعميّ، البلد الأمين١٧٦.
٣- الشّيخ المفيد، المقنعة١٧١.
٤- الشّيخ الطّوسيّ، الاقتصاد: ص ٢٧٣.
٥- الإقبال: ١/ ٤٥٩.

يا سلام يا الله، يا مؤمن يا الله، يا مهيمن يا الله، يا عزيز يا الله، يا جبّار يا الله، يا متكبّر يا الله، يا خالق يا الله، يا بارئ يا الله، يا مصوّر يا الله، يا عالم يا الله، يا عظيم يا الله، يا عليم يا الله، يا كريم يا الله، يا حليم يا الله، يا حكيم يا الله، يا سميع يا الله، يا بصير يا الله، يا قريب يا الله، يا مجيب يا الله، يا جواد يا الله، يا ماجد يا الله، يا ملىء يا الله، يا وفيّ يا الله، يا مولى يا الله، يا قاضي يا الله، يا سريع يا الله، يا شديد يا الله، يا رؤوف يا الله، يا رقيب يا الله، يا مجيد يا الله، يا حفيظ يا الله، يا محيط يا الله، يا سيّد السّادة يا الله، يا أوّل يا الله، يا آخر يا الله، يا ظاهر يا الله، يا باطن يا الله، يا فاخر يا الله، يا قاهر يا الله، يا ربّاه يا الله، يا ربّاه يا الله، يا ربّاه يا الله، يا ودود يا الله، يا نور يا الله، يا رافع يا الله، يا مانع يا الله، يا دافع يا الله، يا فاتح يا الله، يا نفّاع يا الله، يا جليل يا الله، يا جميل يا الله، يا شهيد يا الله، يا شاهد يا الله، يا مغيث يا الله، يا حبيب يا الله، يا فاطر يا الله، يا مطهر يا الله، يا ملك يا الله، يا مقتدر يا الله، يا قابض يا الله، يا باسط يا الله، يا محيي يا الله، يا مميت يا الله، يا باعث يا الله، يا وارث يا الله، يا معطي يا الله، يا مفضل يا الله، يا منعم يا الله، يا حقّ يا الله، يا مبين يا الله، يا طيّب يا الله، يا محسن يا الله، يا مجمل يا الله، يا مبدئ يا الله، يا معيد يا الله، يا بارئ يا الله، يا بديع يا الله، يا هادي يا الله، يا كافي يا الله، يا شافي يا الله، يا عليّ يا الله، يا عظيم يا الله، يا حنّان يا الله، يا منّان يا الله، يا ذا الطَّوْل يا الله، يا متعالي يا الله، يا عدل يا الله، يا ذا المعارج يا الله، يا صدق يا الله، يا ديّان يا الله، يا باقي يا الله، يا واقي يا الله، يا ذا الجلال يا الله، يا ذا الإكرام يا الله، يا محمود يا الله، يا معبود يا الله، يا صانع يا الله، يا معين يا الله، يا مكوّن يا الله، يا فعّال يا الله، يا لطيف يا الله، يا جليل يا الله، يا غفور يا الله، يا شكور يا الله، يا نور يا الله، يا قدير يا الله، يا ربّاه يا الله، يا ربّاه يا الله، يا ربّاه يا الله، يا ربّاه يا الله، يا ربّاه يا الله، يا ربّاه يا الله، يا ربّاه يا الله، يا ربّاه يا الله، يا ربّاه يا الله، أسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وتمنّ عليّ برضاك، وتعفو عنّي بحلمك، وتوسِّع عليّ من رزقك الحلال الطّيّب من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب، فإنّي عبدك ليس لي أحد سواك ولا أحد أسأله غيرك يا أرحم الرّاحمين، ما شاء الله، لا قوّة إلّا بالله العليّ.

ثمّ تسجد وتقول: يا الله يا الله، يا ربّ يا الله، يا ربّ يا الله، يا ربّ يا الله، يا ربّ يا ربّ يا ربّ، يا منزل البركات، بك تنزل كلّ حاجة، أسألك بكلّ اسم في مخزون الغيب عندك والأسماء المشهورات عندك المكتوبة على سرادق عرشك أن تصلّي على محمّد وآل

محمّد وأن تقبل منّي شهر رمضان وتكتبني من الوافدين إلى بيتك الحرام وتصفح لي عن الذّنوب العظام وتستخرج يا ربّ كنوزك يا رحمن».

* الغُسل في آخر اللّيل

أضاف أيضاً: «واغتسِلْ في آخر اللّيل، واجلس في مصلاك إلى طلوع الفجر، واستفتح خروجك بالدّعاء إلى أن تدخل مع الإمام في الصّلاة، فتقول: اللّهمّ، إليك وجّهت وجهي وإليك فوّضت أمري، وعليك توكّلت، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر إلهنا ومولانا، الله أكبر على ما أولانا وحسن ما أبلانا، الله أكبر وليّنا الذي اجتبانا، الله أكبر ربّنا الذي برأنا، الله أكبر الذي خلقنا وسوّانا، الله أكبر ربّنا الذي أنشأنا، الله أكبر الذي بقدرته هدانا، الله أكبر الذي بدينه حبانا، الله أكبر الذي من فتنته عافانا، الله أكبر الذي بالإسلام اصطفانا، الله أكبر الذي فضّلنا بالإسلام على من سوانا، الله أكبر وأكبر سلطانا، الله أكبر وأعلى برهانا، الله أكبر وأجل سبحانا، الله أكبر وأقدم إحسانا، الله أكبر وأعزّ أركانا، الله أكبر وأعلى مكانا، الله أكبر وأسنى شأنا، الله أكبر ناصر من استنصر، الله أكبر ذو المغفرة لمن استغفر، الله أكبر الذي خلق وصوّر، الله أكبر الذي أمات فأقبر، الله أكبر الذي إذا شاء أنشر، الله أكبر أقدس من كلّ شيء وأظهر، الله أكبر ربّ الخلق والبرّ والبحر، الله أكبر كلّما سبّح الله شيء وكبّر وكما يحبّ الله أن يكبّر، اللّهمّ صلِّ على محمّد عبدك ورسولك ونبيّك وصفيّك وحبيبك ونجيّك وأمينك ونجيبك وصفوتك من خلقك وخليلك وخاصّتك وخالصتك وخيرتك من خلقك، اللّهمّ صلِّ على محمّد عبدك ورسولك الذي هديتنا به من الضّلالة، وعلّمتنا به من الجهالة وبصّرتنا به من العمي وأقمتنا به على المحجّة العظمى وسبيل التّقوى وأخرجتنا به من الغمرات إلى جميع الخيرات وأنقذتنا به من شفا جرف الهلكات، اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد أفضل وأكمل وأشرف وأكبر وأطهر وأطيب وأتمّ وأعمّ وأعزّ وأزكى وأنمى وأحسن وأجمل ما صلّيتَ على أحد من العالمين، اللّهمّ شرّف مقامه في القيامة وعظّم على رؤوس الخلائق حاله، اللّهمّ اجعل محمّداً وآل محمّد يوم القيامة أقرب الخلق منك منزلة وأعلاهم مكاناً وأفسحهم لديك مجلساً وأعظمهم عندك شرفاً وأرفعهم منزلاً، اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد وعلى أئمّة الهدى والحجج على خلقك والأدلّاء على سنّتك، والباب الذي منه يؤتى، والتّراجمة لوحيك المستنّين بسنّتك النّاطقين بحكمتك الشّهداء على خلقك، اللّهمّ اشعب بهم الصّدع وارتق بهم الفتق، وأمت بهم الجور وأظهر بهم العدل، وزيّن بطول بقائهم الأرض، وأيّدهم بنصرك وانصرهم بالرّعب، وقوِّ ناصرهم، واخذل خاذلهم، ودمدم على من نصب لهم ودمّر على من غشمهم،

وافضض بهم رؤوس الضّلالة وشارعة البدع ومميتة السّنن والمتعزّزين بالباطل، وأعزَّ بهم المؤمنين وأذلّ بهم الكافرين والمنافقين وجميع الملحدين والمخالفين في مشارق الأرض ومغاربها يا أرحم الرّاحمين. اللّهمّ وصلِّ على جميع المرسلين والتّبيّين الذين بلّغوا عنك الهدى واعتقدوا لك المواثيق بالطّاعة، ودعوا العباد إليك بالتّصيحة، وصبروا على ما لقوا من الأذى والتّكذيب في جنبك، اللّهمّ صلّ على محمّد وآله وعليهم وعلى ذراريهم وأهل بيوتاتهم وأزواجهم وجميع أشياعهم وأتباعهم من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، والسّلام عليهم جميعاً في هذه السّاعة وفي هذا اليوم ورحمته وبركاته، اللّهمّ اخصص أهل بيت نبيّك محمّد المباركين السّامعين المطيعين لك الذين أذهبتَ عنهم الرّجس وطهّرتَهم تطهيراً بأفضل صلواتك ونوامي بركاتك والسّلام عليهم ورحمة الله وبركاته».[1]

* الثّامن: الأدعية الخاصّة

ومنها: «اللّهمّ إنّك أرحم الرّاحمين لا إله إلّا أنت، تفضّلتَ علينا فهديتنا، ومننتَ علينا فعرّفتنا، وأحسنتَ إلينا فأعنتنا على أداء ما افترضتَ علينا من صيام شهرك شهر رمضان. فلك الحمد بمحامدك كلّها على جميع نعمائك كلّها، حتّى ينتهي الحمد إلى ما تحبّ وترضى. وهذا آخر يوم من شهر رمضان فإذا انقضى فاختمه لنا بالسّعادة والرّحمة والمغفرة، والرّزق الواسع الكثير الطيّب، الذي لا حساب فيه ولا عذاب عليه، والبركةِ والفوز بالجنّة، والعتق من النّار، ولا تجعله آخر العهد منه، وأهلّه علينا بأفضل الخير والبركة والسّرور عليَّ وعلى أهلي ووالديَّ وذرّيّتي يا كريم. اللّهمّ هذا شهر رمضان الذي أنزلت فيه القرآن هدى للنّاس وبيّنات من الهدى والفرقان وقد تصرّم، فأعوذ بوجهك الكريم أن تغيب الشّمس من هذا اليوم، أو يطلع الفجر من هذه اللّيلة، ولك قبلي ذنب أو تبعة، تريد أن تعذّبني عليها يوم ألقاك. أي مليّن الحديد لداود، أي كاشف الكرب العظيم عن أيوّب، صلِّ على محمّد وعلى أهل بيت محمّد وهب لي فكاك رقبتي من النّار وكلّ تبعة وذنب لك قبلي، واختم لي بالرّضا والجنّة. يا الله يا أرحم الرّاحمين، صلِّ على محمّد وعلى أهل بيته المباركين الأخيار وسلم تسليماً».[2]

١- الشّيخ الطّوسيّ، مصباح المتهجّد: ص٦٤٩-٦٥٠.

٢- المصدر: ص٤٤٦-٤٤٧. وقد أورد المحدّث القمّيّ بعض هذه الأدعية.

* التّاسع: وداع شهر رمضان المبارك

وقد وردت عدّة أدعية لذلك أحسنها كما عبّر المحدث القمّيّ، رحمه الله، الدّعاء الخامس والأربعون من الصّحيفة السّجّاديّة.

٣٠
شهر رمضان

* من مستحبّات يوم العيد
* معرفة فضيلة اليوم
* الـغسـل
* خصوصيّتان لصلاة الفجر
* الأدب مع المولى صاحب الزّمان عليه السلام
* دعـاء النّـدبـة
* زكـاة الفـطرة
* التّوجّه إلى المصلّى
* الدّعاء بعد صلاة العيد
* صوم ستّة أيّام
* عيد الفرد، والأُمّة
* وفـي الختـام

من مستحبّات يوم العيد

١- معرفة فضيلة اليوم

كيف نستقبل فجر العيد أو صلاة الصّبح فيه؟
وكيف نتعامل مع هذه الفترة النّموذجيّة، ما بين الفجر والخروج إلى صلاة العيد؟
وما هي حالات القلب، ومناجاته والوِرد؟
هل يشير ذلك أو يدلّ على أنّنا نستقبل لحظات مفصليّة نتسلّم فيها ما نستحقّ؟!
لا شكّ في أنّ ذلك مرتبط بمدى معرفة يوم العيد.
قال السّيّد ابن طاوس عليه الرّحمة والرّضوان:
«إعلم أنّ نهار يوم العيد فتح باب سعيد، وتجديد فضل جديد لم يجرِ مثله منذ سنة ماضية، ويمضي فلا يعود مثله إلى نحو سنة آتية».
ومثل هذه الفرص الثّمينة جدّاً والمتباعدة يحكم العقل بوجوب اغتنامها، فلنغتنم.

٢- الغسل

قال السّيّد: «إعلم أنّه ينبغي ابتداء هذا اليوم بعد ما ذكرناه بالغسل، لما رويناه بأسنادنا ".." عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: «الغسل يوم الفطر سنّة. ".." فإذا هممتَ بذلك فقل: اللّهمّ إيماناً بك، وتصديقاً بكتابك، واتّباع سنّة نبيّك محمّد ح. ".." فإذا فرغت من الغسل فقل: اللّهمّ اجعله كفّارة لذنوبي، وطهّرني ديني، اللّهمّ اذهب عنّي الدّنس».[1]

٣- صلاة الفجر

تتميّز صلاة الفجر يوم العيد بالتّكبير بعدها، كما مرّ في مستحبّات ليلة العيد، وبتعقيب خاصّ بها على ما نصّ عليه السّيّد في الإقبال، وهو نفسه الدّعاء الذي يأتي عن الشّيخ الطّوسيّ تحت عنوان: (التّوجّه إلى المصلّى) أنّه يدعى به بعد صلاة العيد.
قال الشّيخ الطّوسيّ:
«فإذا أصبح يوم الفطر يستحبّ له أن يغتسل، ووقته بعد طلوع الفجر إلى وقت صلاة العيد ويلبس أطهر ثيابه، ويمسّ شيئاً من الطّيب جسده ".." ثمّ يخرج إلى المصلّى بسكينة ووقار لصلاة العيد».[2]

١- المصدر: ص٤٦٦-٤٦٧.
٢- الشّيخ الطّوسيّ، مصباح المتهجّد: ص٦٥٣.

٤- الأدب مع المولى صاحب الزّمان عليه السلام

تتلخّص حصيلة الصّيام في تجذير توحيد الله تعالى في العقل والقلب والوجدان، ويتوقّف صدق ذلك على طبيعة العلاقة برسول الله صلى الله عليه وآله، وهي علاقة تدور إثباتاً ونفياً مدار العلاقة بأوصيائه وفي عصرنا وصيّه المهدي المنتظر أرواح العالمين له الفداء.

فكيف هي علاقتنا به في يوم العيد، وهو صاحب الأمر الذي يتنزّل في ليلة القدر؟

قال السّيّد:

«فصلٌ في ما نذكره من أدب العبد يوم العيد مع من يعتقد أنّه إمامه وصاحب ذلك المقام المجيد، فأقول: إعلم أنّه إذا كان يوم عيد الفطر، فإن كان صاحب الحكم والأمر متصرّفاً في ملكه ورعاياه على الوجه الذي أعطاه مولاه، فلْيكن مهنّئاً له صلوات الله عليه بشرف إقبال الله، جلّ جلاله، عليه وتمام تمكينه من إحسانه إليه، ثمّ كن مهنّئاً لنفسك ولِمن يعزّ عليك وللدّنيا وأهلها، ولكلّ مسعودٍ بإمامته بوجوده عليه السّلام، وسعوده وهدايته وفوائد دولته. وإن كان من يعتقد وجوب طاعته ممنوعاً من التّصرّف في مقضى رياسته، فليكن عليك أثر المساواة في الغضب مع الله، جلّ جلاله، مولاك ومولاه، والغضب لأجله، والتأسّف على ما فات من فضله. واعلم أنّ الصّفاء والوفاء لأصحاب الحقوق عند التفرّق والبِعاد، أحسنُ من الصّفاء والوفاء مع الحضور واجتماع الأجساد، فليكن الصّفاء والوفاء شعار قلبك لمولاك، وربُّك القادر على تفريج كربك».[1]

٥- دعاء النّدبة

ويستحبّ في يوم العيد قراءة دعاء النّدبة الذي ورد أنّه يقرأ في الأعياد الأربعة: الفطر والأضحى والغدير ويوم الجمعة، وهو من تعابير الأدب مع وليّ الله تعالى، ووصّي رسوله صلى الله عليه وآله.

وبعد أن أورد السّيّد الدّعاء في الإقبال قال:

«فإذا فرغت من الدّعاء، فتأهّب للسّجود بين يدي مولاك، وقل ما رويناه بأسنادنا إلى أبي عبد الله عليه السّلام قال: «إذا فرغت من دعاء العيد المذكور ضع خدّك الأيمن على الأرض وقل: سيّدي سيّدي، كم عتيق لك، فاجعلني ممن أعتقت، سيّدي سيّدي، وكم من ذنب قد غفرت، فاجعل ذنبي في من غفرت، سيّدي سيّدي، وكم من حاجة قد قضيتَ، فاجعل حاجتي فيما قضيتَ، سيّدي سيّدي، وكم من كربة قد كشفتَ، فاجعل كربتي فيما كشفتَ. سيّدي سيّدي، وكم مستغيثٍ قد أغثتَ، فاجعلني في من

١- الإقبال: ١/ ٤٧٤.

أغثتَ، سيّدي سيّدي كم من دعوة قد أجبتَ، فاجعل دعوتي في ما أجبتَ، سيّدي سيّدي، إرحم سجودي في السّاجدين، وارحم عبرتي في المستعبرين، وارحم تضرّعي فيمن تضرّع من المتضرّعين. سيّدي سيّدي، كم من فقير قد أغنيتَ، فاجعل فقري في ما أغنيتَ، سيّدي سيّدي، إرحم دعوتي في الدّاعين، سيّدي وإلهي أسأتُ وظلمتُ وعملتُ سوءاً، واعترفتُ بذنبي، وبئس ما عملتُ، فاغفر لي يا مولاي، أي كريم أي عزيز أي جميل».[1]

٦- زكاة الفطرة

وتسمّى أيضاً زكاة البدن، وهي حوالي ثلاث كيلوغرامات من الموادّ الغذائيّة الأساسيّة، أو ثمنها بالشّروط المقرّرة في الرّسائل العمليّة.

ويمتدّ وقت إخراجها إلى الظّهر، ولكن ينبغي عزلها قبل الخروج إلى الصّلاة.

ولا بدّ من التّنبّه جيّداً إلى عظيم أهميّة هذه الزّكاة وعظيم دلالات التّعامل معها والموقف منها على كلّ حلات الصّائم طيلة الشّهر الكريم.

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**إنّ من تمام الصّوم إعطاء الزّكاة -يعني الفطرة- كما أنّ الصّلاة على النّبيّ صلى الله عليه وآله تمام الصّلاة، لأنّه من صام ولم يؤدّ الزّكاة فلا صوم له إذا تركها متعمّداً، ولا صلاة له إذا ترك الصّلاة على النّبيّ صلى الله عليه وآله، لأنّ الله عزّ وجلّ قد بدأ بها قبل الصّوم**[2]، **وقال:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾».[3]

قال السّيّد معقّباً: «واعلم أنّ بُخل الإنسان بزكاة الفطرة اليسيرة، ومَنْع الله جلّ جلاله من ماله أن يتصرّف فيه بالحوالة لفقير بمقدار الزّكاة الحقيرة، فضيحةٌ على العبد المدّعي للإسلام، وخروجٌ عن حكم العقول والأحلام، لأنّ حكم الألباب يقتضي أنّ صاحب المال، وهو ربّ الأرباب، أحقّ بالتّصرّف في ماله من عباده، يعطي من يشاء من عباده ويمنع من يشاء ويحكم فيه بحسب مراده. وكيف يستحسن العبد أن يقوم بين يدي الرّبّ في صلاة أو في شيء من العبادات، وهو قد منعه من هذا المقدار اليسير من الزّكوات وقابل مراسمه الشّريفة بالرّدّ والاستخفاف وإهمال التقدّمات. ما يفعل هذا إلّا من قلبه مُدْنَفٌ سقيم، وعقله ذميم، وعساه يكون ممن اتّخذ دينه هُزواً ولعباً، وكانت دعواه للإسلام كذباً».[4]

١- الإقبال: ١/ ٥١٣-٥١٤.

٢- جاء في هامش الرّواية في وسائل الشّيعة: في الفقيه: قبل الصّوم؛ وفي التّهذيب: قبل الصّلاة.

٣- الإقبال: ١/ ٤٦٥.

٤- المصدر.

٧- التوجّه إلى المصلّى

قال الشّيخ الطّوسيّ عليه الرّحمة والرّضوان: «فإذا توجّهتَ إلى المصلّى، فادع بهذا الدّعاء: اللّهمّ من تهيّأ وتعبّأ وأعدّ واستعدّ لوفادة إلى مخلوق رجاء رفده وطلب جوائزه وفواضله ونوافله فإليك يا سيّدي وفادتي وتهيئتي وإعدادي واستعدادي رجاء رفدك وجوائزك ونوافلك، فلا تخيّب اليوم رجائي يا مولاي، يا من لا يخيب عليه سائل ولا ينقصه نائل، فإنّي لم آتك اليوم بعمل صالح قدّمته ولا شفاعة مخلوق رجوتها، ولكن أتيتك مقرّاً بالظّلم والإساءة لا حجّة لي ولا عذر فأسألك يا ربّ أن تعطيني مسألتي وتقلبني برغبتي ولا تردّني محبوهاً ولا خائباً يا عظيم يا عظيم يا عظيم، أرجوك للعظيم، أسألك يا عظيم أن تغفر لي العظيم لا إله إلّا أنت اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد وارزقني خير هذا اليوم الذي شرّفته وعظّمته وتغسلني فيه من جميع ذنوبي وخطاياي وزدني من فضلك إنّك أنت الوهّاب.

٨- الدّعاء بعد صلاة العيد

وأورد الشّيخ صلاة العيد ثمّ قال: «**فإذا سلّم عقّب بتسبيح الزّهراء عليها السّلام وما خفّ عليه من الدّعاء ثمّ يدعو بهذا الدّعاء.**

اللّهمّ إنّي توجّهت إليك بمحمّد أمامي وعليّ من خلفي وأئمّتي عن يميني وشمالي، أستتر بهم من عذابك وسخطك وأتقرّب إليك زُلفىً، لا أجد أحداً أقرب إليك منهم، فهم أئمّتي، فآمن بهم خوفي من عذابك وسخطك، وأدخلني برحمتك الجنّة في عبادك الصّالحين، أصبحت بالله مؤمناً موقناً مخلصاً على دين محمّد وسنّته وعلى دين عليّ وسنّته وعلى دين الأوصياء وسنّتهم، آمنت بسرّهم وعلانيتهم وأرغب إلى الله تعالى فيما رغبوا فيه، وأعوذ بالله من شرّ ما استعاذوا منه، ولا حول ولا قوّة ولا منعة إلّا بالله العليّ العظيم، توكّلت على الله حسبي الله ومن يتوكّل على الله فهو حسبه، اللّهمّ إنّي أريدك فأردني وأطلب ما عندك فيسّره لي. اللّهمّ إنّك قلت في محكم كتابك المنزل وقولك الحقّ ووعدك الصدق: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للنّاس وبيّنات من الهدى والفرقان﴾، فعظّمت شهر رمضان بما أنزلت فيه من القرآن الكريم وخصّصته بأن جعلت فيه ليلة القدر، اللّهمّ وقد انقضت أيّامه ولياليه وقد صرت منه إلى ما أنت أعلم به منّي، وأسألك يا إلهي بما سألك به ملائكتك المقرّبون وأنبياؤك المرسلون وعبادك الصّالحون أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تقبل منّي كلّ ما تقرّبت به إليك فيه، وتتفضّل عليّ بتضعيف عملي وقبول تقربّي وقرباتي واستجابة دعائي، وهب لي من لدنك رحمة، وأعتق رقبتي من النّار، وآمنّي يوم الخوف من كلّ

الفزع ومن كلّ هول أعددته ليوم القيامة، أعوذ بحرمة وجهك الكريم وبحرمة نبيّك، وبحرمة الأوصياء أن يتصرّم هذا اليوم ولك قبلي تبعة تريد أن تؤاخذني بها أو خطيئة تريد أن تقتصّها منّي لم تغفرها لي، أسألك بحرمة وجهك الكريم يا لا إله إلّا أنت بلا إله إلّا أنت أن ترضى عنّي، وإن كنت قد رضيتَ عنّي فزد في ما بقي من عمري رضى، وإن كنت لم ترضَ عنّي فمن الآن فارضَ عنّي يا سيّدي ومولاي السّاعة السّاعة السّاعة، واجعلني في هذه السّاعة وفي هذا اليوم وفي هذا المجلس من عتقائك من النّار عتقاً لا رقّ بعده. اللّهمّ إنّي أسألك بحرمة وجهك الكريم أن تجعل يومي هذا خير يوم عبدتك فيه منذ أسكنتني الأرض أعظمه أجراً، وأعمّه نعمة وعافية، وأوسعه رزقاً، وأبتله عتقاً من النّار وأوجبه مغفرة وأكمله رضواناً وأقربه إلى ما تحبّ وترضى. اللّهمّ لا تجعله آخر شهر رمضان صمته لك وارزقني العود فيه ثمّ العود فيه حتّى ترضى وترضي كلّ من له قبلي تبعة ولا تخرجني من الدّنيا إلّا وأنت عني راض، اللّهمّ اجعلني من حجّاج بيتك الحرام في هذا العام المبرور حجّهم المشكور سعيهم المغفور ذنبهم المستجاب دعاؤهم المحفوظين في أنفسهم وأديانهم وذراريهم وأموالهم وجميع ما أنعمت به عليهم. اللّهمّ اقلبني من مجلسي هذا وفي يومي هذا وفي ساعتي هذه مفلحاً منجحاً مستجاباً دعائي مرحوماً صوتي مغفوراً ذنبي، اللّهمّ واجعل فيما شئت وأردت وقضيت وحتمت وأنفذت أن تطيل عمري وأن تقوي ضعفي وأن تجبر فاقتي وأن ترحم مسكنتي وأن تعزّ ذلّي وتؤنس وحشتي وأن تكثر قلّتي وأن تدرّ رزقي في عافية ويسر وخفض عيش وتكفيني كلّ ما أهمّني من أمر آخرتي ودنياي، لا تكلني إلى نفسي فأعجز عنها ولا إلى النّاس فيرفضوني وعافني في بدني وأهلي وولدي وأهل مودّتي وجيراني وإخواني وذرّيّتي وأن تمنّ عليّ بالأمن أبداً ما أبقيتني، توجّهت إليك بمحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله، وقدّمتهم إليك أمامي وأمام حاجتي وطلبتي وتضرّعي ومسألتي، فاجعلني بهم وجيهاً في الدّنيا والآخرة ومن المقرّبين فإنّك منننت عليّ بمعرفتهم فاختم لي بها السّعادة إنّك على كلّ شيء قدير، فإنّك وليّي ومولاي وسيّدي وربّي وإلهي وثقتي ورجائي ومعدن مسألتي وموضع شكواي ومنتهى رغبتي فلا يخيبنّ عليك دعائي يا سيّدي ومولاي، ولا يبطلنّ طمعي ورجائي لديك، فقد توجّهت إليك بمحمّد وآل محمّد صلّى الله عليه وعليهم وقدّمتهم إليك أمامي وأمام حاجتي وطلبتي وتضرّعي ومسألتي، واجعلني بهم وجيهاً في الدّنيا والآخرة ومن المقرّبين إليك فإنّك منننت عليّ بمعرفتهم فاختم لي بها السّعادة. إنّك على كلّ شيء قدير. اللّهمّ ولا تبطل عملي ورجائي يا إلهي ومسألتي، واختم لي بالسّعادة والسّلامة والإسلام والأمن والإيمان والمغفرة والرّضوان والشّهادة

والحفظ، يا منزولاً به كلّ حاجة يا الله يا الله يا الله، أنت لكلّ حاجة فَتَوَلَّ عاقبتها ولا تسلّط علينا أحداً من خلقك بشيء لا طاقة لنا به من أمر الدّنيا، وفرّغنا لأمر الآخرة يا ذا الجلال والإكرام، صلِّ على محمّد وآل محمّد، وبارك على محمّد وآل محمّد وتحنّن على محمّد وآل محمّد كأفضل ما صلّيتَ وباركتَ وترحّمتَ وسلّمتَ وتحنّنتَ على إبرهيم وآل إبرهيم إنّك حميد مجيد».[1]

صوم ستّة أيّام

انتشرت في السّنوات الأخيرة ظاهرة محبّبة هي صيام ستّة أيّام بعد يوم العيد، وفي ما يلي تأكيد ذلك، وعلى الأيّام التي يستحبّ صومها بشكل عام.

قال الشّيخ الطّوسيّ:

وقد روى الزّهريّ في شرح وجوه الصّيام ما يكون صاحبه فيه بالخيار ستّة أيّام عقيب يوم الفطر وهو الذي تسمّيه العامّة التّشييع، فمن صامه كان له فيه فضل، وفي أصحابنا من كرهه، والأصل فيه التّخيير، والصّوم عبادة لا تُكره **لأنّ النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام قال: «الصّوم جُنّة من النّار». وهو على عمومه. ويستحبّ في هذا الشّهر وفي سائر الشّهور صوم ثلاثة أيّام: أوّل خميس في العشر الأوّل، وأوّل أربعاء في العشر الثّاني، وآخر خميس في العشر الأخير، وكذلك في كلّ شهر، فإنّه مرويّ عنهم، عليهم السّلام، أنّ ذلك يعدل صيام الدّهر.**[2]

وتجدر الإشارة إلى أهميّة الصّوم بعد العيد في الإصرار على تحصين حصيلة الصّوم، والمضيّ قدماً في خط ضيافة الرّحمن. وعليه سبحانه قصد السّبيل.

عيد الفرد، والأُمّة

تقبّل الله أعمالكم وأسعد الله أيّامكم، وكلّ عام وأنتم بخير. أعاده الله تعالى على الجميع باليُمْن والبركة وواسع الرّحمة والمغفرة والنّصر والمنعة إنّه سميع مجيب.

ماذا يعني العيد، هل هو فرح بالتّحلّل من قيود الصّوم، وابتهاجٌ باستئناف دورة الحياة العاديّة؟

وما قيمة ذلك إذا كان الباطن مظلماً مطروداً لم ينعم بالرّضى والقرب من المليك المقتدر؟.

أو لم يقل المولى أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنّما هو عيدٌ لمن قبِل الله صيامه وقيامه وشكر**

١- الشّيخ الطّوسيّ، مصباح المتهجّد: ص ٦٥٤-٦٥٨.

٢- المصدر: ص ٦٦٥-٦٦٦.

قيامه، وكلّ يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد».[1]

العيد هو الفرحة بالطّاعة، والفوز بالرّضوان.

إنّه يوم توزيع الجوائز الإلهيّة على ضيوف الرّحمن.

من كان صومه حقيقيّاً فجائزته التّقوى، ومن حافظ فيه على أوقات الصّلوات فجائزته استجابة الله تعالى دعاءه، ومن حسّن فيه خُلُقه استحقّ جوائز المرور على الصّراط، ومن أكرم فيه يتيماً استحقّ جائزة إكرام الله له يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه وصله الله تعالى برحمته، ومن أكثر فيه من الاستغفار وطول السّجود استحقّ جائزة فكاك نفسه وحطّ الأوزار عن كاهله، ومن أكثر فيه الصّلاة على النّبيّ، صلى الله عليه وآله، استحقّ جائزة رجحان كفّته وثقل ميزانه يوم تخفّ الموازين.

ومن الجوائز في يوم العيد الحجّ المبرور الذي يغفر معه الذّنب، وتكفّر السّيّئات، والتّوفيق للشّهادة في سبيل الله تعالى، كما أنّ من ألحّ فيه على التّوبة وسعى أن تكون صادقة، منّ الله تعالى عليه في يوم العيد بجائزة قبولها، وأكبر من ذلك أن يغفر الله ما سلف ويسدّد في ما يأتي، ومن أعظم جوائز يوم العيد استحقاق إخراج حبّ الدّنيا من القلب.

سيّدي أخرج حبّ الدّنيا من قلبي.

وأعظم منها أن يمنّ الله تعالى بحبّه، فيصبح القلب حرم الله عزّ وجلّ.

أهل هذه الجوائز وأمثالها هم أهل العيد، ومن عداهم المسيئون الذين إذا كُشِف لهم الغطاء شُغلوا بإساءتهم عن تصفيق أيدٍ وثياب وترجيل شِعر.

مرّ الإمام الحسن عليه السلام في يوم فطر بقوم يلعبون ويضحكون، فوقف عليهم ثمّ قال: **«إنّ الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه -أي ميداناً للسّباق- يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق قومٌ ففازوا وقصّر آخرون فخابوا، فالعجب كلّ العجب من ضاحك لاعبٍ في اليوم الذي يُثاب فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون، وأيمُ الله لو كُشف الغطاء لعلموا أنّ المحسن مشغول بإحسانه والمسيء مشغول بإساءته فمضى».**[2]

يقول السّيّد ابن طاوس عليه الرّحمة حول يوم العيد: **«ولا تقطع يومك هذا باللّعب والإهمال وأنت لا تعلم أمردود أم مقبول الأعمال، فإن رجوت القبول، فقابل ذلك بالشّكر الجميل وإن خفتَ الرّدّ فكن أسير الحزن الطّويل».**

وليس الهدف أيّها الأعزّاء من التّركيز على هذا الجانب إدخال الحزن على النّاس في يوم عيدهم، وإنّما الهدف الحفاظ على التّوازن، فلا يصحّ أبداً أن يُفهم العيد تحلّلاً من

١- الإمام عليّ عليه السّلام، نهج البلاغة (عبده): ص١٠٠.

٢- الكليني، الكافي: ٤/ ١٨١

العبادة، كما لا يصحّ بطبيعة الحال أن تغلب الكآبة فيه، بل ينبغي أن يواجه المؤمن النّاس بالبشاشة والبهجة، إلّا أنّه يظلّ حريصاً في باطنه على صون ما أنجزه طيلة ضيافة الله تعالى، فلا يضيّعه في الانجراف في تيّار المعاصي ويظلّ حريصاً من الشّياطين الذين طال تقييدهم، وهاهم اليوم قد فُكّت أغلالهم، يبذلون قصارى جهدهم في الإغواء والتّزيين والتّلبيس، إلى حدّ أنّ بعضنا قد يخسر في يوم العيد كلّ ما حصل عليه طيلة شهر الله تعالى.

من أجل هذا التّوازن كان هذا التّركيز.

خطب أمير المؤمنين عليه السّلام في يوم الفطر فقال: **«أيّها النّاس إنّ يومكم هذا يُثاب فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون وهو أشبه بيوم قيامتكم، فاذكروا بخروجكم من منازلكم إلى مصلاكم، خروجكم من الأجداث إلى ربّكم، واذكروا بوقوفكم في مصلاكم وقوفكم بين يدي ربّكم، واذكروا برجوعكم إلى منازلكم، رجوعكم إلى منازلكم في الجنّة».**

«عباد الله إنّ أدنى ما للصّائمين والصّائمات أن يناديهم ملَك في آخر يوم من شهر رمضان أبشروا عباد الله! فقد غفر لكم ما سلف من ذنوبكم فانظروا كيف تكونون في ما تستأنفون».[1]

إنّ الحرص على التّناسب بين ما سلف وما نستأنف هو، إذاً، منشأ تأكيد أن لا يكون يوم العيد نشازاً لا يصل الماضي بالمستقبل، فإذا اجتاز الصّائم يوم العيد دون أن يصاب بنكسة في إيمانه ومراقبته لنفسه، كان أقدر على مواصلة ذلك في ما بعد.

وعندما نتأمّل في مستحبّات يوم العيد نجد أنّها تركّز على صون ما أُنجز طيلة شهر رمضان المبارك وتعزيزه ليكون المخزون الإيمانيّ والشّعوريّ الذي يمكّن من مواصلة رحلة الحياة الشّاقّة بيُسر.

يحدّثنا السّيّد ابن طاوس، عليه الرّحمة، عن استحباب صلاة العيد على التّراب ويذكر ما جرى معه ذات مرّة فيقول: **«واعلم أنّني كنت يوم من أيّام الأعياد وقد قمتُ من السّجّادة لأجلس على التّراب لأصلّي صلاة العيد، على المأمور به من الآداب، فأردتُ أن أجعل ذلك على سبيل العبادة لله جل جلاله لأنّه أهلٌ للعبادة، فورد على خاطري ما معناه: أُذكر كيف نقلناك من هذا التّراب (أي أذكر أنّك كنت في الأصل تراباً) الذي تجلس عليه إلى ما قد بلغناك إليه من التّكريم والتّعظيم وتسخيرنا لك ما سخّرناه من الأفلاك والدّنيا والآخرة والملك العظيم واشتغِل بالشّكر لنا واعتقاد المِنّة العظيمة عن تطلّع خاطرك إلى الوسيلة إلينا بهذه الخدمة اليسيرة السّقيمة، فإنّا إذا رأيناك**

١ - الشّيخ الصّدوق، الأمالي: ص١٦٠.

تقدّم حقّنا على ما يقع منك من الخدمة، كان أثبت لك في رسوخ القدم وسبوغ النّعم.

يريد، عليه الرّحمة، أنّ على الإنسان أن لا يستكثر عمله مهما كان العمل فإنّه بالنّسبة إلى الله عزَّ وجلّ لا يُذكر على الإطلاق فلله سبحانه وتعالى المنّة الدّائمة فقد نقله من (تراب) إلى (إنسان) ومهما صدر من هذا الإنسان فلن يكون معادلاً لهذه النّقلة، فلا يصحّ أن يتباهى الإنسان بعباداته وإنجازاته التي هي فرع كونه إنساناً، بل يجب أن يكون مستحضراً أبداً لعظيم فضل الله تعالى عليه، ليتحقّق منه الشّكر الحقيقيّ الذي يقوم على النّقطة النّقيض للتباهي المشار إليه.

إلى أن يقول السّيّد عليه الرّحمة: «**وقل في يوم العيد: بالرّحمة والجود وجميع الوسائل التي نقلتني بها من ذلك المقام النازل إلى هذا الفضل الشّامل الكامل صلِّ على محمّد وآل محمّد وانقلني عمّا تكره وقوعه منّي إلى ما يرضيك عنّي.**

إلهي، ما بدأت به من كرم وفضل وحبّ وحنان فتمّمه، وكما نقلتني من تراب إلى إنسان فانقلني عن مصارع الذّنوب إلى ما يرضيك، فأنت الحقّ وماذا بعد الحقّ إلّا الضّلال»؟!

هكذا يمكن أن نعزّز في نفوسنا جميع المعاني الإيمانيّة التي عشناها في شهر الله تعالى، وحاولنا وهكذا يمكن أن يكون العيد همزة وصل بين ضيافة الرّحمن والوصول إليه بقلب سليم.

ورد عن رسول الله ﷺ: «**زيّنوا أعيادكم بالتّكبير**». **وروي** «**أنّه كان ﷺ يخرج في العيدين رافعاً صوته بالتّهليل والتّكبير وأنّه كان يُكبِّر يوم الفطر حين يخرج من بيته حتى يأتي المصلّى**».[1]

يوم العيد، إذاً، يوم عبادة، يوم تكبير وتهليل، يوم تضرّع لنيل الجوائزالقيّمة والفوز بالرّضوان، والتحلّي بمكارم الأخلاق، ويلحق بذلك ويقع في سياقه الحصول على الجوائز الماديّة بمختلف مظاهرها.

ويفرح الإنسان أيّها الأعزّاء بالجائزة لأنّه يحسّن بها أوضاعه ويرمّم بها شؤونه.

وما قيمة الجائزة إذا لم توظَّف في بلسمة الجراح ولمّ الشّعث ورأب الصّدع؟

وأي جراح أبلغ ضرراً وأبعد غوراً من جراح القلب وندوب تشويه الفطرة؟!

هكذا ينبغي أن تكون الجوائز الإلهيّة التي نحصل عليها في يوم العيد منطلقاً لتحسين أوضاعنا الشّخصيّة لنؤسّس على ذلك في تحسين أوضاعنا العامّة.

إنّها جوائز الجهاد الأكبر التي ننطلق بها في ساحات الجهاد الأصغر فنحمل هموم

١- الرّيشهريّ، ميزان الحكمة: ٣/ ٢١٩٨، نقلاً عن كنز العمال.

المسلمين والمستضعفين في الأرض بزخم جديد وروح تحنّ إلى الشّهادة فطالما رددنا في ليالي شهر رمضان المبارك «**وقتلاً في سبيلك فوفّق لنا**» هذه مواقع الجهاد تنتظرنا ﴿..وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ البقرة: ٤٥.

***

سيّدنا يا صاحب العصر والزّمان عليك صلوات الرّحمن، ما معنى العيد في غيابك وجدُّك الإمام الصّادق عليه السلام يخاطبك قبل ولادتك فيقول: «**سيّدي غيبتك نفت رقادي**»! **طالت علينا ليالي الانتظار، فهل يا ابن النّبيّ لليل الانتظار غد؟!**

أرأيتم أيّها الأعزّاء إلى يتيمٍ منقطع وحيد فريد ينظر إلى ثياب الأطفال وبهارجها وألعابهم في يوم العيد وزخارفها، وهو يعيش اللّوعة والحسرة؟!

هكذا ينبغي أن تكونَ حال خالي الوفاض الذي لم يفِ شهر رمضان حقَّه، وهو ينظر إلى أهل الجوائز الإلهيّة عادوا محمَّلين بجوائزهم وهو لا يلوي على شيء.

ينبغي أن يستبدّ به الحزن فيصرخ من الأعماق: «**إلهي ربح الصّائمون وفاز القائمون**»؛ ﴿..رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ القصص:٢٤؛ ربّ ﴿..أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ الأنبياء:٨٣.

وليكن على يقين أنّه إن عاش هذه الحالة فإنّه لن يرجع خائباً.

اللّهمّ صُنْ ماء وجوهنا، ولا تخزنا أمام أهلينا وأوليائك وملائكتك، ولا تُشمت بنا عدوّك، اللّهمّ إنّك أكرم الأكرمين فاجعل بفضلك وكرمك عيدنا كما تحبّ وكما أنت أهلٌ له فإنّك نِعمَ المولى ونِعمَ النّصير.

اللّهمّ اقضِ في هذا اليوم حوائج المحتاجين، إشفِ كلّ جريحٍ وكلّ مريض، إقضِ دَين كلّ مدين، ردّ كلّ غريب، فكّ كلّ أسير، أيّد جندك، وأنزل نصرك، وأرنا هلاك الكافرين، وعجّل لوليّك الفرج، إنّك وليّ الإحسان والنّعم.

حسين محمّد كوراني

لبنان- بيروت

هذا الكتاب

«.. منهجٌ في تقديم أعمال شهر رمضان يراعي الأُسُسَ التّالية:

١- محاولة استقصاء جميع الأعمال المرويّة عن المعصومين عليهم السلام.

٢- اعتمادُ عددٍ من أبرز أمّهات المصادر لكبارِ الفقهاء خصوصاً الشيخ المفيد والشيخ الطوسي، والشهيدَين الأول والثاني..

٣- تظهيرُ نصوص «سيّد العلماء المراقبين» السّيّد ابن طاوس قدس سره، وإعطاؤها الأولويّة في مقام بيان خصائص المراقبات، وبدرجة ثانية نصوص الفقيه العارف «المَلَكي التبريزي» صاحب كتاب (المراقبات).

٤- التركيز على إبراز العناية بالسّند خصوصاً في نصوص السيّد ابن طاوس للردّ العَملي على شُبهة لدى بعض المتأثّرين عن غير قصد بالغَزو الثقافي الذين يحاربون بعض الأعمال العباديّة المؤقّتة وغيرها، متذرّعين بمغالطة «السّنَد» ناسين أنّ الفقهَ التخصّصي «الجواهري» -بتعبير الإمام الخميني قدس سره- أعمق بكثيرٍ من مجرّد دراسة «السّند» كما ثبتَ في محلّه.

أكتفي هنا بالإلفات إلى أنّ ضعفَ السّند لا ينتج إلّا حرمةَ نسبة هذا المَتن إلى المعصوم، وعليه فلو أنّ شخصاً عملَ بالمضمون برجاء الصّدور، ولم يكن مضمونُ المتن منافياً للثّوابت الشرعية فلا شُبهةَ في جواز هذا العمل، بل يحثُّ عليه كبارُ الفقهاء».

«من التقديم»

شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

www.saraer.org/shaaer

shaaer@saraer.org